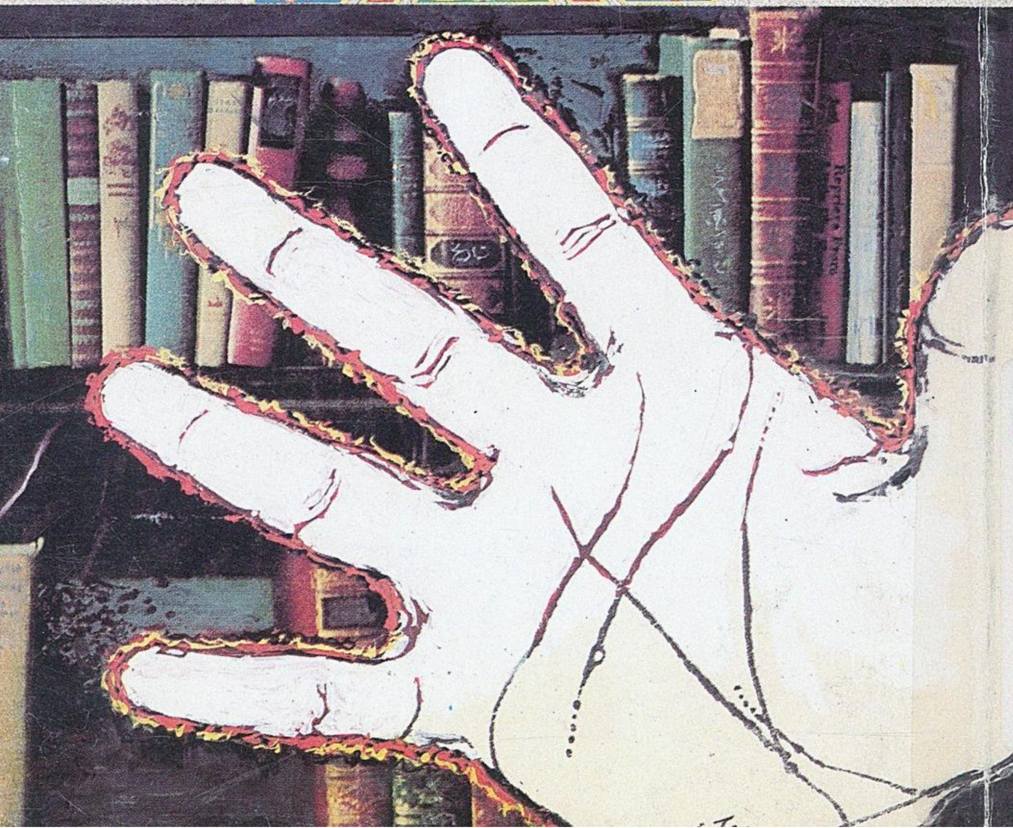
مكتبة الأسرة
مهرجان القراءة للجميع ١٩٩٦

قراءة فى عيون المستقبل

فتحى سلامة

الهيئة المصرية
العامة للكتاب



قراءة فى عيون المستقبل

مهرجان القراءة للجميع ٩٦

مكتبة الأسرة

برعاية السيدة سوزان مبارك

(الأعمال الفكرية)

قراءة فى عيون المستقبل

فتحى سلامة

الغلاف

الانجاز الطباعى والفنى

محمود الهندى

المشرف العام

د. سمير سرحان

الجهات المشتركة:

جمعية الرعاية المتكاملة المركزية

وزارة الثقافة

وزارة الإعلام

وزارة التعليم

وزارة الحكم المحلى

المجلس الأعلى للشباب والرياضة

التنفيذ: هيئة الكتاب

قراءة فى عيون المستقبل

على سبيل التقديم...

لأن المعرفة اهم من الثروة واهم من القوة فى عالمنا المعاصر وهى الركيزة الأساسية فى بناء المجتمعات لمواكبة عصر المعلومات.. من هنا كان مهرجان القراءة للجميع دلالة على الرغبة الطموحة فى تنمية عالم القراءة لدى الأسرة المصرية أطفالاً وشباباً ورجالاً ونساءً..

وكان صدور مكتبة الأسرة ضمن مهرجان القراءة للجميع منذ عام ١٩٩٤ إضافة بالغة الأهمية لهذا المهرجان كاضخم مشروع نشر لروائع الأدب العربى من أعمال فكرية وإبداعية وأيضاً تراث الإنسانية الذى شكل مسيرة الحضارة الإنسانية مما يعتبر مواجهة حقيقية للأفكار المدمرة.

هكذا كانت مكتبة الأسرة نافذة مضيئة لشباب هذه الأمة على منافذ الثقافة الحقيقية فى الشرق والغرب وعلى ما انتجته عبقرية هذه الأمة عبر مسيرتها التنويرية والحضارية..

إن مئات العناوين وملايين النسخ من اهم منابع الفكر والثقافة والإبداع التى تطرحها مكتبة الأسرة فى الأسواق باسعار رمزية اثبتت التجربة ان الأيدى تتخاطفها وتنتظرها فى منافذ البيع ولدى باعة الصحف لهو مظهر حضارى رائع يشهد للمواطن المصرى بالجدية اللازمة والرغبة الأكيدة فى الإسهام فى ركب الحضارة الإنسانية على ان يأخذ مكانه اللائق بين الأمم فى عالم اصبحت السيادة فيه لمن يملك المعرفة وليس لمن يملك القوة.

وللعام الثالث تواصل مكتبة الأسرة إشعاعها الثقافى حيث تقدم هذا العام ١٧٢ كتاباً فى سبع سلاسل يصدر منها ما يقارب ١٨ مليون نسخة كتاب فى اضخم مشروع ثقافى قومى تشهده مصر الحديثة..

د. سمير سرحان

مقدمـــة

الحمد لله ...

الحمد لله كثيراً، وسبحان الله، ولا اله الا الله، هدانا إلى الايمان، وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله، علمنا الأسماء كلها، وأكرمنا وميزنا عن كافة خلقه، وأرسل لنا الرسل بالكتاب المبين، وخاطبنا عن طريق رسله بالآيات البينات، والصلاة والسلام على محمد بن عبدالله خاتم الرسل، والبشير الأمين، وأنزل الله عليه القرآن كتاباً حكيما ببلاغ عظيم، وجعله معجزة كل زمان، اللهم صلى وسلم على رسول الله الكريم الذى بلغ الرسالة ونصح الأمة، وهدى القلوب إلى طريق حب الله، أما بعد ،،

فهذا الكتاب. قصدت به منفعة العامة والخاصة، وجمعت فيه ما استطعت جمعه من كتب قيمة، هدانى الله إلى النظر فيها بعين الاعتبار والتأمل، وأردت أن أجعل القارئ الكريم يشاركنى فى الانتفاع بتلك الكتب. وجمعت ما استطعت جمعه من مادة تناسب هذا الكتاب على أمل أن تغنى القارئ عن

قـراءة كل تلك الكتب وخـاصـــة وأن عـادة القـراءة فـى وطننا العـربى تكاد تكون مـقـصـورة على قلة من الناس. وهذا مـا يؤسَف لـه، ويجـعلنا نـأمل فى حل قـريب، يسـاعـد الناس على القراءة وخـاصـة أن أول آية أنزلت على رسـولنـا الكريـم (إقرأ)، أنها توجيه ربانى لكل البشـر بضرورة القراءة، والقراءة ليست مـجـرد النظر فى كـتـاب او جـريدة إنمـا هـى تتـعـدى ذلك الى التأمل والاستبصـار واستعمال الذهن وقدح العقل للتواصل مع الكتاب فـى رحلة الفكر، إنهـا دعـوة ربانية إلى الذكر والتذكر، والنظر الى الحـيـاة نظرة جـادة، والى تأمل خلق الله وصـنعـه، والإعتبـار بما يحـدث من حـوادث للنـاس وللمـجـتمع، والأمل فى حياة الافـضل وذكر خـاتمة الحـيـاة، (إقرأ) لم تكن مـجـرد أمر ربانى بتـلاوة الآية، ولا بتـحـريك الفم بتـحـريك الكلام، إنما هـى دعوة إلى الانتـبـاه، والتبـصـر، وهذا مما علمنا الله، لم أرد هنا ذكر تفسـيرات أسـاتذتنا الأجـلاء الذين افـاضـوا فـى شـرح هذه الآيه، أنما أردت فقط بيان أهمية الأمر الذى هبط به الوحى إلى خاتم رسل الله، محمد بن عبدالله عليه الصلاة والسلام.

والدارس المتأمل، يرى أن أول ما يمكننا قوله فى هذا المجال أن نذكر أن الاحصـائيات تقول أن نصيب القـارئ العربى من الكتب نصف صـفـحـة من كتـاب فـى العـام، بينمـا يصل نصـيب الفرد فى أمـريكا ٨ كتب فى عـام ومثل هذا العـدد.فـى الاتحـاد السوفيتى، وفى أوروبا سبعة كتب للفرد الواحـد فى العام، هذا

وفقا لإحصائيات الأمم المتحدة (عام ١٩٨٤) وانظر فى ذلك ما أصدرته جامعة الدول العربية وأيضا أبحاث المجالس القومية المتخصصة والتى تقول أيضا بعد أبحاث دامت عاماً كاملاً، الحقائق التالية حول دنيا قراءة الكتب :

أولا : أنه منذ عام ١٩٥٢ إلى ١٩٨٠ لم تنشأ فى مصر مكتبات جديدة وظل ما هو قائم كما هو، وان تضاءلت خدمات بعض المكتبات التى كانت تحظى بشهرة كبيرة.

ثانيا : أن حركة التزويد خلال الفترة المذكورة لم تقدم العدد الملائم من الكتب الجديدة والتى كان يجب أن يتناسب عددها مع عدد السكان..

ثالثا : أن توزيع الكتب فى مصر لا يتعدى الأرقام التالية، وفقا لإحصائية توزيع الكتب التى قامت بها شعبة الآداب بالمجالس عام ١٩٨٥، وهى كالتالى :

١ ـ متوسط توزيع الكتب الدينية والكتب المهتمة بأمور المرأة والرجل يصل إلى تسعة آلاف نسخة للكتاب الواحد فى العام ومعظم الكتب الدينية من كتب التراث، وأما كتب العلاقات بين الرجل والمرأة، تكاد تقتصر على الكتب ذات الثقافة الهابطة والتى تعتمد على الإثارة!

٢ ـ يصل متوسط توزيع الكتب الأدبية والثقافية إلى ٣٠٠ نسخة فى العام (وهكذا هبط العدد من تسعة آلاف إلى ثلثمائة نسخة مرة واحدة).

٣ ـ يصل توزيع المجلات الثقافية إلى أدنى مستوى بالنسبة إلى توزيع الصحف والمجلات الصحفية ويصل إلى ألف نسخة للعدد الواحد، بل وصل فى عام الدراسة الى ٣٥٠ نسخة لأحدى المجلات الثقافية.

رابعـــا : وبناء على هبوط توزيع الكتب الأدبية والثقافية ـ انصرف الناشرون إلى نشر كتب مضمونة التوزيع مثل الكتب الجامعية وأيضا الكتب ذات الإثارة سواء الدينية أو كتب علاقات الرجل بالمرأة، ولم يحاول الناشرون الاستمرار فى نشر الكتب الأدبية إلا فى حالات خاصة جداً، وفى هذه الحالة يكون نشر الكتب الأدبية والثقافية عمل هامشى يتحمله الناشر بكدر شديد.

خـامسا : وعلى هذا تضاءل حق المؤلف فى الكتاب الأدبى والثقافى، لم يعد المؤلف الجيد يأمل خيراً كثيراً من عائد كتابه الأمر الذى صرف الكثير عن هذه الحرفة إلا من أنشغل منهم بهذا الأمر وتحمل تبعاته، وأدى هذا إلى تهاون المؤلف فى حقوقه المادية، ولم يقتصر

هذا الأمر على المؤلف بل تعدى إلى كتابه فأصبح مباحاً طبعه سواء فى مصر أو خارجها عن طريق التصوير دون أذن من المؤلف.

سادساً : كان لصدور عدة قرارات عام ١٩٦١ و ١٩٦٢، و١٩٦٣ بخصوص تصدير الكتاب إلى الخارج عواقب وخيمة، جعلت الكتاب محصوراً فى مصر وحدها يعانى هجر أهله وتهاون أصحابه. وفقد الناشرون مورداً هاماً من بيع أعمالهم فى خارج مصر، ورغم الجهود التى بذلت خلال السنوات الأخيرة، واهتمام الحكومة، وقد أصدر رئيس الجمهورية قراراً فى هذا الشأن إلا أن مشكلات تصدير الكتاب لازالت قائمة تقف عثرة فى طريق نمو وتطور الكتاب المصرى.

سابعاً : رغم الازدهار الظاهرى الذى نلاحظه فى حركة النشر وأيضا فى حركة (بيع) الكتاب الى أن هذا الازدهار لا يدل على أن الكتاب اخترق تلك الحواجز التى سبق وذكرناها، وبالتالى فإن الأرقام المسجلة لازالت تدل على أن نسبة (القراء) الى عدد السكان تكاد لا تذكر، وأن عدد الكتب المطبوعة فى العام لم تصل بعد الى حد معقول، بل أن دراسة عناوين الكتب الصادرة خلال عام (١٩٨٥) وهو عام

الدراسة لا يدل على تطور الحركة الثقافية والأدبية وأن لم يكن يدينها.

ثامنا : أن السنوات التى عاشها المجتمع المصرى وقد حرم من تصدير كتابه وأيضا من استيراد كتب غيره، قد تسببت فى واد حركة نشطة كانت قد بدأت فى أواخر الخمسينات، وكانت ثمرة الحركة الثقافية المصرية التى جاءت مع ثورة ١٩١٩، وقادها مثقفون كانوا على قدر كبير من سعة الاطلاع وموسوعية الثقافة، بل أن حركة الترجمة التى نشطت عقب الثورة كانت على وشك عطاء ثمارها خلال نهاية الخمسينات ولكنها اندثرت تحت ضغط القهر الحاكم وشدة الرقابة التى كانت تسيطر سيطرة كاملة على حركة النشر سواء فى الصحف أو المجلات أو الكتب، وكان الرقيب هو الناشر الحقيقى وراء كل الأعمال التى صدرت خلال تلك الفترة.

ولعلى لا أضيف جديداً إذا قلت أن الكتاب كان يمر على الرقيب ثلاثة مرات، الأولى عندما (ينوى) الكاتب تقديمه إلى المطبعة والثانية بعد أن صار (مشروعا) يرسل إلى الرقيب(بروفات الكتاب) والمرة الثالثة قبل طرحه للتداول بين الناس والويل كل الويل لمن يخالف هذا، وقد تعاملنا مع هذا النظام، وأذكر أنى كنت أعانى من ارسال (مجلة القصة) التى

كانت تصدر شهريا عن نادى القصة وكان يرأس تحريرها يوسف السباعى، وأذكر أن الرقيب أوقف صدورها ذات مرة لأن أحد القصص كانت تتحدث عن (شرطى المرور) الواقف فى أحد الميادين وهو ينظر الى أثنين من العشاق، ويومها غضب الرقيب وطالب بحذف هذا المقطع من القصة حتى يسمح لنا بإستكمال الطبع.

إلى هذا الحد كانت الرقابة تقف بجوار الأمية التى تزداد رغم العدد الهائل من المدارس والغريب أن تصل الأمية إلى ٧٨٪ من عدد السكان، وهذا حسب إحصاء عام ١٩٨٦ وكما جاء فى بحث الدكتور مختار فى بحثه القيم عن الأمية.

أننا أذ نذكر كل هذا فى مقدمة كتابنا، فإننا ما قصدنا التهويل إنما نهدف الى لفت الأنظار إلى مشكلة الكتاب وبالطبع أولها عدم سهولة وصول الكتاب الى القارئ.

وقد حاولنا خلال بحثنا هذا جمع الكتب الثقافية أو كتب الإبداع التى أصدرت خلال أعوام قليلة ماضية، ولابد أن نذكر فى البداية أن كل كتاب له شخصيته المستقلة التى حاولت الحفاظ عليها..

ولكن.. ليس كل كتاب يصلح للعرض أو حتى للمطالعة.. فما أكثر الكتب التى تنشر وما أقل الأنفع منها والأفضل لهذا

كان اختيارنا لعدد قليل من الكتب قدمناها على أساس أنها فعلا كتب قيمة..

والكتاب مثل الانسان، يعطيك ويأخذ منك، والكتاب الذى يعطى قليل عدده نادرٌ وجوده، أما الكتاب الذى يأخذ منك ولا يعطيك فكثير عدده يزاحمك وجوده، وذات مرة أقسمت أن أقذف بأحد الكتب التى أهديت اليَّ الى أعمق بئر، وكنت ذاهبا فى رحلة إلى بحيرة السد العالى، وهناك فى وسط البحيرة قذفت بالكتاب، وندمت بعدها، فقد عانت مصر من قلة مخزون الماء فى البحيرة سنوات عدة، من بعدها حاولت تجنب الاحتكاك بكتاب من هذا النوع.. وأخذت أنقب عن الجيد من الكتب فلم أجد إلا قليل منها ولهذا كان هذا القليل قيماً.

فتحى سلامة

١ ــ نظرة عامة

سوف نقدم هنا عرضا سريعا لمشكلات الكتاب وربما تفيد في دراسة تحديد القيمة العلمية والفكرية والادبية للكتاب وقد جاء في تقرير المجالس القومية المتخصصة.

ظل الكتاب المصرى كوعاء لفكر وإبداع الإنسان المصرى، يحتل مكان الريادة والصدارة فى كافة أرجاء الوطن العربى، وعلى مدى سنوات طويلة حتى بدأت عدة متغيرات تؤثر على هذه المكانة وليس فقط فى الخارج بل وفى الداخل أيضا، وهى متغيرات تتعلق بمضمون وظروف مراحل التطور الإجتماعى والاقتصادى والمناخ الثقافى داخل الأقطار العربية أو فى مصر ذاتها، مثلما تتعلق بالتطورات الحديثة فى إنتاج الكتاب من حيث الخامات والمعدات والأيدى العاملة وأساليب التسويق والتوزيع..

يضاف إلى ذلك ظهور عدم توازن فى الإنتاج الفكرى بين الكتب المدرسية والكتب الثقافية حسب المقياس العام لهيئة «اليونسكو» وهو أن يشكل انتاج الكتب المدرسية نحو ٢٥٪

والكتب غير المدرسية ٧٥٪ من مجموع الكتب، حيث تنعكس هذه النسبة فى مصر وأغلب البلدان النامية فتبلغ ٧٥٪ ـ للمدرسية و ٢٥٪ لغير المدرسية تقريبا، كما يظهر عدم التوازن أيضا فى الانتاج الفكرى أفقيا ويظهر التفاوت فى تغطية حقول المعرفة المختلفة، ورأسيا فى عدم الوفاء باحتياجات مراحل العمر المختلفة من مواد القراءة خاصة مراحل الطفولة والشباب).

وقد تعمدت أن أبدأ هذا الجزء من الكتاب بهذا التنويه الذى جاء فى مقدمة الدراسات التى قدمها (مجلس الثقافة) عن الكتاب والتى استغرقت أهم ما خرجت به هذه الدراسات.

ولهذا سوف نقدم أولا صورة لمشكلات الكتاب من الناحيتين الثقافية والإجتماعية ونأخذ هذا المقطع من تقرير المجالس لعام ١٩٨١ ونصه :

ويمكن أن نجمل القضايا الأساسية المرتبطة بمشكلة الكتاب فى النقاط التالية :

ـ أننا لازلنا بعيدين عن إيجاد المجتمع القارئ فمن ناحية لم تؤد الجهود التى بذلت من أواسط العشرينات من هذا القرن إلى تحقيق الإلزام الكامل من ناحية كما أن مناهج التعليم التى نطبقها سواء فى التعليم العام أو التعليم العالى حاليا تعتمد أساساً على التلقين وتؤدى إلى سلبية المتلقى، ولم نتجه بعد

إلى أن تكون العملية التعليمية هادفة إلى تنمية نوازع الفكر والإبداع، إيجابية تركز على المفاهيم لاعلى جزئيات المعرفة..

ـ إنا لازلنا نفتقد سياسة ثقافية عامة، تجعل للتنمية الثقافية أولوية فى التنمية الشاملة إلى جانب التنمية الإقتصادية والإجتماعية، والأولى بنا أن ندرك أن الجهود والأموال التى تنفق على التنمية الاقتصادية والاجتماعية لايمكن أن تؤدى أغراضها إلا مرتكزة على التنمية الثقافية التى هى فى صميمها تنمية للإنسان فكرا وإحساسا، فهما وسلوكا.

ـ أن التأليف متروك فى أغلبه لرغبة الفرد يتحمل وحده عناء الدراسة والإبداع ومشقة مواجهة مطالب الحياة، وإحباط وصول إنتاجه ـ أن قدر له أن يرى النور ـ إلى من كان يأمل أن يجدوا فيه الفائدة والمتعة. وقد عرفت مصر فى تاريخها الحديث فترات ظهرت فيها حركات للتأليف نتيجة الإتصال بالحضارة الغربية الحديثة، أو الإتجاه إلى إحياء التراث والإصلاح الدينى، أو اليقظة الوطنية والنضال السياسى، أو التبشير بمبادئ العدالة الاجتماعية والإقتصادية والقومية العربية، واستغلال إمكانيات التأليف المتوافرة لدينا اليوم يقتضى إستحداث حركة تقوم على مشروعات كبيرة فى العلوم والفنون والآداب تواكب احتياجاتنا الحالية فى مجالات التخصصات المختلفة وفى التثقيف العام ولفئات الأعمار

والمستويات المختلفة، وفق تخطيط شامل ترعاه الدولة والمؤسسات الخاصة وتوفر له التمويل اللازم.

ولا تقتصر الحركة على التأليف وحده بل تعتمد على الترجمة فلازلنا نحتاج إلى خطة شاملة للترجمة تستكمل الجهود التى بدأت من مطالع القرن التاسع عشر لتستوفى ترجمة الأعمال الأساسية فى حقول المعرفة المختلفة وتتابع المؤلفات الحديثة فى اللغات الأجنبية.

ويظهر القصور فى توفير أنواع المكتبات فى المدارس والجامعات والمكتبات العامة ومكتبات البحث، لتيسير المراجع والمصادر ومواد القراءة من ناحية، وتوسيع شبكة توزيع الكتاب وزيادة النسخ المتاحه منه من ناحية أخرى.

وتحتاج المهن المختلفة المرتبطة بالكتاب، إلى إعداد فنى خاص على المستويات المختلفة للقوى البشرية، فالطباعة مثلا تحتاج فى المستوى الأعلى إلى : مهندسين متخصصين فى الإنتاج والميكانيكا والكهرباء والالكترونيات، وفى المستوى المتوسط إلى : فنيين من خريجى المدارس الصناعية لتولى مهام الانتاج وفى المستوى الأدنى إلى : مساعدين من مراكز التدريب المهنى، كذلك يحتاج الامر إلى: دراسات متخصصة، ودورات تدريبية وحلقات تعليمية لإعداد المؤلفين والمحققين والمترجمين لأنواع معينة من الكتب، وخاصة الكتب التعليمية وكتب الأطفال، وغيرها.

أما على المستوى الخاص لمشكلات الكتاب الفنية من حيث الخامات والآلات والتوزيع: فيتوقف قدر كبير من النجاح فى خفض تكلفة الكتاب على توفير الورق، الذى يمثل نصف تكلفة الكتاب بأسعار مقبولة، وذلك بتوجيه إهتمام خاص إلى استخدام الخامات المحلية لإنتاج الورق الميكانيكى من خشب الكافور اليوكاليبتوس، واستخدام مصاصة القصب لصنع ورق الصحف الذى يستورد كله الآن من الخارج. وكذلك التوسع فى إنتاج أنواع الأحبار لطباعة الأوفست، وانشاء شركات مشتركة مع المنتجين العالميين لأوراق البروميد، وأفلام الليثو والزنكات المحسسة، للوفاء باحتياجات الإنتاج المحلى وللتصدير.

ويعتبر التوزيع من المشكلات الأساسية التى يعانى منها الكتاب فى مصر ويتمثل ذلك داخلياً فى مظهرين أولهما: القصور الشديد لشبكات المكتبات المدرسية والجامعية والعامة والمتخصصة، وضآلة الإعتمادات المخصصة لها. فى حين أن المكتبات هى الأساس فى النظام القومى للمعلومات الذى يعتبر المصدر الثالث للثروة القومية بعد المصادر الطبيعية والمصادر البشرية والثانى: الإعتماد على الشبكة التقليدية المحدودة من مكتبات البيع، فهى قليلة العدد محدودة القدرة، مركزة فى العاصمة كذلك فإن شبكة توزيع الصحف لا تعنى إلا بتوزيع الكتب السيارة الرخيصة الثمن.

ومن هنا تنشأ الحاجة إلى إنشاء شبكة واسعة من مراكز التوزيع الخاصة للكتاب، من الأكشاك والمكتبات الصغيرة، فى الجامعات والمدارس والأندية والأسواق والأحياء وإضافة عرض الكتاب إلى ما يعرض فى المحال التى تتعامل مع الجمهور. وللصحافة ووسائل الاعلام الأخرى دور كبير فى توزيع الكتب وذلك عن طريق التعريف بالجديد منها تعريفاً دورياً منتظماً، وإعداد البرامج الخاصة بالكتب الهامة التى تصدر، وإختيار ما يعرض اختيارا موضوعياً، ومراجعة تكلفة الإعلان عن الكتب بما يتناسب مع إقتصاديات الكتاب.

أما التوزيع الخارجى فيحتاج إلى: بذل كافة الجهود لتوافر نسخ الكتاب المصرى فى أسواقه التقليدية بالبلاد العربية، وفتح أسواق جديدة فى أفريقيا وجنوب شرق آسيا، وحيث يكثر المهاجرون العرب فى أوروبا وأمريكا. وذلك عن طريق إبرام اتفاقيات خاصة مع كبار الموزعين، وإقامة المعارض الدورية، وتيسير القيود على تصدير الكتاب، وتشجيع القطاع الخاص على عمليات التجارة التى تحتاج إلى الجهد الفردى والمتابعة المستمرة والصلات الشخصية).

وكما قلنا فى مقدمة هذا الكتاب، إن مشكلة الكتاب المصرى خاصة والعربى عامة، فى حاجة إلى كثير من الجهود وقد كان لى شرف الاشتراك فى الدراسات التى قام بها المجلس القومى للثقافة والإعلام خلال سنوات أقتربت حتى الآن من ثمانية

أعوام، ناقشنا فيها مشكلات الكتاب صناعة وتأليفاً وتوزيعاً، ولكن يبدو أن هذه الدراسات ـ التى أشترك فيها علماء أفاضل وأساتذة متخصصون ووزراء وناشرون ـ فى محابس الأدراج، ولهذا أردت ذكرها فى كتابى هذا، فربما تخرج من (سريتها) إلى العلن ويهتم بها الشعب قبل أن تهتم بها الحكومة ونعود إلى دراسة المجلس القومى للثقافة والإعلام، لنجد أنه فى دراسته التى ناقشها فى عام ١٩٨٢، تعرض لمشكلة نشر وتوزيع الكتاب، فتقول الدراسة :

وفيما يلى أهم أسباب معوقات انتشار توزيع الكتاب المصرى فى الداخل والخارج :

أولا : معوقات انتشار الكتاب المصرى فى الداخل :

ـ انتشار الأمية بنوعيها، الأبجدية والثقافية، وهى أخطر معوق أمام وجود الكتاب والحد من انتشاره، فمع ارتفاع نسبة الأمية الأبجدية يضيع الجانب الأكبر من أثر الكلمة المكتوبه، بينما تؤدى الأمية الثقافية إلى ضعف دور هذه الكلمة كوسيلة من وسائل الاتصال الفكرى والحضارى.

ـ الارتفاع المستمر فى أسعار الكتب بالنسبة للموارد المالية المتاحة لمعظم القراء.

ـ صعوبات الانتاج : وتتمثل فى ضعف إقبال كبار المؤلفين والمحققين على نشر إنتاجهم لقلة العائد من ورائه، وقلة عدد

النسخ المطبوعة أو المبيعة، وارتفاع قيمة الشرائح الضريبية، وارتفاع أسعار الورق التى تضاعفت فى السنوات الخمس الأخيرة وتكاليف الجمع والطبع والتجليد والخامات اللازمة للانتاج، وزيادة أجور العمال بسبب التضخم من ناحية ولهجرة أعداد كبيرة منهم الى الخارج من ناحية أخرى وارتفاع الرسوم الجمركية على أدوات وخامات الطباعة المستوردة، وعدم وجود دعم مالى يساعد على تنشيط حركة نشر الكتاب، مما أضطر دور النشر الحكومية إلى طبع ونشر كتبها على أساس الانتاج الاقتصادى بعد أن كانت تعتبره منذ سنوات مضت خدمة عامة.

- هبوط المستوى الفنى للكتاب : ويرجع الجانب الأكبر منه إلى عدم اهتمام الناشرين بمستوى إخراج الكتاب - من حيث الطباعة والتجليد ونوع الورق حتى اصبح الكتاب المصرى بصورته الحالية فى مستوى يقل كثيراً عن غيره فى الخارج دولياً وعربياً.

- عدم توافر الصفات المهنية المطلوبة فى معظم القائمين على تسويق الكتاب : واعتمادهم فى الأغلب على الخبرة الخاصة دون استناد الى أساس من علم أو فن بالاضافة الى قلة أجورهم والحوافز المشجعة لهم على مضاعفة التوزيع نظراً لإنخفاض ربحية الكتاب.

- عدم الإهتمام بوسائل الترويج والاعلان عن الكتب الجديدة والتعريف بها سواء عن طريق الصحف اليومية لارتفاع أسعار الإعلانات فيها، أو عن طريق النشرات وقوائم المطبوعات لارتفاع تكلفتها، أو لعدم وجود مجلات ثقافية متخصصة فى متابعة حركة التأليف والنشر، والتعريف بها، وندرة ما يعرض فى الإذاعة والتليفزيون من برامج خاصة بعالم الكتب مؤلفة أو مترجمة وتعريضها لآراء كبار النقاد وأصحاب الراى.

- عدم وجود شبكة متوازنة لتوزيع الكتاب فى الداخل : فسوق الكتاب يتركز أساسا فى القاهرة والإسكندرية بل وفى بعض أحيائهما، وفيما عدا ذلك لا توجد مكتبات أو أكشاك لتوزيع الكتب بصورة متوازنة بالنسبة لتوزيع القراء سواء على مستوى المحافظات والبلاد أو على مستوى الأحياء.

- انتشار وسائل الإعلام المرئية والمسموعة : واستحواذها على رغبات وأذواق الجماهير مما اثر على مكانة الكتاب وجاذبيته كمصدر ثقافى.

ثانيا : معوقات توزيع الكتاب فى الخارج :

تتميز المعوقات التى يعانى منها المشتغلين بصناعة الكتاب من حيث انتقاله خلال قنوات التوزيع من الناشر إلى القارئ

فى الخارج فى ظروف مناسبة وبأسعار ملائمة فى مجموعتين:

الأولى المعوقات الداخلية الناشئة عن مسببات محلية واهمها :

- القيود النقدية التى تنص على ضرورة أسترداد المصدر لقيمة الكتب المصدره خلال فترة زمنية محدودة وعدم السماح بتطبيق نظام المبادلات التجارية بالكتاب العربى لتشجيع الناشرين على إقتناء وتوزيع ما يتم نشره فى البلاد الأخرى.

- تشدد الهيئة العامة للكتاب فى الموافقه على التصدير، وعدم السماح به إلا بعد الحصول على موافقة الرقابة من جهتين منفصلتين، بالاضافة الى رقابة الأزهر على الكتب الدينية المصدرة.

- تعقد الإجراءات الجمركية وطولها وتعدد الجهات التى تسمح بتصدير الكتاب باعتباره سلعة، مما يترتب عليه إما تأخير تلبية الطلب عليه أو إنصراف العملاء عن شرائه ولجوئهم إلى مصادر تزويره فى الخارج. وجدير بالذكر أن الكتاب يمر بتسعة عشر إجراءً وتأشيرة ابتداء من تعبئته حتى السماح بتصديره.

- قصور الدعاية للكتاب المصرى فى الخارج، وندرة الاشتراك فى المعارض الدولية وعدم توزيع النشرات وقوائم

المطبوعات بصفه دورية ومنتظمه فى الخارج وهبوط مستوى إخراج الكتاب المصدر وارتفاع سعره، وأثر كل ذلك فى الحيلوله دون فتح أسواق خارجيه جديدة.

الثانية : المعوقات الناشئة عن ظروف خارجيه - واهمها :

١ - الآثار السيئة لانتشار تزوير الكتاب المصرى فى بعض الدول الآسيوية والعربية، على سوق الكتاب المصرى بالخارج نظراً لارتفاع مستوى إخراج النسخه المزوره وملاءمة سعرها من جهه، ولعدم وجود إتفاقيات مع معظم هذه الدول لحماية حق المؤلف من ناحيه أخرى.

٢ - اثر ارتفاع أجور الشحن بالبريد او الطائرة على نقل الكتاب الى أسواقه، فالنقل الجوى بالنسبه للكتب المصدرة الى بعض الدول العربيه يصل إلى ٤٠٪ من ثمن الكتاب.

- وهكذا توضح تلك الدراسه القيمة الى أى مدى يعانى نشر الكتاب سواء فى الداخل أو الخارج، ثم بعد ذلك نتساءل كيف السبيل إلى تنمية ثقافية !

ماذا عن كتاب الطفل ؟

من هذه الطرق هناك عـــدة طرق للكتـــابة للطفل ـ استخلصناها بعد قراءة العديد من كتب الأطفال، اتجاه بعض الكتّاب المبدعين، وخاصة كتاب الرواية والقصة الى الكتابة للأطفال، ولكن دون إنتظام، وهؤلاء يقدمون فى الغالب الأعظم روايات أو حكايات أدبيـة، وليس لهم منهج مـعـين للكتـابة ويعتمدون على حسهم الإبداعى فقط، وهناك أيضا ، كتّاب تخصصوا للكتابة للأطفال وأعتمدوا خلال هذه الممارسة على المهارة التى أكتسبوها خلال تلك الممارسة، ثم على حضور مجموعة المؤتمرات والمعارض وكان دافعهم إلى خدمة تلك التجربة ـ دافعا ذاتياً، بالإضافة إلى وجود، كتّاب يعملون فى مجال الكتابة للطفل من خلال مؤسسة أو هيئة تقدم الموسوعات والمجلات والدوائر العلمية والأدبية، وهؤلاء يعملون من خلال خطة تلك الهيئة.

وكما جاء فى دراسة لجنة القصة للمجلس القومى للثقافة والعلوم أن عدد كتّاب الأطفال الذين تخصصوا فى الكتابة

للطفل حوالى ١٦٦ كاتباً، الكثير منهم أصبح له دراية ومهارة متميزة وهؤلاء أسهموا إسهاماً كبيراً فى تقديم ما يقرب من ١٠٠ كتاب كل عام.

وتقف عدة عوامل هامة دون إنتشار الكتابة للطفل بين الكتّاب، منها قلة العائد المادى والتقدير الأدبى الذى يحصل عليه مؤلف كتاب الطفل بحيث يعجز المؤلف عن الإعتماد على عمله والتفرغ له، وهذا يرجع الى عدم تقدير دور الكتاب فى مجال الطفل والرجوع الى عقود الناشرين يؤكد هذا، حتى أنه تصل مكافأة تأليف كتاب للطفل الى ٤٠ جنيها فقط، وأيضا قلة دور النشر المتخصصة للكتابة للأطفال والتى تعتمد على أجهزة متكاملة للكتابة للاطفال وأخيراً.. عدم إهتمام التربية والتعليم بالكتب الإضافية غير المدرسية التى تقدم للتلاميذ فى مختلف مراحل الدراسة الأمر الذى يجعل وجود جيل جديد من كتّاب الأطفال معدوماً.

فاذا تركنا المؤلف، لنرى الطفل نفسه أى من ناحية المتلقى، أى تلقى كتب الأطفال، نجد الصعوبات التالية :

١ ـ انتشار الأمية، الأمر الذى بلغ حاجزاً من عدم الاتصال بين الثقافة وأجزاء كبيرة من الشعب.

٢ ـ عدم وجود بديل لما كان يسمى (بالكُتّاب) فى القرى ـ والذى كان يقوم بتعليم القراءة والكتابة والحساب

والقرآن الكريم ـ والكثير من المدن مع عدم وجود مكتبات داخل المدارس بمختلف مستوياتها وإنعدام وجود ميزانية لتزويد المدارس وخاصة المدارس الابتدائية بالكتب، وقد وصل نصيب الطالب من ميزانية الكتاب غير المدرسى الى جزء من المليم.

٣ ـ سوء إختيار النماذج الأدبية التى تدرس لتلاميذ الصفوف الأولى فى المدارس مما يبعدهم عن القراءة.

كما جاء فى الدراسة التى قدمتها شعبة الآداب بالمجالس القومية.

٤ ـ ندرة المكتبات العامة، وندرتها فى بعض المدن والمراكز حتى إذا وجدت هذه المكتبات فلا يوجد بها ما يشبع رغبة الأطفال فى القراءة.

٥ ـ إرتفاع سعر كتاب الطفل وإحجام الآباء عن الشراء.

٦ ـ بالإضافة الى أن هيئات رعاية الشباب والتربية الرياضية والكشفية وكذلك الثقافة الجماهيرية وأيضا المؤسسات العمالية والإقتصادية لا تهتم باقامة مكتبات للأطفال داخل مؤسساتها الرياضية والاجتماعية.

القراءة فى الصغر

وحتى تكتمل دراستنا حول عادة القراءة، وحتى نقبل على بقية كتابنا والذى خصصناه لعرض أهم الكتب التى تناولناها بالعرض والتحليل خلال سنوات طويلة نشر معظم تلك الدراسات بجريدة الأهرام وأيضا بعض الجرائد العربية فاننا نحدد من الآن أن أخطر القضايا التى تواجهنا ونحن نتحدث عن القراءة وعادة القراءة بعد أن تحدثنا عن مشكلات الكتاب، تلك قضية ماذا تقرره وزارة التربية والتعليم من كتب على تلاميذ مدارسها؟ لأن من تلك المدارس يبدأ التعليم للصغار وعادة القراءة، وفى هذه السن الصغيرة يمكن تطويع عادات الطفل بحيث تتمشى مع أهم الحاجات الأساسية للطفل ولم تكذب جدتى عندما رددت المثل القائل (التعليم فى الصغر كالنقش على الحجر)، ورغم تحفظى الشديد على هذا المثل الا انى الآن فى حاجة إليه - لكى أؤكد أن عادة القراءة لابد من (تعليمها) للطفل وهو لا يزال فى سن مبكرة وهنا تكمن أخطر قضايا القراءة والكتاب ذلك لأن السؤال الذى يفرض نفسه هو: ماذا يقرأ التلميذ فى المدرسة؟ ما هى أنواع الكتب

والموضوعات التى (تقرر) ضمن المواد الدراسية أو (توضع) أمام التلميذ لكى يقرأها وهذا السؤال أجابت عنه الأبحاث التى قمت بها مع الزميل محمود العزب بهيئة الكتاب، وكان ملخص تلك الأبحاث ما يلى :

١ ـ عدم وجود منهج محدد واضح لواضعى هذه المقررات وأنها متروكة لبعض المسابقات الروتينية أو الاجتهادات الفردية مما أوقع هذه المقررات فى العديد من الأخطاء، ولم تعتمد اختيار المقررات خاصة تلك التى يمكن تسميتها بالقصة على منهج علمى واضح، فلا اعتمدت على المنهج اللغوى الذى هو فى الأساس المنهج المتبع فى الدراسات اللغوية، ولا اعتمدت على أى منهج علمى آخر، فكان نتيجة هذا وقوعها فى تضارب بين ما هو مقرر على الصف الثالث والصف الخامس مثلا.

٢ ـ أثبتت الدراسة أن واضعى المقررات لم يستفيدوا من النتائج الحديثة لعلوم التربية والنفس والاجتماع ولهذا جاءت مجرد كتابات أملاها مؤلف.

وتقول الدراسة، المنشورة ضمن مطبوعات المجالس القومية والتى قام بها الباحثان محمود العزب وفتحى سلامة ما يلى:

من المفروض أن تكون الكتب المدرسية، وخاصة تلك التى تهتم بموضوعات القراءة، والقصة بوجه خاص، تسهم بقدر كبير فى تنمية الدائرة اللغوية للتلاميذ كما تسهم أيضا فى

تنمية القدرة على التذوق الفنى، بالإضافة الى تنمية المدارك وزيادة الجرعة العلمية والمعرفة بشتى الوانها.

وهذا يتوفر فى الكتب ذات المستوى والتى لها خصائص مميزه تجعل منها وسيلة جديدة وفعالة لما سبق الإشارة إليه.

ولكى نصل إلى تحديد الخصائص المميزة لهذه الكتب، وهى الكتب التى تقرر على التلاميذ والتى تحتوى على مواد القراءة المختلفة وخاصة القصة التى تهتم بها اهتماما خاصاً فانه يجب فى البداية تحديد (معيار) نقيس عليه وبه هذه الكتب ونحدد وفقا لذلك القواعد التى يجب توافرها.

وقد تلاحظ ـ فى هذا المضمار ـ عدم وجود دراسات كافية تحدد هذا المعيار وبالتالى تحدد القواعد التى يجب مراعاتها عند إعداد هذه الكتب مع مراعاة كل مرحلة تعليمية وسنية وبحيث تتناسب مع الهدف الذى يجب أن تصل اليه مدارك التلميذ فى كل مرحلة بحيث تؤدى كل مرحلة الى ما بعدها.

وعلى الرغم من الميل الطبيعى لدى الأطفال عموما الى القالب القصصى، وهو أمر اثبتته الملاحظة العلمية، ان القوالب القصصية، مع التساهل حول شكلها الفنى تكاد تكون مختفية فى كتب القراءة أو بين النصوص المقررة للقراءة فى الصفوف الأولى من المرحلة، حتى تلك التى اخذت الى حد ما شكل او

قالب القصة خرج من إطارنا وتحول الى مجرد وصف، مثل زيارات المدن المقررة فى قراءة الصف الثالث.

ويمكن تركيز الأمر على خاصتين هامتين :

أولا : اللغــة :

واللغه، والمقصود هنا باللغه هو إكساب التلميذ القدرة على التزويد بمفردات جديدة وتنمية هذه الحصيلة بحيث تصل به الى درجة إجادة معرفة اللغة العربية السليمة، بجمالها الأدبى، واسلوبها، مع الاهتمام بتركيبها النحوى والبلاغي، حتى يتسنى للطفل إدراك هذا كله ليكون مستعدا لتلقى علوم اللغه العربيه، على مختلف مستوياتها المتتالية بعد ذلك.

ولكن من خلال الدراسة، دراسة النصوص المقررة، تبين عدم الالتزام بمنهج واضح، وأن هذه النصوص اعتمدت على أذواق مختلفة تدل فقط على ذوق واضع أو مؤلف النص، أو بعبارة أدق تعتمد على (لغة واضع النص) التى أحيانا ما يكون بها العديد من عيوب الأسلوب أو عيوب بلاغية.

ثانيا : المحتوى أو المضمون :

وإذا كنا نهتم بالصياغة الأدبية وهى أقرب المصطلحات التى يمكن أستخدامها لتحديد الهدف من التنمية اللغوية لدى

التلاميذ، بحيث تتصاعد هذه التنمية وتحقق فى النهاية الهدف العام من تدريس اللغه العربية السليمة فإن المضمون أيضا، له نفس الأهمية، لأنه سيحقق الفائدة الأشمل والأعم وهى تنمية مدارك التلاميذ وزيادة الجرعات العلمية والمعرفة، والثقافة بكل ألوانها.

وقد تبين من خلال دراسة المضمون فى الكتب المقررة على الصفوف حتى الصف السادس الابتدائى ما يلى :

١ ـ تضارب المعلومات، وأختلاف الآراء، التى تعبر عن الكاتب كفرد، وكان لهذا أثره السيئ على التلاميذ، لأن تضارب المعلومات أوجد لوناً من ألوان الشك، وبالتالى أحجم التلاميذ عن (حب) هذه القراءات، وكانت بالنسبة لهم مجرد (واجبات مدرسية).

وأختلاف الآراء التى يدسها مؤلف القصة عادة، والتى لاحظناها خلال الدراسة، أدت هى الأخرى الى عدم تحقيق الفائدة المرجوة من تدريس هذه المقررات.

٢ ـ اعتماد معد أو مؤلف هذه المقررات على معلومات سطحية يكتشف التلميذ سذاجتها.

٣ ـ عدم الاهتمام بالمعارف المستحدثة والتى أقتحمت دائرة تفكير الطفل أو التلميذ من خلال أجهزة حديثة مثل التليفزيون والفيديو.

٤ ـ تكرار مقولات علمية ثبتت عدم صحتها أو تغيرت بسبب التطور العلمى الحديث.

٥ ـ تكرار سرد المعلومات أو وصف الأماكن من مقررات فصول مختلفة والاكتفاء بتعديل الأسلوب.

٦ ـ عدم الاهتمام بإكساب التلميذ خبرات جديدة وإكسابه المبادئ التربوية الجيدة.

٧ ـ عدم الاهتمام بتلقين المبادىء الانسانية التى تزرع فى التلاميذ منذ الصغر الإنتماء للوطن وللأسرة.

٨ ـ عدم تناسب مادة أو موضوع القصص مع خصائص المرحلة السنية وما يستلزم هذا من إتباع منهج تربوى على أساسه نعطى للتلميذ كل حسب عمره وخصائص هذا العمر.

وعلى هذا الأساس فإن مواد القراءة، سواء كانت قصة أو ذات شكل أو قالب قصصى، ليس لها منهجا محددا وبالتالى لم تنجح فى تحقيق الهدف المنشود من تدريس هذه المواد، بل وقد لاحظ الدارس خلال قيامه بالزيارات الميدانية أن مدرسى اللغه يعمدون الى تكرار الجمل، وتلقينها ليحفظها التلاميذ، وأنه من بين العديد من المواد المقررة القليل الذى استهوى التلاميذ، بالإضافة إلى سوء طباعة الكتب للصف الخامس، ورداءة الشكل الفنى لمعظم كتب الفصول.

* **الاهتمام باختيار أفضل الكتب :**

بالإضافة إلى المواد المقررة للقراءة سواء كانت قصة أو على شكل قصة، فأنه تدرس بعض الكتب المختارة للدراسة أيضا مثل قصة عقلة الأصبع للأستاذ أحمد نجيب وكتاب أبى ذر الغفارى محامى الفقراء للأستاذ فايد العمروسى وهما مقرران على الصف الخامس أما الصف السادس فالمقرر يحتوى على:

١ ـ رفاعه الطهطاوى للأستاذ ابراهيم عزوز.

٢ ـ حياة محمد فى قصص للأستاذ عبدالتواب يوسف.

ومن الدراسة تبين ما يلى :

أولا : الاختيار نجح فى حالات مثل (عقلة الأصبع) و(حياة محمد فى قصص) وذلك أنهما تناسبتا مع مدركات المرحلة السنية للتلاميذ وفى نفس الوقت أشبعتا متطلبات علمية ودينية لدى التلاميذ.

بينما فشل الاختيار الذى وقع على قصة (ابى ذر الغفارى) فهى قصة صراع دينى طائفى تناولها المؤلف من خلال فكره الخاص، وحياة أبى ذر خضعت لروايات كثيرة وتفسيرات عدة. وقد امتلأت الرواية بالعديد من مواقف الصراع المشكوك

فى صحتها، الامر الذى لا يتناسب مع الهدف التربوى الذى من أجله تم اختيار هذه الكتب.

ثانيا: أن الهدف العام من دراسة مثل هذه الكتب يجب أن يخضع كما سبق القول لمنهج علمى يحدد فى البداية للأهداف التربوية التى من أجلها نحدد كتاب بعينه، ومنها أيضا مدى ملاءمة الكتاب لمتطلبات التنمية العقلية للتلاميذ بحيث، يمكن القول أن الكتاب يقدم أجوبة شافية لأسئلة التلاميذ التى تلح عليهم فى هذه السن والتى تدور حول العالم الذى يعيشونه وارتباط الحاضر بالماضى والاستعداد للمستقبل، ولا يكفى فقط أختيار عمل لمجرد أنه يقدم بطلا دينيا أو وطنيا.

ثالثا: أن خطورة هذه الكتب تكمن فى كونها نماذج يراها التلميذ ويسعى الى تقليدها سواء فى الكتابة أو فى الانماط السلوكية، بل وهى الركيزة الوحيدة لدية لتعليم ممارسة الأدب إذا كان هاوياً، وتعده لاستقبال المقررات التى من المفروض أنها أكثر كثافة فى مراحل التعليم التالية، لهذا تبين من الدراسة غموض اللفظ وصعوبة معناه عند التلميذ وعدم الأخذ فى التدرج من مفردات اللغة بحيث تتزايد الحصيلة اللغوية للتلاميذ على مدى مراحل تعليمه المتتالية لأن صعوبة المعنى وغموضه يجعل التلميذ نافراً من دراسة لغته الأساسية)

وانتهت الدراسة الى وضع عدة توصيات منها:

١ - من الضروري الاهتمام في الأساس بوضع منهج علمي على أساسه يتم إعداد وتأليف وإختيار مواد القراءة وخاصة القصة أو الأشكال التي لها خاصية القصة على أن تقوم مجموعة من علماء اللغة والإجتماع والدين والإقتصاد والتربية وغيرهم بوضع هذا المنهج وأسسه التي يجب إتباعها بعد ذلك.

٢ - لأهمية القصة وأثرها الذي لا ينكر فان اختيار المواد القصصية سواء التي تقرر على شكل كتب مستقلة أو ضمن كتب القراءة يجب أن يراعي فيها الشكل الفني والمواصفات الفنية للقصة باعتبارها النموذج الوحيد أمام التلاميذ وهم قراء وأدباء الغد.

٣ - تكوين لجنة دائمة من رجال الأدب والدين وعلم النفس والتربية والاجتماع والعلوم بإختيار المواد المقررة ومتابعة الإشراف عليها وفقا للأسس العلمية التي تُمكن الطفل من التطور والارتقاء.

٤ - الاهتمام بالقراءة الحرة وذلك بضرورة العودة إلى إنشاء مكتبات الفصول أو على الأقل مكتبات المدارس بحيث تزود بالعديد من كتب ومجلات الأطفال، وعلى أن يخصص وقتا ضمن الوقت الدراسي للمناقشة حول هذه القراءات.

٥ - زيادة مكافآت تأليف كتب القراءة أو الكتب التى يقع عليها الاختيار لتدريسها، مع إفساح المجال أمام كل الأدباء، والكتاب للاشتراك فى تأليف هذه المقررات، وفقا للقواعد التى تحددها اللجنة التى أشرنا اليها فى التوصية الأولى.

وأخيرًا...

رغم أن هذه الدراسة وغيرها، والتى أقرها المجلس القومى للثقافة وأصدر بها عدة توصيات، إلا أننا لا نزال فى حالة دهشة من استمرار الحال كما هو عليه، ثم بعد ذلك نشكو من الأمية الثقافية !

والأدب أيضاً...

عندما هبطت الطائرة على أرض المطار انفتح الباب ورأينا شارعا ممتداً ولم يكن هناك سلم بل شارع أسلمنا إلى ممر متحرك طويل ثم ميدان واسع تتفرع منه عدة حارات لكل حارة حرف تأخذ إحداها فتقذف بك خارج مطار فرانكفورت وأنت لا تستخدم فى عبور كل تلك الممرات أو الحارات سوى عينيك. تقرأ بهما الكلمات بل أن شئت الدقة الحروف الدالة على الكلمات فالحرف طريق المعرفة ووسيلة الوصول إلى الغاية فإذا ودعت المطار فأنت وحروف الهجاء تأخذك حيث أردت أو تبعدك عن غايتك ان أخطأتها فأمامك شبكة من الحروف وسلسلة من الأرقام تقودك حتى تصل إلى الجامعة أو المستشفى أو إلى ما ابتغيت من تلك البلاد وفى كل تنقلاتك تجد أمامك حروف الكلمات مؤكدة ذلك أنك واصل بفضلها والويل لك إذا كنت عديم الحظ ولم يلحقك أمان العلم فلن تصل أبدا.

وكلما توغلت فى دروب الحروف سلكت بك طرقاً من المعرفة لا نهاية لها منها ذلك الدرب الطويل الذى يكمن فيه سر

الحرف نفسه وهو درب الأدب. فهو بداية الحرف وأيضاً منتهاه.

وعندما تجد نفسك، كما وجدت أنا نفسى مشتتاً داخل متحف برلين فلا ملجأ لك إلا حروف الكلمات فلا مرشد بصوت مزعج ولا حتى مناد يخافت باسم ماتراه.

فكل شئ هنا قد عرض أمامك رسماً أو مجسداً.. وعليه حروف الكلمات تعطيك من فيضها ما يرفعك إلى مصاف الانسان ومايحدث داخل المتحف الكبير فى برلين ونظيره فى هانوفر أو هامبورج يحدث مثله فى محطات المترو والأتوبيس حيث تتساوى أهمية الحروف فيها تفهم التمثال وتاريخه وبها أيضاً تعرف مركبتك وإلى أين تأخذك وكذلك فى مدرجات الجامعة فى بون وشتوتجارت. وفى استاد ميونخ الرياضى وفى كل تلك الأماكن تجد حصانك مكوناً من حروف كلمات الهجاء التى تتكون منها الكلمة والكلمة هى الأساس. أساس كل الحضارات والحضارات كلّ لا يتجزأ ولا ينفصل عن البعض الآخر تبدأ بالحرف وتنمو بمعرفة الكلمة وبالكلمة تشق طريق لك خلال تلك الشبكة المتلاطمة من خطوط المترو فى برلين وأنت فى حاجة اليها لكى تدير بها الآله التى تعمل بها أو عليها كما أنت فى حاجة اليها عندما تقف أمام آلة حجز تذاكر الأوتوبيس وكلما تطور استخدام التكنولوجيا... إحتاج

الانسان الى الكلمة والكلمة هى تلك العصاه السحرية التى فتحت أبواب كل حضارات العالم السابقة منها صنع المصريون القدماء أعظم الحضارات للتاريخ وبها وقف اليونان يتباهون وعليها بنى الرومان مجدهم وبالكلمة نزل القرآن تشريفاً لها وتعظيماً وبها ساد المسلمون وبها تعلموا وعلموا.

وبالكلمة ايضا أرتقى الغرب وصارت له فنونه وثقافاته التى يتباهى بها على شعوب العالم اليوم فالكلمة معرفة وثقافة والكلمة أدب الشعوب والأدب أصل وأساس كل تلك الحضارات وما أرتفعت حضارة وما نمت إلا وأساسها كان الأدب وفنونه فإذا ذبل أندثرت تلك الحضارة وانمحت.. والتاريخ خير شاهد..

لهذا لم أدهش عندما أهتم علماء الاجتماع والدراسات الانسانية بالأدب. وجعلوا منه نواة التطور، بل أسس علماء الاجتماع مذهباً فى النقد الادبى وهو نظرية البنوية ثم بعدها تبنوا مبحث الواقعية الإشتراكية وتطورت الدراسات الإجتماعية تطوراً كبيراً فى كل الميادين مؤكدة الأدب كأساس ووسيلة للنمو الجمعى.

وفى المناقشة التى حضرتها حول بحثى الذى قدمته للجامعة عن أثر التقوى على السلوك الانسانى من وجهة نظر الاسلام كانت المناقشة تجرنا دائما نحو وظيفة الأدب الإبداعى

وأهمية تلك الوظيفة فى تنمية الحس الانسانى وتأهيله لتقبل احكام العدالة وتمسك علماء الإجتماع فى العالم الآن بأهمية التثقيف كأساس للتنمية الإجتماعية وأيضا كوسيلة للنمو الاقتصادى والسياسى وكل نواحى الحياة أكدته أبحاث علماء البنك الدولى وكذلك علماء منظمات الزراعة والسكان والصحة التابعة لهيئة الأمم المتحدة وأصبح لا مفر أمامنا من الأخذ بنظام التثقيف الأساسى لكل المواطنين.

لهذا وقفت طويلاً أمام أهمية حروف الكلمات التى تقود الانسان فى كل دروب حياته حتى ينتج أفضل وأيضا يستهلك أفضل وبالتالى يسعد بحياته أفضل.

والأدب على هذا النحو ليس أمراً جمالياً او كمالياً كما نريد أن نتوهم نحن ولا يحتل من حياتنا إلا النزر اليسير. بل هو كما قال توفيق الحكيم (مصلح المصلح) فهو الذى يقود حركة التطور وفى برلين تخصص الحكومة مكاناً فى غاية الجمال لسكن الأدباء والعلماء وتحيطهم بكل رعاية ممكنة وكذلك تفعل الكثير من الدول، بينما يجد المواطن العادى كل التسهيلات الممكنة لدخول المعارض والمتاحف والمكتبات العامة، وعندما تجد سرباً من الأطفال فى معرض أو متحف يحاولون قراءة ما هو مكتوب فانك لا تدهش إذا تخيلتهم فى شبابهم علماء وأدباء وعباقرة.

وعندما زرنا معرض الكتاب الدولى فى فرانكفورت حاولت أن أقيس حضارة كل أمة بعدد الكتب الجديدة التى أخرجتها مطابعها خلال عام واحد ولم أدهش عندما رأيت زميلى الانجليزى جيمس ورث ثائراً على موطنة إنجلترا لأن مطابعها لم تقدم سوى ٣٩ ألف كتاب جديد وعندما جاءت بقية الإحصائيات ورأيت الرقم المتناهى فى الضآلة أمام أسم بلدى تواريت خجلاً وخرجت معتذراً بحجة واهية.. فزميلى الباحث الانجليزى لا يعلم أننا هنا لا نعتمد على قراءة الكلمات فى حياتنا إنما على سماعها من الميكريفونات مضخمة مكبرة حتى يفهمها كل منا وفق هواه.

ونعود إلى متعة القراءة متعة لا تعادل أية متعة أخرى، إنها تنقلك إلى عوالم مختلفة تجوب بك الأرض طولاً وعرضاً تعيد لك رواية التاريخ وكأنك تعيش فى كل العصور ورأيت كل الملوك والقادة والزعماء الذين أسهموا فى صنع تاريخ الأمم كما أنها تتيح لك رؤية الحقائق العلمية والاطلاع عليها فإذا أنت قد تفتحت أمام عقلك آفاق جديدة زدت بها علماً وانتفعت بها فكراً ويؤثر ذلك فى شخصيتك ويجعلك قادراً على مواجهة الواقع وعلى التخطيط الافضل للمستقبل.

ولكن ماذا تقرأ؟ هذا هو السؤال الصعب وخاصة فى الصيف والاجازة طويلة وخاصة إذا كنت تعيش ـ كما عشت

أنا - فى قرية بعيدة عن لهو المدينة أو على الأقل تعيش فى عاصمة من عواصم الأقاليم الأمر فى النهاية يرجع إلى ما تختاره من كتب لأنه إذا كانت القراءة متعة فاختيار ما تحب قراءته منفعه ورب قراءة قد تطول إلى عشر ساعات وتستمر الشهور الطوال، ثم إذا بها هواء فاسد يكتم الأنفاس أو هواء ريح قادم من جبل.

لهذا أرشح لك عدة كتب سيكون بها التأثير الطيب على فكرك، وستكون حصان متعة لك فى الصيف، أخترتها زهيدة الثمن متوفرة فى المكتبات..

نبدأ بالتاريخ، فهو أقرب إلى الحكايات وأكثر غنى بالحكمة ويعطى القارئ الاحساس بالتسلسل المنطقى لتطور الحياة، ولا شك أننا تعرضنا لموضوع الامبراطورية الرومانية، سواء فى كتب التاريخ المقررة وفى كتب الفلسفة والمسرح وما الى ذلك ولاشك أن هناك سؤالا هاماً: لماذا أندثرت الامبراطورية الضخمة؟ وما هى أسباب سقوطها، بل فى أول الأمر كيف نشأت وكتاب «اضمحلال الامبراطورية الرومانية وسقوطها» يأخذك إلى عوالم البطولة، والنصر والهزيمة والخيانة والحب والصداقة وهو يقع فى ثلاثة أجزاء مجموع صفحاتها يقرب من الفين من الصفحات بالقطع الكبير ولا يتجاوز سعره ثلاثة جنيهات وعشرين قرشا وربما تكون محظوظا وحصلت على خصم لو أنك اشتريته فى مناسبة من المناسبات.

ونستكمل القراءة فى التاريخ فأقدم لك مجلدين يحتويان على ملخص موسوعى لتاريخ مصر منذ الحضارة الفرعونية الأولى وحتى التاريخ الحديث، وقد أعد الدراسة مجموعة من الأساتذة كل فى مجال تخصصه وتستطيع أن تقلب فى المجلدين فتجد علوم الطب والهندسة والفنون والسياسة بل وأغانى الحب والأفراح وطرق الزواج كل هذا وتلك فى كتاب «طريق الحضارة المصرية» الذى قام بوضعه نخبه من المتخصصين وتبلغ صفحات المجلدين ما يقرب من ألف وخمسمائة صفحة ولا يزيد ثمنه على جنيهين.

نترك التاريخ لنحاول دخول عالم الفن والأدب وأقصر الطرق التى تؤدى الى المعرفة الأدبية هى الاطلاع على كتب الابداع الأدبى ذاتها، وهنا نجد مؤلفات توفيق الحكيم فى طبعتها الشعبية وكلمة شعبية هنا تدل على رخص الثمن لا على رخص الكتاب، طبعت فى أجزاء لا يزيد ثمن الجزء على عشرة قروش أو خمسة عشر قرشا وكذلك مؤلفات يحيى حقى، وثروت أباظة، وسعد مكاوى وغيرهم..

ومعرفة الشخصيات التى كان لها تأثير كبير على مجرى الأحداث فى بلادها والأحداث فى العالم كله عندما كانت الحضارة العربية هى الأسبق والأكثر سيطرة تزيدك علماً بحضارتك والتى نأمل أن تجدد أنت نشاطها، وهناك سلسلة من أنجح السلاسل التى قدمتها المكتبة العربية فى زمن مجدها

ولاتزال تباع حتى الآن بنفس السعر الزهيد وهى سلسلة أعلام العرب، والكتاب الواحد منها يتراوح سعره من عشرة قروش إلى خمسة عشر قرشاً، وتجد فى هذه السلسلة دراسات قيمه عن ابن خلدون شـيخ علم الاجـتـمـاع العـربى، وأبى العـلاء المعرى، والجاحظ، والسيد البدوى، والخنساء، وشاعر الرسول حسان بن ثابت، وغيرهم.

الكتاب بين المتحف والمعرض

يعد معرض الكتاب الدولى بفرانكفورت أهم معارض الكتب فى سلسلة المعارض الأوربية وكان يتخذ فى الماضى القريب سياسة خاصة وهى تخصيص موضوع واحد يكون هو أساس المعرض، وتتبارى المؤسسات والشركات ودور النشر من خلال هذا الموضوع وتعد مصر من أهم الدول المشاركة فى هذا المعرض ويعد جناح مؤسسة الأهرام من أهم الأجنحة حيث يمثل العديد من دور النشر كما أنه بحكم اتصالات المؤسسة عالمياً يستطيع ان يقدم افضل ما ينشده المثقف والزائر للمعرض بفرانكفورت وكذلك جناح هيئة الكتاب التى تهتم بالاشتراك السنوى حيث تعرض انجازاتها وخاصة فى ميدان نشر التراث العربى.

والزائر لمعرض الكتاب الدولى يجد العديد من التسهيلات سواء فى سرعة الانتقال من جناح إلى آخر أو فى معرفة أحدث الإصدارات العالمية من الكتب والأبحاث وخاصة فى ميدان (التعليم) وكتب الأطفال حيث تحظى كتب الأطفال باهمية بالغة وتخصص كل دور النشر المشتركة اماكن خاصة لعرض

كتب الأطفال وتحرص الدور الألمانية على إهداء نسخ من كتب الأطفال إلى زوارها الصغار بل تقدم لهم أفلام الكارتون من خلال أجهزة الفيديو المعدة لذلك وهدايا تشجعهم على دوام زيارة مكتبات دور النشر.

ومن أهم إنجازات هذا المعرض الدولى الندوات التى تعقد خلاله ويتم فيها مناقشة مشاكل النشر الأخرى المتعلقة بالكتاب وفى العام الماضى. وخلال وجودى أقيمت ندوة حضرها مندوبو دور النشر العالمية حيث قدم كل مندوب إحصائيات كاملة عن الكتب التى تم نشرها لأول مرة وعن المبيعات وبالطبع فان الاتحاد السوفيتى يعد من أكبر دول العالم إصداراً للكتب فى جميع المجالات وخاصة مجالات الأطفال يليه الولايات المتحدة الامريكية ثم انجلترا وفرنسا وبالطبع تتراجع دول العالم الثالث تراجعاً غريباً.

وخلال هذا العام تقدمت الولايات المتحدة وفاقت الاتحاد السوفيتى فى بعض المجالات وخاصة الكتب الجادة والدراسات الفلسفية والأدبية، وذكرت الإحصائيات أن اهتمام دور النشر بتلك الدراسات جاء نتيجة تنمية الوعى الثقافى وتخطى شباب أمريكا أزمة (السندوتش الثقافى).

وتبقى مشكلة المكتبات حيث أن هناك العديد من الآراء يفرق بين وضع الكتب والاحتفاظ بها فى مكتبات عامة أو

خاصة ولأن الاقبال على الشراء والاحتفاظ بالكتب ليس معناه - على الاطلاق - إرتفاع مستوى الاطلاع.

لهذا تحاول مجموعة من الدارسين تقديم مشروع بالمكتبات المفتوحة التى تمول عن طريق المؤسسات العامة.

وقد ظهرت فى المعرض الصورة الجديدة للكتب وهى الكتب المسجلة سواء بالفيديو وهى تحتوى على الصورة والصوت وقد تم تسجيل مجموعة كبيرة من كتب الأطفال ودوائر المعارف العامة أما التسجيلات الصوتية فقد تطورت تطوراً كبيراً وأصبح فى الإمكان وجود المجموعات الكاملة من الأعمال الأدبية العالمية.

لقد تطورت عملية النشر تطوراً كبيراً ساهم فى ذلك تطور ونمو تكنولوجيا الطباعة ولوازمها الأمر الذى يجعل من عملية النشر عملية معقدة فى حاجة إلى تحول كبير. ومع هذا فأن الكتاب المصرى رغم كل شئ مازال فى الصدارة رغم كل الصعوبات التى تقابله والتى نتمنى أن تزول قريبا.

محمد «عليه الصلاة والسلام»
فى الشعر العربى الحديث
حلمى القاعود

كان لحلمى القاعود إسهامات مميزة فى عالم القصة ولكن الدراسات الأدبية بحكم تخصصه العلمى أخذته بعيداً عن ذلك العالم الذى كان يرحب به قاصاً ترحيباً حاراً ولو تفرغ للدراسات الأدبية فقط لما شغلته عن كتابة القصة ولكن إهتماماته الصحفية وخاصة معاركه الصحفية هى التى أبعدته عن الاثنين القصة والدراسة الأدبية لهذا كانت سعادتى بكتابه الأخير (محمد «صلى الله عليه وسلم» فى الشعر الحديث) لأنه أعاد لنا دارساً منصفاً نحن فى حاجة إليه فى عالم قلّ فيه الإنصاف.

والكتاب يضم دراسة جادة وقيمة حول الشخصية المحمدية فى الشعر العربى الحديث حاول فيها الدارس تأكيده على مبحث جديد استطاع اشباعه بتحليل النصوص الشعرية التى توصل اليها لبيان الشخصية المحمدية وقد حدد الفترة

التى تناولها بالدراسة بالقرن الرابع الهجرى يقول (وقد رأيت أن يكون بحثى شاملاً ويغطى الاعمال الشعرية العربية التى تناولت الشخصية المحمدية على مدى القرن الرابع عشر الهجرى (١٨٨٢ - ١٩٨٠م) تقريباً.

وهو القرن الذى حفل بصراع عنيف مع القوى الأجنبية الاستعمارية الطامعة فى العالم الاسلامى تولدت عنه يقظة أسلامية ملموسة - تحاول أن تواجه الهزيمة الحضارية والعسكرية بموقف اكثر تماسكاً وأشد صلابة من خلال التمسك بالهوية الاسلامية ورمزها الأول محمد «ﷺ».

والأساس الذى اتخذه حلمى القاعود فى دراسة الشخصية المحمدية هو كما يقول المؤلف فى صدر كتابه: (فالشخصية تعنى كل ما يتعلق بالفرد من ملامح ودلالات ومعطيات - ترتبط به - أو تشير اليه أو تصدر عنه. مما يجعلها - أى الشخصية - تتجاوز حدود الكيف الجسدى للشخص إلى مجالات للتأثير والتأثر) وقد أعتمد المؤلف فى ذلك على بعض ما جاء فى كتب علماء الدراسات النفسية والإجتماعية كما أشار هو إلى بعضهم فى هوامشه ورغم عدم تكامل هذا التعريف عن الشخصية إلا ان اتجاه المؤلف هذا الاتجاه يعطينا الحق فى القول أن كتابه جاء ليسد نقصاً شديداً فى هذا المجال فقد سبق لى إن عانيت بشدة من نقص المراجع التى

تتناول الحديث عن الشخصية المحمدية من خلال منظور الدراسات الإجتماعية والنفسية وذلك خلال بحثى حول (القيادة عند الرسول الكريم) بل عانيت تزمت بعض أساتذة السيرة النبوية الذين كانوا يرفضون الدخول فى حوار حول الشخصية المحمدية من خلال هذا المنظور رغم أن هناك العديد من الدراسات الغربية فى هذا المجال من حقنا دراستها ومناقشتها ونقول فيها رأينا ذلك لأن الشخصية المحمدية قد فرضت نفسها على كل الشعراء والأدباء والمفكرين وسوف تظل كذلك لعظم دورها فى حياة البشرية.

وكتاب حلمى القاعود ينقسم الى قسمين أو بابين الأول خصصه المؤلف لبيان موقع الشخصية المحمدية داخل التيارات الشعرية - ثم بيان ملامح تلك الشخصية فى أشعار القرن الرابع الهجرى - أما الباب الثانى فيدور حول ثلاثة محاور، المحور الأول بيان مستوى الشعر الذى تناول الشخصية المحمدية - وقضية المحافظة والتجديد التى أبان عنها فى الباب الأول والمحور الثانى جعله خاصا بالملاحم وقد أشاد فى هذا الباب بشعراء ملاحم لا يقلون فى عظمتهم عن (هوميروس) وذكر المؤلف الشاعر كامل أمين على اعتباره من أعظم شعراء الملاحم فى دراسته وخصص المحور الثالث لدراسة البناء المعمارى للقصائد التى تناولت الشخصية المحمدية وقد أنتهى

المؤلف إلى عديد من النتائج خلال دراسته التى حافظت على منهجها المختار طوال البحث من تلك النتائج قوله (أما الشعراء النصارى فقد كانوا بحق - مفاجأة البحث - المدهشة حيث رأينا أغلبيتهم الساحقة. تقف موقف التعاطف مع الشخصية المحمدية بل ويتفوق بعضهم على شعراء مسلمين فى التعبير عن الملامح المحمدية).

وبعد فهذا الكتاب به من الجهد مالايمكن حصره فى مقال وبيان ماله وما عليه، حسبه أنه حاول التصدى لدراسة تستحق وشخصية لم تتكرر ولن تتكرر وستظل دوما منبعا فياضا لكل الشعراء والأدباء نجح حلمى القاعود فى الإمساك بجزء من هذا التراث الشعرى باحثا عنه فى كل الأقطار العربية، دون تحيز لشاعر ودون تحيز لقطر من الأقطار.

يقول عبد الرحمن الشرقاوى فى مقدمة كتابه القيم (محمد رسول الحرية) عن الرسول الانسان «أن فى حياته لثروة لا تنفذ من الاباء والرحمة والحب والحكمة والبساطة والقدرة الخارقة على التنظيم والابداع وكسب القلوب». ومن هذه الثروة نهل الكثيرون وصنعوا وصاغوا حولها الاف الأعمال الأدبية بمختلف أشكالها وألوانها: وهى لا تنفذ ظلت وسوف تظل ما شاء الله لها نهلاً عذباً لا يفرغ أبداً.

وكـان أول هؤلاء رواة السـيرة الزكـيـة فـسـجلوا حـيـاة الرسـول الكريم سـيـرته وثورتـه الخـالدة وحـروبه وكل مـافـعله وقاله سجلوا ذلك فى كتبهم التى ظلت حتى الآن مصدراً هاماً من مصادر معرفة السيرة الطاهرة.

ومن هذه الكتب. أخـذ (الرواة) وهـم هؤلاء الذين راحـوا يجـوبون الآفـاق، ويوغلون فـى الأرض منشـدين راوين أحـداث السيرة، وكثر هؤلاء الرواة وتنوعت طرقـهم واختلفت طرائفـهم فى رواية أحـداث السـيرة ولكن مـا أختلفـوا حـول وقـائعـهـا وأحداثها فـمنهم من راح يروى الأحـداث التـى وقـعت فـى بلاد أخرى غير بلاد الجزيرة العربيـة ومـنهم من أهتم بأثر الدعوه فى القـبـائل ومنهم من أهتم بالأحـداث الحـربيـة.. وهكذا ولكن شـاء اللـه. أن تقـع أحـداث السـيـرة العطرة ـ كـمـا وقـع للفكر الإسـلامـى كله ـ فـى ظلام العـقل البـشـرى فنرى الـرواه وقـد بالغوا وبلغت بهم سبل المبالغة حداً كبيراً وكان هذا تـحدياً أمام المفكرين الجـادين فى عـصـرنا الحـديث، لهـذا نرى أنـه مـا من مفكر أو أديب إلا وله إسهامه فى الكتابة نرى ذلك عند مؤسس فن الرواية الحديثة الدكتور هيكل. وكتابه القيم (حياة مـحمد) عليه الصلاة والسلام، وكذلك فـعل توفيق الحكيم الذى تـصدى فى كثير من كتبه لمغالطات الفكر الغربى، وخاصـة مـا كـتبه فولتير، وكـان ذلك فى أوائل العـشـرينات من هذا القرن. كـمـا

تصدى الحكيم للكثير من الإفتراءات التى أطلقها مفكرو الغرب عن الاسلام ورسول الاسلام، وخصص الكثير من الدراسات والمقالات حول حياة الرسول الكريم «ﷺ» غير كتابه المتفرد عن السيرة وهو حواريه فريدة فى بابها. أما الدكتور طه حسين فقد أفرد أكثر من كتاب للتاريخ الاسلامى غير كتابة القيم (على هامش السيرة) وخلال الستينات ظهر كتاب محمد رسول الحريه للروائى المفكر عبدالرحمن الشرقاوى، وأيضا ظهرت تلك السلسلة الرائعة للروائى عبد الحميد جوده السحار (محمد رسول الله والذين معه).. وغير هؤلاء كثيرون كان لهم شرف الحديث عن (محمد) الرسول الأمين ولأن الحديث هنا مقصور على (الرواية) فإننا نذكر الشعر والشعراء الذين بلغوا فى ذلك مبلغاً كبيراً. وخاصة هؤلاء الذين كتبوا (الملحمة) مثل عزيز أباظه وغيره وأن كانت الملاحم تكاد تتقارب مع فن الرواية.

نرى الحكيم لا يسعى الى تقديم أحداث السيرة، إنما يسعى إلى التماس التعرف على جوهر الدين من خلال سيرة رسوله ونبيه «ﷺ»، فيقول الحكيم: (ينبغى لمن أراد أن يعلم سر عظمة (محمد) أن يتخيل رجلاً وحيداً فقيراً تمكنت من قلبه عقيدة ونظر حوله فإذا الناس كلهم فى جانب وإذا هو بمفرده فى جانب.. هو وحده الذى يدين بدين جديد بينما الدنيا كلها.. كل شعوب الارض لا يرون ولا يشعرون له بوجود.. هذا موقف

النبى وهذا موقف العالم) ويحاول الحكيم أن يلتمس الإجابة وهو يسعى لمعرفة سر عظمة الاسلام وعظمة رسوله. فيراها فى (.. حياة النبى وخلقه.. أن الناس لا تقنع بالكلام وحده وأنما يؤثر فيهم الفعل والمثل.. أن الناس يوم أيقنوا أن (محمدا) لا يسعى إلى غنى ولا إلى ملك، وإنه يريد أن يبقى فقيراً يشبع يوماً ويجوع اياماً. وأن كل تلك المخاطر التى يتعرض لها فى كل خطوة وأن كل ذلك الهوان الذى يناله من سفهاء القوم وإكابرهم.. إنما هو سبيل (العقيدة) التى يقول عنها).. ومن خلال هذا كله يروى لنا الحكيم كيف انتشر نور الله وكيف كان الرسول البشر الانسان رحمة لكل البشر.

اما الشرقاوى فيقول فى مقدمته: (إنَّا نملك من حقائق التاريخ الثابتة ما يقطع بأن للاسلام دوراً تقدمياً وتحريرياً لم يزل يؤثر فى تاريخ البشرية ومستقبلها وان محمداً كان رسولاً يبشر بالحرية والإخاء الانسانى).. وهكذا تتوازى وجهتا النظر لكل من الحكيم والشرقاوى حينما يحاولان رواية السيرة ليس تكراراً لما فعلته كتب السيرة وإنما لكى يلتمسا من خلال أحداث تلك السيرة العطرة ما يكشف عن حقيقة الدور العظيم الذى كلف به رسول الله «ﷺ» وقام به خير قيام وكيف يتسنى لنا من خلال فهم هذا الدور البشرى التأسى به، والسير على هداه ويؤكد الشرقاوى على القول ببشرية (الرسول) إنما أنا

بشر مثلكم وكذلك فعل توفيق الحكيم الذى أهتم بهذا الجانب من الدعوة المحمدية ليؤكد لأمته أنهم قادرون على فعل ما كان يفعله أصحاب الرسول الذين ناصروه وأيدوه بطاقاتهم البشرية وحاربوا فانتصروا وانهزموا ولكن ما وهنوا ولا استسلموا.

ويبلغ تصوير الشرقاوى قمته عندما يسرد لنا صورة ما دار فى المدينة بعد غزوة بدر وذكر الكثير من التفاصيل لمعارك صغيرة دارت فى النفوس العائدة من الحرب ولكنها كانت معارك أشد خطراً من معركة بدر وكيف واجهها الرسول الكريم «ﷺ» وأنتصر عليها.. إن السيرة النبوية ستظل دائما ذلك النبع المتدفق الذى يروى البشرية كلها وما ينتهى أبداً..

الشعر الإغريقى تراثاً إنسانياً وعالمياً

د . أحمد عثمان

لعبت الدراسات الإغريقية دوراً هاماً فى تطوير الأدب العربى الحديث. بل لعل بعض العلماء بالغوا فى دور الدراسات الاغريقية والأدب الاغريقى فى تطوير الأدب والفكر العربى مبالغة جعلت من الأدب الاغريقى منبعا هاما للأدب العربى الحديث. ومنذ العصر العباسى الأول، وعندما بدأت حركة الترجمة من اللغات المختلفة إلى اللغة العربية تتزايد بشكل ملحوظ والقول بأن الأدب الاغريقى كان له دوره الهام والبارز فى نتاج عدد كبير من الأدباء العرب وخاصة عمالقة هذا الأدب.

لذا كان منّ الضرورى الاهتمام بتعريف هذا الأدب الاغريقى للناس حتى يمكن الحكم بالفعل على أهمية أو عدم أهمية دور الأدب الاغريقى فى حركة الأدب العربى ومن خلال هذا المفهوم تصدينا لعرض كتاب حديث ظهر الشهر الماضى

للأديب والمفكر المتخصص فى الدراسات الاغريقية الدكتور احمد عثمان استاذ الدراسات الكلاسيكية بجامعة القاهرة، وهو كتاب (الشعر الاغريقى تراثاً إنسانياً وعالمياً).

والكتاب صدر عن دوريات كتاب عالم المعرفة بالكويت ويبلغ حجمه حوالى اربعمائة صفحة من القطع المتوسط محتوياً على ابواب ثلاثة كل باب مقسم إلى فصول ومؤلف الكتاب الدكتور احمد عثمان حاصل على الدكتوراه من جامعة اثينا ١٩٧٤ وعمل بالجامعات العربية وهو حاليا استاذ مساعد الدراسات الكلاسيكية بجامعة القاهرة له عدة مؤلفات حول الأدب الاغريقى - كما ان له عدة مؤلفات إبداعية فى المسرح.

لماذا الشعر الاغريقى

يقول الدكتور احمد عثمان فى مقدمته للكتاب (إن صورة الأدب الاغريقى بالنسبة لنا لازالت غامضة فى بعض النواحى ومجهولة فى نواحى أخرى ويقول ايضا (ان الأدب الاغريقى فى مجمله أدب شفاهى مسموع لا ادب مكتوب مقرؤ وهذه السمة السماعية تمثل عقبة كئوداً فى سبيل استيعابنا الكامل لروائعه) ويمضى الدكتور عثمان فى شرح قصة الأدب الاغريقى وصعوبة الحصول على كل إبداعاته ورغم هذا فان ماتبقى كان كافياً ليكون له هذا التأثير العظيم فى الآداب الاخرى.. كيف..

وهو ميروس.. من يكون

ونبدأ فى تصفح الباب الاول من الكتاب والذى يحتوى على دراسة عن طبيعة ووظيفة الشعر الاغريقى سواء الملحمى او التعليمى وقد قسم الباحث هذا الباب إلى فصلين خصص الفصل الاول عن (هوميروس) المبدع الاول للشعر الاغريقى والفصل الثانى عن (هيسيوروس) أو الشاعر المعلم و(هوميروس) الذى يعتبره الباحث النبع الأول للشعر الاغريقى أثار مشكلة كبيرة فى الدراسات الاغريقية فأصر بعض العلماء على ان هذا الشاعر لم يوجد على ظهر الأرض وأن اسمه (هوميروس) ومعناه «الرهينة» أو الأعمى وهو أسم منحوت من الخيال الاسطورى والبعض الآخر يقول أنهم كانوا مجموعة من الشعراء حملوا هذا الأسم وفريق ثالث يقول بل هما شاعران إحدهما كتب (الألياذه) والثانى كتب (الأوديسيا) ويرى الباحث فى نهاية العرض الذى قدمه أن (هوميروس) هو بالفعل شاعر واحد كان موجوداً وكان من عامة الناس وكتب كل هذا الشعر الذى بقى على مر الأجيال وحفظته ذاكرة الناس إلى وقتنا الحاضر.

المهم ان ملاحم (هوميروس) هى أقدم ما وصلنا من الأدب الاغريقى وعليه فأنه لهذا يعتبر النبع الأول للشعر الاغريقى.

وقد حاول الباحث أن يثبت أن خصائص شعر هوميروس الملحمية خصائص ذات أطر خاصة يمكن التوصل إليها وذلك بدراسة أشعار الملحمتين الكبيرتين (الإلياذة) و(الأوديسيا) وقد توصل الدكتور عثمان إلى أن (وحدة الموضوع) فى الألياذه تدل على وحدة المفكر والشاعر الذى صاغ هذا الموضوع (ورسم الشخصيات) فى الملحمتين أيضا - حيث استطاع (هوميروس) بحسه الشعبى أن يرسم أبعاداً مميزه لكل شخصية من شخصيات ملاحمه بل وأن يرسم أيضا أفعال آلهه الأوليمبيا الذين كانوا يتعاركون مع مسحوقى ملاحمه - وتميز أيضا هوميروس بأنه عظم الحياة البشرية - كحياة لذاتها والتميز الثالث لأدب هوميروس كما يراه الباحث هو (ناسوتية الآله) أو (الوهية البشر). لاشك أن الملاحم الاغريقية وبالذات (الإلياذة) (والأوديسيا) تعتبران من أعظم القصص للكفاح الانسانى لأن الانسان هنا يتحدى قوى أخطر وأعظم منه ووفقاً للعقل الاغريقى القديم الذى كان يحدد لكل قوة سواء فى الطبيعة أو غيرها (آلهه) يطلق عليها الأسماء. هذه الآلهة تدخل فى صراع مع الانسان الذى يصارعها حتى أنه أحيانا يتغلب عليها وهذا هو ما نسميه (ناسوتيه البشر) أو الوهية البشر.

ماذا بعد هوميروس

ماذا بعد الاليانذة والاوديسيا؟ من اجمل اناشيد (هوميروس) نشيد (ابولك) لهذا راح بعده مجموع - من الشعراء حاولوا أن يطلقوا على أنفسهم أبناء (هوميروس) وقلدوا أناشيد هوميروس وخاصة نشيد ابولك ولكن لم يكن لهم خلوده ولم يكن لهم أصالته.

الشاعر المعلم :

وهو الشاعر (هيسيوروس) الذى يمثل المرحلة الانتقالية من الشعر الملحمى (أشعار هوميروس) إلى الشعر الذاتى أو الشعر الغنائى ولهذا فإن (هيسيوروس) يمثل المعلم الاول للشعر التعليمى كما أن هوميروس يمثل المعلم الاول للشعر الملحمى وقد قدم (هيسيوروس) عملين كبيرين هما (الأعمال والأيام) و(انساب الآلهه). يقول (هيسيوروس) فى افتتاحية (الاعمال والأيام).

أن الأسماك والحيونات المفترسة والطيور المتوحشة تأكل بعضها بعضاً لانها ليست لديها أية فكرة عن العدالة ويقول ايضاً (المجاعة رفيق دائم للرجل العاطل ومن العمل يصبح المرء غنيا.. ليس العمل عاراً ولكن العار الا تعمل)

وهكذا نرى فى أشعار (هوميروس) قصص الأبطال والصراع وقوى تتصارع وأحاكى وأحداث رهيبة ثم نجد عند (هيسيوروس) أنه يتحدث عن العمل العادى والانسان العادى ويستخلص من كل نلك العبرة والعظة وهكذا بدأت رحلة الشعر الاغريقى التعليمى الذاتية فى الشعر.

وينتقل الباحث إلى الباب الثانى الذى يدور موضوعه حول الشعر الغنائى أو ازدهار الذاتية ويقول الباحث أن أثينا عاشت فترة من القلاقل ثم بدأت الديمقراطية تزدهر وبازدهارها بدأ الشعر الغنائى والشعر الغنائى وفقا لتفسير المؤلف هو الشعر الذى يلقى بمصاحبة موسيقى سواء كان الإلقاء جماعياً أو فردياً وسواءً كان موضوع الشعر عن الخاص أو العام وقد انتهى إلى هذا التعريف بعد أن أفرد لنا صفحات كاملة من التعاريف حول الشعر الغنائى المهم أن الشعر الغنائى ينقسم الى قسمين الأليجى) وهو الشعر الغنائى العام ومن أشهر شعرائه (سيميز موسى) و(تيرتايوس) و(سولون)، ويقول الشاعر (تيوجنيس) الذى يعبر عن هذا النوع من الشعر كمثال للقارئ هذا الغناء (لا يكفى أن تحبينى بالكلمات فقط.. بينما قلبك وذهنك مشغولان بشئ آخر إما أن تحبينى بحرارة وصدق وإلا فاكرهينى واعلنها صراحة).

الأغانى الفردية :

وفي الفصل الرابع يتحدث الباحث الدكتور أحمد عثمان عن (الأغانى الفردية) وهى الأشعار التى ازدهرت فى أواخر القرن السادس قبل الميلاد وفيها تغنى الشعراء بالجمال والحب والألم النفسي وما إلى ذلك من موضوعات وأشهر هؤلاء الشعراء (ترياندوس) و(الكايوس) و(سافو) ثم خصص الباحث الفصل الخامس والأخير من الباب الثانى حول الأغانى الجماعية حيث أن الأغنية الجماعية مرتبطة بالرقص لهذا كانت للأغانى الجماعية تميزاً خاصاً عن بقية الشعر الغنائى وأهم شعراء هذه النوعية هم (الكمان) و (أريون) الذى أخترع أغنية (الديثوارامبوس) التى تحولت بعد ذلك كما يقول أرسطو إلى الدراما وإلى الشعر الدرامي.

وكذلك الشاعر الغنائى (سيمونيديس) الذى يقول (لأنك إنسان لا تقل قط أنك فاعل كذا غداً وعندما ترى إنساناً سعيداً لا تقل قط كم من الوقت سيدوم ذلك فتحى الدبابة طويلة الجناح ليست أسرع من دوراتها من تقلبات الخطوط).

وبعد هؤلاء جاء شعراء مثل (بنداروس) و(باكخيليوس) وغيرهما حيث أزدهر الشعر الغنائى الجماعى الذى جمع بين الأسطورة والموضوعات الذاتية.

ما هى الدراما ؟

وفى الباب الثالث الذى خصصه الباحث الدكتور أحمد عثمان للحديث حول الدراما فقد قسمه الى ثلاثة فصول خصص الفصل الأول منها حول ميلاد فن الشعر الدرامى ثم خصص الفصل الثانى للحديث عن التراجيديا والفصل الأخير عن الكوميديا

ومن خلال الأغنية (الديتورابية) بدأ المسرح يعرف طريقة إلى أثينا وفى أول الأمر أطلق على أغانى الديتورابية كلمة (التراجيديا) وأول من أستخدمها (أريون) ومن خلال أعياد المسرح بدأت أغانى التراجيديا تأخذ تحولات عدة حتى اصبحت تطلق على (الدراما المسرحية) فكان هذا مع دخول أحد عظماء المسرح كله وهو (ايسخولوس) الذى قدم للدراما الاغريقية الكثير من الاعمال التى ماتزال حتى الآن من درر المسرح العالمى.

ولكن قبل (ايسخولوس) كان (تسيبس) ولكن تراجيديات (تسيبس) بسيطة الطابع إذ يأتى الممثل فى بدايتها إلى المنصة ليقدم شرحاً تمهيدياً يسمى (برولوج) ثم (حديث فردى) مونولوج يعقبه أغان ورقصات ثم ديالوج مع (الكوس) أو الجوقة.

أما (ايسخولوس) الذى يسمى أبو المسرح الحديث الذى قدم حوالى ٨٠ مسرحية ولكن لم يبق منها إلا سبعة فقط أشهرها (المستجيدات) و(الفرس) و(السبعة) و (الاوريستيا) و(الصافحات).

بعده ياتى (سوفوكليس) الذى يعد قمه النضج التراجيدى للأدب الاغريقى الذى قدم حوالى ١٣٠ مسرحية ولكن لم يتبق منها سوى سبع مسرحيات فقط أشهرها (اوديب ملكا) و(اوديب فى كمولوفوس) و(أنتجونى) و(بنات تراخيس) و(اياس) و(فيلو كنيتيس) و(اليكترا) ويقول عنه الباحث الدكتور أحمد عثمان (من بين كافة مؤلفى المسرح القديم والحديث لا يوجد من يستطيع مجاراه سوفوكليس فى براعة استخدام هذا الأسلوب الساخر فى الكتابة الدرامية ونعنى رسم مشاهد كاملة مفعمة من أولها إلى آخرها بالمفارقات التراجيدية).

الكوميديا :

ويخصص الباحث الفصل الأخير للحديث عن الكوميديا عند الاغريق وأشهر كتّابها وأولهم (أريستوفاينس) وأشهر مسرحياته (السحب) و(الزنابير) و(المشتركون فى الوليمة) و(الطيور) و(الضفادع) و(برلمان النساء) ويقول عنه المؤلف (أن أريستوفاينس) لم يسبقه أحد إلى هذه التجديدات التى أدخلها على الفن الكوميدى

(التقوقع داخل الذات)

يقـول المؤلف أنه بعـد أن فـقـدت الدويلات الاغـريقـيـة استقلالها نتيجة للغزو المقدونى آبان القرن الرابع قبل الميلاد إنهار نظام الدولة المميز للحضـارة الاغريقية وفقد الفرد نفسه وذاب فى خضم الحياة الجديدة فـى ظل دولة مترامية الأطراف وتضـاءل اهتمـام الفـرد بالمصـالـح العامة وتقـوقع داخل نفسه لهذا جاءت الكوميديا لكى تعالج موضوعات فردية بحته واشهر شعراء الكوميديا الحديثة (مناندروس) و(فيليمون).

ويقدم البـاحث دراسـة سريعة حول نتاج هؤلاء الشـعراء وذلك وفـقـاً إلى مـا وصل إليـه أدبنا من آثار مـتـبـقـيـة لهـؤلاء الشعراء.

والكتـاب فى النهـاية يقـدم مـوجـزا مـخـتـصـراً عن كل الأحداث السياسية والإجتماعية التى مرت ببلاد الاغريق حتى نهاية الدولة الإغريقية القديمة.

والكتـاب نجح بشكل ملحـوظ فى تقـديم صـورة علمـيـة للأدب والشعـر الاغـريقى، ومـصـادره ومنابعه وأهـم الآثار التى تركها.

الفن
فى القرن العشرين
د . محمود البسيونى

من أهم الكتب التى صدرت خلال هذا الاسبوع كتاب (الفن فى القرن العشرين) وهو يعد موسوعة علمية عن مدارس الفن التشكيلى خلال هذا القرن الذى نعيشه والكتاب يقدمه لنا الدكتور محمود البسيونى رئيس قسم التربية الفنية لجامعة قطر.

ومحمود البسيونى فنان له آثاره القيمة فى عالم الفن. كان عميدا لكلية التربية الفنية بالقاهرة وحائز على جائزة الدولة فى التربية اقام العديد من المعارض، كما أنه زار كل دول العالم تقريبا وشاهد خلال فترة ما قبل إعداد هذا الكتاب معظم المعارض الفنية الدولية.

والكتاب يقع فى حوالى ٣٥٠ صفحة من الحجم الكبير مقسم إلى ثلاثة عشر فصلاً ثم الحق به فهرساً بأهم المصطلحات الفنية وفهرساً آخر لأهم الأعلام كما ألحق به على

مدى ١٢٠ صفحة لوحات بالألوان لأهم أعمال الفنانين العالميين الذين تحدث عنهم المؤلف خلال بحثه الشيق والعميق عن الفن الحديث فى القرن العشرين.

والدكتور محمود البسيونى أستاذ التربية الفنية قدم من قبل حوالى ٢٥ كتابا عن الفن وتاريخ الفن والتربية الفنية وأول هذه الكتب ما أصدره عام ١٩٥٤ كتاب (الخبرة والتربية) ثم تلاه بكتاب الفن الحديث الذى صدر بعد ذلك فى عدة طبعات وأيضا من اهم تلك الكتب كتابه القيم عن سيكلوجيه رسوم الأطفال وأسس التربية الفنية أما آخر هذه الكتب فهو ذلك الكتاب الموسوعى القيم الذى نحن بصدده اليوم.

دكتور محمود البسيونى والفن

ويعد المؤلف الدكتور محمود البسيونى. ليس فقط أستاذاً لمادة التربية الفنية فحسب بل أنه يعد مؤرخا للفن الحديث ومفكراً رائداً لحركة التربية الفنية فى عالمنا العربى المعاصر ولا يوجد قطر عربى لا يوجد به تلميذ أو أكثر لهذا الرائد العظيم وتكفى شهادة الدكتور طه حسين عميد كلية الفنون السابق الذى صرح بأن هذا الكتاب (الفن فى القرن العشرين) ليس فقط تاريخا لفن بل هو دراسة موسوعية أهتمت بالإطار الفكرى لحركة الفن الحديث. سواء فى أوروبا أو فى العواصم الأخرى.

من التاثيرية الى فن العامة

أورد المؤلف الدكتور محمود البسيونى عنواناً جانبياً للكتاب وهو (من التاثيرية حتى فن العامة) لهذا قسم الكتاب إلى ثلاثة أقسام أو يمكن تقسيم الكتاب إلى ثلاثة اقسام، القسم الأول نضع فيه الفصلين الأول والثانى وهما يتناولان طبيعة الحياة فى القرن العشرين وهو تفسير لحركة الفن وتاريخه ثم أهم الملامح الفكرية والإجتماعية والسياسية والاقتصادية التى أثرت فى تطور الفن وتداخل مذاهبه ومدارسه ثم فى الفصل الثانى يقدم الدكتور البسيونى دراسة جديدة تكاد تكون تنظيراً لحركة الفن فى أيامنا الحالية وهى فكرة تعد رائدة فى هذا الميدان تتعلق بخروج الفن من مرحلة التقليد أى التصدير أو المحاكاة إلى مجال جديد هو الإبداع إن الفنان هنا ليس مجرد محاكى لما يراه إنما هو مبدع يصور أو يرسم أو ينحت ما فى داخله هو ليتحول الفن إلى التعبير عن الذات ذات الفنان يقول المؤلف ص٣٦ (إن القرن العشرين كان أكثر وعياً بالحقيقة الفنية وطبيعتها حتى أن فكرة التقليد للعالم الخارجى بدأت تتلاشى مع بداية القرن وتحل محلها أفكار ونظريات جديدة عن مفهوم الابداع ودور الفرد فيه وكون الحقيقة الفنية الموضوعية الذاتية شكلت منهج كثير من المدارس الحديثة) التى سيعالجها المؤلف فى الفصول المخصصة لها والتى سوف نستعرضها معا.

والقسم الثانى هو المخصص لدراسة هذه المدارس أو المذاهب والذى يورد فيه المؤلف أهم ملامح كل مدرسة أما القسم الثالث والهام فى هذا الكتاب هو ما جعله ملحقاً بالكتاب وجمع فيه ١١٢ لوحة بالألوان أوردها المؤلف بعد أن جمعها خصيصاً لهذا الكتاب كما ذكر ذلك فى مقدمته وكما نلاحظ نحن ذلك عندما نشاهد تلك اللوحات النادرة التى لانرها إلا فى المتاحف أو المعارض الرسمية الدولية أو داخل المتاحف أو المعارض الرسمية الدولية أو داخل متاحف كبار الهواة.

فان جوخ... والتمهيد للمدرسة الحديثة

يقول الدكتور البسيونى (ظهرت فى الحقبة الأخيرة مؤلفات وسلاسل من الكتب ومعاجم اللغات الأجنبية وخاصة الإنجليزية تخوض فى مدارس الفن الحديث وتحكى تفصيلاتها وتتأمل أعمال الفنانين وتحصل على تصريحات منهم فيما يعملونه وكيف تأتى إليهم الأفكار الأمر الذى وسع دائرة المعرفة ومصادرها فى مجال الفن الحديث فى القرن العشرين مما ساعد أكثر على وضوح الغامض وفهم دقائق الحركات الواحدة بالنسبة للاخرى بحس موضوعى يبين ثراء الحركة الفنية فى القرن العشرين)

وهذا يجعلنا نقبل ما يقوله المؤلف بعد ذلك عندما نقرأ معه مذكرات أصدقاء الفنانين المشهورين أو زوجاتهم من أمثال بيكاسو ودالى وغيرهما ويجعلنا نفهم الكثير من الحقائق التى كشفها لنا نقاد الفن حول أعمال الفنانين ولم نكن من قبل نحن هواة الفرجة أو المعرفة نتقبلها بل إن بعض أعمال الفنانين فى العصر الحديث لم يكن يقبل عليه الجمهور وخاصة هؤلاء الذين لا يرون فى الفن إلا مجرد (التصدير) لهذا كان ما أورده المؤلف عن فان جوخ فى الفصل الثالث ممتعا.. وقد خصص المؤلف هذا الفصل للمدرسة التأثيرية وأورد من فنانيها (كلود موتيه ١٨٤ ـ ١٩٢٦) و(جورج سواره ١٨٥٩ ـ ١٨٩١) و(بول جوجان ١٨٤٨ ـ ١٩٠٣) ثم (فان جوخ) و(رنوار) و(لوترك) و(ديجا) ويقول المؤلف أن السبب فى تكوين تلك المدرسة راجع إلى الإكتشافات العلمية وخاصة فى مجال علم الضوء ونلاحظ أن المؤلف قدم خلاصة سريعة من أهم مميزات هؤلاء الفنانين ولكن فى نهاية الفصل قدم نتائج تلك المدرسة وأهم تلك النتائج استفادة الفن من مكتشفات العلوم المدنية وخروج الفن من سيطرة وسطوة الكنيسة وتلاقى الفن مع الطبيعة.

المدرسة الوحشية

ويخصص المؤلف الفصل الرابع لما سماه المدرسة الوحشية التى قادها هنرى ماتيس (١٨٦٩ ـ ١٩٥٤) لقد كانت

التـأثيـرية ثورة ضـد الفن الأكـاديمى، أى الفن وفـقـاً لمقـاييس مـدروسـة ثم جـاء بعـد التـأثيـرية مَن قلدوها ولكن عندمـا جـاء أمثـال مـاتيس فـانهم ثاروا أيضـاً على الأكاديمـية وكـذلك على التـأثيـريـة وأنطلقـوا نـحـو عـالـم أرحب وأوسع وحطمت هذه المدرسة الوحشية كل القواعد والقوالب والأساليب التى كانت تمارس أو يجب أن تمارس فى الفن ولهـذا أخـذت هـذا الأسم وكان ماتيس الذى كان لا يرى في الصورة إلا مجموعة علاقات وقـد تأثر مـاتيس بالفن الافـريقي وخـاصـة عندمـا زار شـمـال افريقيا.

واورد المؤلف تحت هـذه المدرسـة خـلاف هـنرى مـاتيس وجـــورج رووه ١٨٧١ ـ ١٩٥٨ وراءول دوني وأنـدريا ديـران وموريس دى فلامنك.

«التكعيبية وبيكاسو»

ويخصص المؤلف الفصل الخامس لدراسة التكعيبية وقد أهتم فى هذا الفـصـل بالحـديث عن بيكاسـو الذى أحـتل جـزءاً كبيراً من هذا الفصل (نصف الفصل تقريبا) رغم أن فى هذه المدرسة يوجد جورج براك وجوان جرى وفرنان بجيه.

وبيكاسـو الذى يحظى بهذا الاهتمـام من المؤلف ليس فقط فى هذا الفصل بل فى فصـول أخرى من الكتاب يعد أشـهر

الفنانين العالميين الذين كان لهم أثر فكرى وأدبى كبير بل إنه أهتم بالتحفة الأدبية العربية (ألف ليلة وليلة) وأخذ منها الكثير من الأفكار للوحاته الهامة والتى حظيت بدراسة النقاد فيما بعد.

يقول بيكاسو عن التكعيبية (حينما اكتشفنا التكعيبية لم نكن نقصد بتاتا إكتشافها وإنما كنا نود التعبير عما فى أنفسنا) ويقول عنه المؤلف وهذا يفسر اهتمام الدكتور البسيونى ببيكاسو (إن التاريخ سيظل لفترات طويلة يضعه فى مكانة اللائق لأنه العملاق الذى غير منهج الفن التشكيلى والرؤية الفنية فى القرن العشرين وقصته بمفرده هى قصة ذلك الفن بنبضاته وصراعه ومحاولاته ليجد مكانته فى إطار النقاحة المعاصرة.

من الدادا الى السيريالية

يخصص المؤلف هذا الفصل السادس لدراسة مدرستين كان لهما دورهما فى منحنى الفن الحديث. هما (الدادا) وهى كلمة مشتقة من ألفاظ ألمانية وفرنسية تعنى إمتزاج الغناء والموسيقى والشعر والفن فى إطار واحد أو كما كان يقدم فى ما سموه «كبارية فولتير» والسيرايالية.

والدادا ولدت كرد فعل لموجات السخط التى أعقبت الحرب العالمية الأولى. فالحروب عادة تنشأ عندما يشتد الصراع بين القيم الإنسانية بعضها وبعض. ومن خلال الحرب يحدث إفساد لكل شئ. ومن خلال هذا التحطيم ظهرت موجات الفنانين الذين يسعون إلى إيجاد التوازن الأخلاقى ومن خلال هؤلاء جاءت الداديه وقد لعبت الدادية دوراً هاماً لتحرير رؤية الفنانين واتجاههم نحو الإبداع.

أما (السريالية) فتعتمد على إطلاق الفنان للأفكار المكبوتة لتظهر وتتضح من خلال التعبيرات الفنية. واللاشعور هو المصدر الأساسى لغالبية الأفكار والانفعالات التى تعتمد عليها السيريالية والاسم معناه (ما خلف الحقيقة البصرية الظاهرة) وقد تابع الشاعر الفرنسى (اندريا بريتون) هذه الحركة وأصدر لها (مانفستو) كما تابعها شعراً ومن خلال هذه المدرسة ظهر الكثير من الفنانين من كل الجنسيات من أمثال الايطالى (دى شيريكو) والالمانى (ماكس أرنست) والفنان الأشهر (سلفادور دالى)

المستقبلية

حاولنا خلال استعراضنا للكتاب أن نوجه عناية خاصة بالتعريف بأهم المذاهب الفنية لهذا أفردنا هذه المساحة ومن

أهم المذاهب الفنية (المستقبلية) ومن خلال مانفيستو هذه المدرسة نعرف أنهم اهتموا بجوهر الحياة الحديثة الحركة، السرعة، الحماس، الإعجاب، فهم مثلا يقولون أن الجواد الذى يجرى ليس له فقط أربعة أرجل بل له عشرون.

من الفنانين الذين ذكرهم المؤلف فى الكتاب من خلال دراسة لهذه المدرسة (جيا كوموبالا) و(جينو سفرين) وغيرهما.

التعبيرية

ويقسم المؤلف التعبيرية إلى عدة مذاهب الساذجه، التجريدية، الرمزية. البصرية أهمها الساذجة فهى الإفصاح عن مشاعر الفنان بلغة تلقائية فطرية ساذجة

ومن أهم فنانى هذه المدرسة (أميدو موديليانى) و(اسكار كوكوشكا) و (موريس اوتريللو).

التجريدية

مهما قيل حول التجريدية إلا أنها تدور أساساً حول البحث عن جوهر الأشياء والتعبير عنها فى خلاصات موجزة تحمل فى طياتها الخبرات التشكيلية التى مر بها الفنانون وأثارت وجدانهم.

والمؤلف يقدم دراسة علمية مستفيضة عن هذا المذهب وأثره الواضح فى الفنون والآداب ويقسم التجريدية إلى التجريدية النقائية والتجريدية الطبيعية والتجريدية الهندسية ثم يورد المؤلف دراسات حول أهم فنانى هذه المدرسة من أمثال (بيت موندريان) و(الباوهوس) و(واسيلى كاندنسكى).

الواقعية الاجتماعية

وهذا المذهب اتخذ من المشاعر الانسانية بجانب الفن والتعبير الفنى أرضا خصبة حتى أنه امتزج بالحياة البشرية ومن الملاحظ أن معظم هؤلاء الفنانين الذين أوردهم المؤلف من الدول النامية التى حاولت أن تجعل الفن وسيلة من وسائل التعبير الإجتماعى أو الجمعى من هؤلاء (دييجو رفييرا) المكسيكى وهجوزى كليمنت اوروسكو).

وبعد الواقعية الإجتماعية يخصص المؤلف فصلاً كاملاً عن (البوب ارت) أو فن العامة الذى انتشر فى أميركا وانجلترا بعد عام ١٩١٠ وهو دعوة لكى يلعب الفن دوره فى الحياة العامة واتخذ هذا الفن من الموضوعات التى تشغل الجماهير ميدانًا للممارسة الفنية.

ثم يخصص المؤلف فصلاً أخيراً عن فن النحت وقد حاول فيه أن يقيم الحركة الفنية من خلال دراسة أهم انجازات هذا الفن وأن كنت أشعر أنه فصل دخيل.

يلي هذا البحث القيم التاريخي العلمي صور لما يقرب من ١١٢ لوحة من المدارس التي تعرض لها الكتاب.

وعلى هذا الأساس يعد هذا البحث القيم، موسوعة متكاملة عن الفن في القرن العشرين ويستحق تلك الإشادة التي ذكرها أساتذة الفن والتربية الفنية ولا يسعنا إلا أن نشيد بدورنا بالجهد العلمي المبذول في هذا الكتاب ونشكر مؤلفه الدكتور محمود البسيوني وإلى لقاء جديد مع كتب جديدة.

الزكاة
محيى اسماعيل ابراهيم

هذا عرض لكتاب الزكاة للأستاذ / محيى اسماعيل إبراهيم ويقول فى مقدمته: من دواعى الإهتمام بالزكاة:

أولا : إنها عبادة مالية لها أثرها فى إصلاح حياة الناس الاجتماعية والاقتصادية وإيجاد المجتمع المتراحم الذى يعيش فى كنفه المسلمون فى أمن وسلام ويجد فيه الفقير حقه الشرعى من غير إذلال له، وبدون إرهاق للأغنياء.

ثانيا: إن الزكاة فيها تسمية للنفس من الشح وتطهير للمال من أى كسب حرام وبخاصة فوائد الربا.

ثالثا: إن الزكاة لا تحظى بما يحظى به الصوم والحج من مواسم للكلام المستفيض مع عظمها. ولا يخفى على الباحث أن كثيرا من المرتبات أو الأرباح التجارية أو استثمارات رؤوس الأموال، كلها أو بعضها لا تخلو من الربا الذى هو مال حرام، فالمصارف والشركات التى انتشرت فى معظم الأقطار الإسلامية تجرى معظم المعاملات المالية ملوثة بالربا، ولاسيما

فى الإقـراض والإقـتـراض، ومـهـمـا كـان حكم الضـرورات فالاسلام لا يقرها .

خطر المصارف والمشروعات الاقتصادية:

أقبل الناس على مـشـروعات البنوك والشركات من تأمـين على الحياة ورهونات وسلفيات وسندات إدخار وغير ذلك مما يدخله الربا، وقد يهون ذلك إذا قيس بما يحصل عليه البعض من الإتجار فى المخدرات والسلع المهربة أو ماتحصل عليه الحكومات من رسوم ترخيص لنواد الرقص والميسر أو رسوم جمارك الخمور بدعوى إنها للأجانب. وشعوب الأمم الإسلامية بحاجة إلى التوعية لتنقى الربا فى أموالهم فيكون متاعهم وزكاتهم من مال حلال.

ضرورة الاحتراز من المال الحرام:

لابد للمسلمين من معرفة أحكام دينهم فيما يتعلق بالزكاة بالرجوع إلى الكتاب والسنه أو للعلماء المجتهدين. وإنها لأمانة فى أعناق رجال الدين والعلم أن يبينوا للناس أحكام الإسلام فى المعاملات الدينية

واجب الحكومات فى محاربة الربا :

لا يكفى أن يعرف الناس الحلال والحرام من مكاسبهم، بل يجب أن تضرب الحكومات الإسلامية على أيدى المستغلين

الذين يؤسسون أعمالهم على أرباح ربوية لجمع الثروات الطائلة التي يتحكمون بها في اقتصاديات البلاد. في زماننا هذا يعتقد الكثيرون أن المال هو مصدر السعادة الوحيد، وفي حثهم على جمع المال وسعيهم للحصول عليه غلب عليهم التفكير المادي، وجروا وراء المتشككين والملحدين من أهل الكفر الذين يعلنون أن العالم المحسوس فقط هو الموجود، وما عداه مما تدركه الحواس فقط وهم، وهم لا يؤمنون بوجود الله والملائكة وهذه الأفكار الضالة لاتجد لها مكاناً إلا في قلوب الضالين، ولا عاصم للشباب المسلم منها إلا أن يتفقه في دينه وأن يفهم أنه مسلم بالقول والفعل، لا بالاسم والتبعية لدولة إسلامية فقط.

ضرورة الرغبة في التدين :

نريد أن يقبل الشباب على قراءة الكتب الدينية بشغف وأن تتذوق القلوب الخاوية من التدين حلاوة الإيمان، ونريد للشباب أن يجد في قراءة بعض الكتب الدينية المنفعة التي تطهرهم من الجهل.

أسباب انحرافات الشباب:

ومن الأسباب التي تحول بين الشباب والإستمتاع بما في الدين من راحة وسعادة معنوية:

أولا : أن بعض رجال الدين لم يجد الناس منهم الخلق المنشود فيهم.

ثانيا : ينشر فى الصحف أحيانا أعمالا قبيحة منسوبة لأفراد منهم وكذلك ما تلوكه الألسنة فى المجالس العامة والخاصة بالحق والباطل عن جمود بعضهم وتكالبهم على المادة، فتكون صورة بعض رجال الدين غير كريمة.

ثالثا: كانت مناهج الدين لاتجد العناية وتفتقر إلى المعلمين الأكفاء كما أن مادة الدين كانت لا قيمة لها فى نجاح أو رسوب التلاميذ، وإن تغير هذا الوضع الآن.

رابعا : الشباب فى سنه المبكرة مملوء برعونة المراهقة سريع التأثر بما يردده المستهترون والجماعات المنحرفة من: أن الدين رجعية إلى عهود غابرة، وإنه لا أثر له فى حياتنا الحاضرة لأن العلم أحتل مكانه، وأنه يدعو لكبت الحرية وشظف العيش وكثير من الشباب المتعلم إذا سألته فى المعلومات الأساسية فى الإسلام لا يحسن الجواب بل قد لا يعرف شيئا، وكأنه غير مطالب بمعرفة علوم دينه.

خطر الشباب المستهتر :

وهناك من الشباب من يتخذ أمور الدين هزوا، وكم لهم من نكات مرذولة يصورون بها رجال الدين فى صورة قبيحة. وهم حزب الشيطان الذين لاخير فيهم لانفسهم أو لأمتهم..

الفقر ومشكلاته وعلاجه:

الكثير من حوادث السرقة والغش والتزييف تكون دوافعها الحاجة والحرمان، ثم تصير مع التعود مرضا إجتماعيا، وقد خلق اللصوص والسفاحون مدارس يعلمون فيها الشباب الضال المشرد أساليب الرذيلة وكل ذلك لشعور الفقراء والمتعطلين من أنهم كميات مهملة فاتخذت لها من الإجرام ما تدافع به عن كيانها ولنتساءل: هل تطبق الزكاة عمليا فى جميع الدول الإسلامية الآن؟ وما أثر هذا التطبيق في الأمن؟ وما سبب عدم تطبيقها تطبيقاً كاملاً فى بعض الدول الإسلامية؟ وهل هناك نصوص تدع الناس أحرارا فى إخراج الزكاة بدون رقيب؟

تنظم الحكومات الرشيدة ميزانيتها على أساس الايرادات والمصروفات ولا تتهاون فى تحصيل الضرائب، وتدقق فى مصروفاتها، ومن واجب الحكومات الإسلامية إنشاء مؤسسات لجمع الزكاة تحرص على جمعها وتدقق فى صرفها، فللزكاة مكانتها، ومال الدولة ليس أهم من مال الله. ويقول البعض أن الضرائب تكفى، ولكنها لا تسير على النظام الذى قرره الإسلام، فهى مستوحاه من نظم أوروبية، بينما الزكاة من وحى الله تعالى، وهناك فرق كبير. والوحى السماوى أساسه سد

حاجة المحتاجين وإيواء المعدمين. ودافع الضرائب لن يدفع الزكاة إلا إذا فاض لديه نصابها. ويجب على الحكومات الإسلامية تنفيذ أحكام الزكاة بصورة فعالة يحس معها الخارجون على القانون أن هناك يدا رحيمة تصد عنهم غائلة الجوع والمرض، فيمنعوا الناس شرورهم، فتتحقق عمليا عظمة الإسلام فى تشريع الزكاة، وعندئذ يجب فرض رقابة مشددة على المتهربين.

الباب الأول

أركان الإسلام الخمسة:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «بُنِىَ الإسلام على خمس شهادة أن لااله الا الله، وأن محمدا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة وصوم رمضان، وحج البيت من استطاع إليه سبيلا» وفى الحديث ما يدل على ان الإسلام بناء.

فالشهادة: هى الأساس المتين، وهى ميثاق بين العبد وربه بأن الله تعالى هو وحده المستحق للعبادة وأن محمداً رسول الله حقاً دون غيره من البشر حمل الرسالة وبلغها، وانه خاتم الأنبياء.

والصلاة: الركن الثانى بعد الشهادة، وقد فُرضت ليلة الإسراء والمعراج، وهى عبادة روحية يحاسب عليها الإنسان قبل كل شىء يوم القيامة، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (اول ما يحاسب به العبد يوم القيامة، صلاته.

والزكاة: هى الركن الثالث، وقد فُرضت فى السنة الثانية للهجرة، لإصلاح حال المجتمع ماديا، بعد أن صلح روحيا

ومعنويا بالركنين السابقين، وتقضى هذه الفريضة أن يدفع الأغنياء من أموالهم زكاة سنوية، وهى امتحان من الله تعالى للأغنياء ليرى هل تسخو نفوسهم عن طيب خاطر؟ أم تبخل وهى ركن يخلص النفس من البخل، ويخلق مجتمعاً متراحماً متعاوناً.

والصوم: الركن الرابع، وفُرض فى شهر شعبان فى السنة الثانية للهجرة، وهو قمع لشهوات النفس، وتضحية تفوق التضحية بالمال، وهو عبادة سرية بين العبد وربه، وفى الحديث القدسى يقول الله تعالى: «الصوم لى، وأنا أجزى به».

والحج: هو الركن الخامس، وقد خرج الرسول صلى الله عليه وسلم فى السنة العاشرة للهجرة فى مائة ألف مسلم وحج حجة الوداع موضحاً أداء هذه الفريضة عملياً، وهى عبادة مالية بما ينفقه الحاج فى سبيل زيارة بيت الله، وعبادة الخضوع لله تعالى بخلع ثياب الدنيا، وارتداء لباس الإحرام، وهو رحلة الروح التواقة إلى لقاء الله.

نصوص من القرآن والأحاديث عن الزكاة:

وردت الزكاة فى اثنين وثلاثين آية، وقد ذكرت مقرونة بالصلاة، كإشارة إلى أن من يؤدى صلواته فى مواقيتها بإخلاص لا يتأخر فى أداء الزكاة، لأن الصلاة تنهى عن

الفحشاء والمنكر الذى منه ترك الزكاة، ومن الآيات من سورة البقرة «وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة، واركعوا مع الراكعين». من سورة النساء «والمقيمين الصلاة والمؤتون الزكاة والمؤمنون بالله واليوم الآخر أولئك سنؤتيهم أجرا عظيما». من سورة المائدة «لئن أقمتم الصلاة وآتيتم الزكاة وامنتم برسلى وعززتموهم وأقرضتم الله قرضا حسنا لأكفرن عنكم سيئاتكم». من سورة الأعراف «ورحمتى وسعت كل شىء فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون». من سورة التوبة. «فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم». من سورة الكهف «فأردنا أن يبدلهما خيراً منه زكاة وأقرب رحما» ـ زكاة: طهارة نفس. ـ من سورة مريم: «وكان يأمر أهله بالصلاة والزكاة» ومن سورة الأنبياء «وأوحينا اليهم فعل الخير وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة» من سورة الحج «فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وأعتصموا بالله هو مولاكم» من سورة المؤمنون «قد أفلح المؤمنون، الذين هم فى صلاتهم خاشعون، والذين هم للزكاة فاعلون» من سورة النور «وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وأطيعوا الرسول» والآيات تؤكد أن الزكاة فريضة، وأن الذين يقولون إنهم مسلمون، ولا يؤدون الزكاة، فلا يكونوا صادقين فى دينهم، قال تعالى «فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فإخوانكم فى الدين». وفى الآيات تأكيد للأجر الجزيل، وان مُخرج الزكاة كأنه يقرض الله تعالى،

وسيسترده زائداً إلى جانب تكفير السيئات، ومنها ما يدل على أن منع الزكاة كفر بالله، وتقرن الزكاة بالصلاة لأن الصلاة ترفق قلب من يؤديها، وتجعله لا يبخل بمال، ولا يخشى فقرا، فما عنده من مال هو مال الله استخلفه فيه. والصلاة التى لا تنهى عن المحارم ولا تحبب فى المكارم لا يقيم الله تعالى لها وزنا.

الأحاديث:

عن ابن عباس رضى الله عنهما أن النبى صلى الله عليه وسلم بعث معاذاً إلى اليمن فذكر الحديث وفيه: «فاعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة فى أموالهم، تؤخذ من أغنيائهم وترد على فقرائهم، وقال «حصنوا أموالكم بالزكاة وداووا مرضاكم بالصدقة، وأعدوا للبلاء الدعاء». وقال «مانع الزكاة فى النار». وعن أبى هريرة قال: قال عليه الصلاة والسلام «مامن صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدى حقها إلا إذا كان يوم القيامة صفحت صفائح من نار فأحمي عليها فى نار جهنم، فيكوى بها جبينه وجنبه وظهره. وقال: «لا يجتمع الشح والإيمان فى قلب عبدا أبدا».

آيات الصدقات:

وردت الصدقات فى أكثر من خمس عشرة آية تحث على البر والإحسان ومساعدة القادر للفقير، والتصدق عمل

اختيارى متروك لوجدان المحسن دون تحديد لما يتبرع به، قال تعالى: «ماعلى المحسنين من سبيل». فالزكاة تكليف شرعى يجب أداؤه، والصدقات غير ملزم بها المسلم، وهى كفارة للذنوب، قال تعالى «فمن تصدق به فهو كفارة له». والصدقة فدية لمخالف شروط الإحرام فى الحج، وهى تطهير للنفوس من البخل. ومن أفضل خصائصها أنها تقع فى يد الله تعالى قبل وقوعها فى يد الفقير، قال تعالى:«ألم يعلموا أن الله هو يقبل التوبة عن عبادة ويأخذ الصدقات، وإن الله هو التواب الرحيم» وهى قرض على الله تعالى، يسدده بأوفى ما يكون الوفاء، قال تعالى، «من ذا الذى يقرض الله قرضاً حسنا فيضاعفه له أضعافاً كثيرة».

مصارف الزكاة:

بين القرآن أصناف الناس الذين تصرف لهم الزكاة أما الصدقات، قال تعالى: «إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفى الرقاب والغارمين وفى سبيل الله وابن السبيل»

فالفقير: من لايملك نصاب الزكاة ولا يقدر على العمل.

والمسكين: من يجد نصف كفايته وهو أحسن حالاً من الفقير.

العامل عليها: من يرسله الحاكم لجمع الزكاة.

المؤلفة قلوبهم: قوم يعطون الزكاة تأليفا ـ لقلوبهم أو لترغيب ذويهم فى الإسلام أو طلباً لمعونتهم، ومنهم المؤلفة قلوبهم يلزم للدعاية للإسلام.

فى الرقاب: العبيد والإماء الذين يعتقون بمال الزكاة، أو أن يتفق العبد مع سيده أن يدفع له مالا نظير عتقه، ويتركه يسعى ليحصل على المال، فيعطى من الزكاة إذا لزمت المساعدة أو لفض اسر المسلمين.

الغارمون: الذين ركبهم الدين وعجزوا عن الوفاء به، أو للإصلاح بين المسلمين.

فى سبيل الله: أن ينفق من الزكاة لتسليح الجيوش للجهاد فى سبيل الله.

ابن السبيل: من كان فى سفر ولم يجد مالا.

النظرية الإسلامية فى الصدقة:

الإسلام يدعو إلى العمل، ويعتبره شرفا، والصدقة علاج للطوارئ الاقتصادية، وقد حذر الإسلام من التسول من غير حاجة. ويحض الإسلام أن تبدأ الصدقة بذوى القربى، ويجيزها لغير المسلمين ويدعو للتعجيل بها، وأن تكون سرا،

ويجعلها القرآن تعامل بين الغنى والله تعالى ويطالب الإسلام بعدم المغالاة فيها، وهى لا تقبل إلا إذا كانت خالصة لوجه الله تعالى.

ثواب الصدقات:

تزداد الصدقات عند الله تعالى، قال تعالى: «يمحق الله الربا، ويربى الصدقات، والله لا يحب كل كفار أثيم». وقال تعالى: «يايها الذين آمنوا إذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدى نجواكم صدقة ذلك خير لكم وأطهر، فإن لم تجدوا فإن الله غفور رحيم». وقد حفل القرآن الكريم بما يدل على عظم أجر المتصدق. قال تعالى: «مثل الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله كمثل حبة انبتت سبع سنابل فى كل سنبلة مائة حبة، والله يضاعف لمن يشاء».

من أحاديث الصدقات:

«إن الصدقة لتطفئ غضب الرب، وتدفع ميتة السوء»، «أتق النار ولو بشق تمرة فمن لم يجد فكلمة طيبة»، «خير الصدقة ما كان عن ظهر غنى، وابدأ بمن تعول» وقد كان رسول الله عليه السلام أجود الناس بالخير ولاسيما فى شهر رمضان.

مانعوا الزكاة:

يظن البخيل أن بخله يزيد ماله، ولكنه ينفض الناس عنه ويسبب له العذاب في الآخرة قال تعالى: «ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خير لهم، بل هو شر لهم، سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة» والحكم الشرعي لمانع الزكاة، العارف بوجوبها أنه خارج عن الإسلام ويحق قتله، فإذا كان حديث عهد بالإسلام فيلام أو يضرب لجهله بأحكامه أما من امتنع مع اعتقاده بوجوبها فلا يخرجه ذلك عن الإسلام، ويأخذها منه الحاكم قهرا.

قصص قرانية عن مانعي الزكاة:

(١) كان رجلا فقيراً من الانصار يسمى ثعلبة بن حاطب تمني أن يكون غنيا وقال للنبي أن يدعو له، وأقسم إن أغناه الله ليصدقن منه، فدعا له النبي، فاتخذ غنما أخذت تتكاثر، وكان يصلي الظهر والعصر فقط، ثم ترك الصلاة إلا الجمعة، ثم ترك الجمعة أيضا، ونزل قوله تعالى «خذ من أموالهم صدقة» فبعث النبي عليه السلام برجلين على الصدقة من ثعلبة ورجل آخر الذى أعطاهما ومنعهما ثعلبة، فقال النبي «ويح ثعلبة» ثم نزلت الآية «ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله

لنصدقن ولنكونن من الصالحين، فلما أتاهم من فضله بخلوا به وتولوا وهم معرضون» ولما بلغت ثعلبة عاد بالصدقة إلى الرسول فقال: «إن الله منعنى أن أقبل منك» ولم يقبل أبو بكر وعمر وعثمان الزكاة منه، ومات ثعلبة فى عهد عثمان.

(٢) قصة قارون: قال تعالى: «إن قارون كان من قوم موسى فبغى عليهم وآتيناه من الكنوز ما إن مفاتحه لتنوء بالعصبة أولى القوة إذ قال له قومه لا تفرح إن الله لا يحب الفرحين وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة، ولا تنسى نصيبك من الدنيا، وأحسن كما أحسن الله إليك، ولا تبغ الفساد فى الأرض إن الله لا يحب المفسدين، قال إنما أوتيته على علم عندى، أولم يعلم أن الله قد أهلك من قبله من القرون من هو أشد منه قوةً وأكثر جمعا، ولا يسأل عن ذنوبهم المجرمون، فخرج على قومه فى زينته، قال الذين يريدون الحياة الدنيا، ياليت لنا مثل ما أوتى قارون إنه لذو حظ عظيم، وقال الذين أوتوا العلم ويلكم ثواب الله خيرا لمن آمن وعمل صالحا ولا يُلقَّاهَا إلا الصابرون، فخسفنا به وبداره الأرض فما كان له من فئة ينصرونه من دون الله..»

(٣) قصة أصحاب الجنة (البستان) كان رجل صالح له بستان قرب صنعاء باليمن، ثم توفى وخلفه أولاده على البستان، فلما قرب وقت الحصاد قالوا أنهم كثيرون ولهم أولاد

وقرروا ألا يعطوا أحد شيئا وأن يذهبوا فى الصباح الباكر حتى لا يعلم المساكين، ولم يقولوا إن شاء الله، وطاف على بستانهم بلاء من الله فأهلك بستانهم، وأقبل بعضهم على بعض يتلاومون وهكذا يكون جزاء مانع الزكاة.

حياتنا الدنيا:

مهما قيل على السنة أحكم الحكماء عن حكمة الله تعالى فى إيجاد الموت والحياة، فلن نجد أصدق من قوله تعالى: «وماخلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون، إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين. الذى خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا». أى أن المقصود من الخلق هو عبادة الله تعالى ومعنى العبادة أن يؤدى الإنسان الفروض الدينية بإخلاص ثم يقوم بما يجب عمله لكسب الرزق والإصلاح بين الناس وكل ما هو خدمة مجتمعه وقد نبهنا تعالى إلى أن الدنيا نعيم زائل فى قوله: «وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور» «فلا تغرنكم الحياة الدنيا». والقرآن يوضح لنا أن الدنيا دار اختبار لنا وتنافس على بذل الخير، ومن لم يعرف لماذا خلق وما هى رسالته فى الدنيا فقد ضلَّ سواء السبيل والناس فى هذه الدنيا متفاوتون جسما وعقلا وطبعا، وقد اقتضت حكمة الله أن تعيش هذه الأخلاط جنبا إلى جنب يقوم كل بنصيبه بقدر طاقته، ومن أمتن الأسس التى وضعها

الإسلام لتعاون الناس «الزكاة» لأنه يكره الفقر، يريد أن يضمن حق الفرد. وقد كرم الله تعالى الإنسان بالعقل والتطلع إلى رحمة الله ويكره الإسلام أن تتسبب فوارق الطبقات أن تعيش جماعة فى ترف وأخرى فى حرمان، قال عليه الصلاة والسلام: «لايؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه». والزكاة تجعل الغنى آمنا على ماله، وترد الحاقد وتحفظ على الفقراء قناعتهم وتريح نفوسهم من الشقاء ودنيانا بغير تعاطف وادٍ من العذاب لا يأمن الغنى على ماله ولا يقنع الفقير، وبالزكاة تصبح عيشا هادئا تحفه المحبة.

الربــا:

حرص الإسلام على أن تكون الزكاة من مال حلال ليس من كسب حرام أو استغلال كالربا الذى حرمته كل الأديان والمعاملات فيه تجرى تحت وطأة اضطرار المحتاجين فيشترط من يقرضهم دفع فائدة، وهذه القروض تسمى قروض استهلاكية. أما القروض الانتاجية فيحصل عليها أصحاب الأعمال من البنوك لإيجاد مشروعات استثمارية والإسلام يحرم أخذ الفوائد على القروض، فلايرضى أن يكسب المسلم مالا بغير عمل يؤديه بابتزاز أموال المحتاجين قال تعالى: «يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقى من الربا إن كنتم مؤمنين فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله». ومن

الآثار السيئة للربا أنها تدعو لغلاء الأسعار ولأن فوائد القروض تضاف إلى أثمان السلع، كما يسبب كثيرا تخفيض أجور العاملين أو الاستغناء عن بعضهم إذا خسرت المشروعات وقد استحق اليهود لعنة الله تعالى لأنهم أوجدوا الربا، وهم لا يأخذون الربح من اليهودى. وقد حرمت المسيحية الربا، ولكن رجال الكنيسة فى القرون الوسطى حرموا الربا وقالوا للناس أن التجارة نوع من الربا بينما كانوا هم يزاولونها سرا، فعرف الناس ذلك فأحلوا لانفسهم التجارة والربا الذى إتسع التعامل به وقد أدخل اليهود نظام الربا فى العالم فسيطروا على العالم الاقتصادى وكان الربا سبيلا للاستعمار فى البلاد الإسلامية والعربية، وقد أحل الله من المكاسب من تنمى ثروة الأمة والربا ليس كذلك.

من آراء العلماء فى الربا:

اجتمعت الآراء على أن الفوائد والأرباح فى الديون أموال حرام سواء قلت أم كثرت، فالإسلام قصد بتحريم الربا اقامة نظام اقتصادى تعاونى لاظلم فيه. على المسلمين أن يتقوا شر الربا، وعلى الحكومات الإسلامية أن تبطل كل المعاملات الربوية، وتعاقب من يبتز أموال الناس بالباطل. إن عمليات الربا على أختلاف وسائلها حواجز تضر الاقتصاد القومى إن الربا نوع من المعاملة تألفة النفوس الجشعة، وهو محرم

تحريما باتا كالخمر والميسر قد يقول قائل إن الضرورات تلجئنا إلى الاقتراض بالفائدة والرأى أن نصبر حتى نضرب نطاقا من التعاون بين الدول العربية يتعامل فيه الناس معاملة إسلامية، وقد وعد الله المؤمنين بالنصر إذا صبروا، إن الاقتصاد فى الإسلام يقوم على أسس منها العمل وإباحة التجارة وتحريم الربا..

الإسلام يريد من كل مسلم أن يعمل ليحصل على عيشه من وجه حلال، ولايضيع الله عمل عامل.

شبهات «العصريين» فى إستباحة الربا:

يرى البعض أن الربا أصبح من أسس الاقتصاد، وليس من الرأى أن نهدم ذلك، وقد ارتبطت الأمم ببعضها فلم يعد ممكنا أن تستقل أمة بنوع من المعاملة لا تعرفه غيرها، ويستدعى الحال كثيرا من الأحيان أن تقترض الحكومات من غيرها أموالا تضمنها بربح مقدر. ويرون أن تحريم الإسلام للربا يفضى بالأمة إلى الضعف.

مزيد من الأدلة على تحريم الربا بجميع أشكاله :

من أنواع الربا: الربا الاستهلاكى وهو الربح الذى يؤخذ عن المال الذى يقترض لإشباع حاجة استهلاكية. والربا

الانتاجى وهو الربح الذى يؤخذ عن المال المقترض لعمليات انتاجية. والربا البسيط تكون نسبته غير فاحشة والربا المضاعف يكون ربحه فاحش أما ربحه على المال مع ربحه (فائدة مركبة) وقد زعم البعض أن الربا الحرام هو الاستهلاكى والمضاعف، وحجتهم أنه كان معروفا أيام النبى عليه الصلاة والسلام، وهم يحتجون على تحريم الربا الانتاجى. وقد خص القرآن الربا المضاعف بقوله تعالى: «ياأيها الذين آمنوا لا تأكلون الربا أضعافا مضاعفة» وقد حرم القرآن الربا بجميع أنواعه. قال تعالى: «الذين يأكلوا الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس، ذلك بأنهم قالوا إنما البيع مثل الربا، وأحل الله البيع وحرم الربا» قال عليه الصلاة والسلام «وكل قرض جر نفعا فهو ربا» وقد عرف الربا الانتاجى فى الجاهلية حيث كان يقترض العرب التجار ويعطوا من يقرضهم من الربح نسبة. وكان زراع الطائف يقترضون من أصحاب الأموال فى مكة ومن اليهود فى الطائف. وحكمة تحريم الربا الاستهلاكى أنه أستغلال غير إنسانى يقضى على تماسك المجتمع. أما الانتاجى فقد ترتب عليه ظهور البنوك التى يتضاعف مالها على حساب أموال المودعين الذين تعطيهم ربح أقل بكثير من الربح الذى تقرض به، وقد وجدت بنوك قليلة فى العالم تسيطر على الأسواق

المصرفية فى العالم وتوجه السياسة والاقتصاد، وغالبا معظم رجال البنوك يهود وحين يقترض المنتج بفائدة سيرفع سعر البضاعة بمقدار الفائدة على الأقل وسيدفع المستهلك ذلك. وإذا زاد الانتاج لسهولة القروض الانتاجية عن حاجة السوق فيحدث كساد يدفع المنتج إلى تخفيض الأجور أو تسريح العمال فتحدث بطالة.

الباب الثانى

«الزكاة ومعانيها»

زكا الشيء: نما. زكا الرجل: صلح وتنعم. زكا المال: زاد. زكاه الله: انماه وطهره. زكا نفسه: طهرها من الادناس أى مدحها. تزكى: تصدق الزكاة: صفوة الشيء، وما تقدمه من مالك لتطهره به. وهكذا تفسر الزكاة على أختلاف معانيها. قال تعالى: «قد أفلح من تزكى» أى تطهر من المعاصى. «خذ من أموالهم صدقه تطهرهم وتزكيهم بها» أى تنمى أموالهم بها. «فلا تزكوا أنفسكم» أى لا تمدحوها «إنما الصدقات للفقراء والمساكين» وجاءت الصدقات بمعنى الزكاة قال عليه السلام (ما نقص مال من صدقة) أى من زكاة. قال تعالى: وآتوا حقه يوم حصاده» أى آتوا الزكاة وقد سماها النبى أوساخ الناس لانها إذا ضن بها صاحبها أفسدت ماله. ومن معانى الزكاة الطاعة والإخلاص وفى الاصطلاح الفقهى الزكاة هى حق واجب فى المال لله.

وأهم أنواع الزكاة هى الزكاة المفروضة فى أموال الأغنياء، وصدقة الفطر والشكر والتقرب والرجاء.

تاريخ فرض الزكاة:

فى شهر شعبان فى السنة الثانية للهجرة فرض الصوم، وقبل عيد الفطر بيومين أمر النبى [ﷺ] بزكاة الفطر، وذلك قبل فرض الزكاة فى الأموال، وأن تخرج عن كل صاع من تمر أو شعير أو زبيب.

جاء الإسلام فجعل مال الدولة لبيت المال لا يأخذ منه الحاكم إلا أجره الذى يفرضه له المسلمون، وقد كان النبى عليه السلام يأخذ لنفسه قوت سنة وكان ينفقه على الخير ثم يقترض ما ينفقه على نفسه باقى السنة، وتوفى ودرعه مرهونة وكانت موارد بيت المال تجمع من:

١ ـ **الزكاة** : مقدار من المال يؤديهاالأغنياء سنويا وتعطى لطوائف معينة من الناس. وقد أبطل عمر رضى الله عنه فى خلافته ما يعطى للمؤلفة قلوبهم، لأن الإسلام قوى وعز من تأليفهم.

٢ ـ **الغنائم**: أموال الكفار إذا ظفر بها المسلمون فى قتال وكانت يعطى خمسها للنبى لينفق على السلاح وذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل وأربعة أخماسها للمقاتلين.

٣ ـ الفيء: كل مال وصل من المشركين لمسلمين بدون قتال كالعشور والجزية وأموال الصلح، وهو من حق بيت المال، ولكل المسلمين فيه حق (العشور، الضرائب بنسبة العشر من قيمة بضائع الكفار القادمين لأرض الإسلام. ولما اتسعت الفتوحات الإسلامية جدت موارد أخرى الجزية والعشور.

٤ ـ الخـــراج: مقدار من المال يفرض على البلاد التى فتحها المسلمون بعد قتال عن كل رأس لمن بقى على دينه، وتسقط عن من يسلم. قال تعالى: «قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله.. حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون». وفى عهد عمر وضع ديوان محكم مسئول عن الشئون المالية، ينفذ أحكام الدين، ويساهم فى تخفيف ويلات الفقر. وقد امتنع البعض عن تأدية الزكاة بعد وفاة النبى، ولكن ابا بكر قال: «والله لو منعونى عقالا» كانوا يؤدونه إلى رسول الله لقاتلتهم على منعه». وكان عمر بن الخطاب يخشى بغية القتال فلم يتردد ابو بكر.

نظام ومقادير أنصبة الزكاة:

راعى الإسلام فيها وقت أدائها ومقدارها ومن تجب عليه ومن يستحقها ومصلحة الأغنياء والفقراء وجعلها طهارة للمال وجعلها سبحانه فى أربعة أصناف:

(١) الزروع والثمار.   (٢) الأنعــام.

(٣) الذهب والفضة.   (٤) عروض التجارة.

أوجبها مرة كل عام، وجعل مدة إستحقاق الزروع للزكاة عند كمالها ونضجها. أوجب الخُمس فيما صادفه الإنسان بلا عناء من الأموال. ونصف الخمس فيما كانت فيه مشقة في التحصيل كما في الثمار والزرع ومن يتولى سقى زرعه بجهد فالزكاة نصف العشر. وفي الأعمال التى تتطلب الجهد والسعى فى غير الزراعة، فزكاتها ربع العشر.

الفقر فى نظر الإسلام:

لابد فى كل مجتمع من وجود الطبقات، وحاول الكثيرون حل مشكلة الفقر ولكنهم فشلوا والإسلام لم يدع إلى محو نظام الطبقات، ولم يدع الأغنياء فى رفاهية بينما الفقراء فى ذل وحرمان، ولكن أمر الحكام أن يأخذوا الزكاة من الأغنياء للفقراء المستحقين، وجعل هذه عبادة مالية، وهى حصيلة تخفف وطأة الفقر.

جمع أموال الزكاة:

جعل الإسلام جمع الزكاة لأولى الأمر، حتى لا يجد بعض الفقراء حرجا فى سؤال الأغنياء، أو يلح بعضهم ليأخذ أكثر من حقه، أو يتهرب الغنى من الدفع.

والفقراء الذين يحصلون على الزكاة بالإضافة إلى سعيهم الخاص، يمكنهم العيش فى حياة كريمة، وقد يرتفع مستواهم وربما دفع بعضهم الزكاة.

والإسلام جعل التفضل عند الله بالتقوى، كما حث على العمل، وعلى مساعدة المسلم للمسلم، جعل الإسلام على الأغنياء مسئولية فى البر بالفقراء وعلى الدولة فى تنظيم وجمع الصدقات وإيصالها إلى مستحقيها.

حكمة الزكاة:

الإسلام جعل الزكاة من أركانه بها يختبر المسلم هل المال أحب إليه أم طاعة الله؟ فلا يحب الإنسان الله إلا إذا تخلص من تحكم الشهوات الدنيوية، قال عليه السلام «منهومان لا يشبعان طالب علم وطالب مال» (والزكاة علاج يشفى النفس من البخل الذى هو أصل كل خطيئة قال عليه السلام «أياكم والشح فإنه أهلك من كان قبلكم». وهى تحبب الناس فى الكرم والخير. قال تعالى: «ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون» وهى تساعد النفس على مخالفة هواها فى حب المال. للأسف البعض يروج لقطع صلة الرحم والنهى عن المعروف وانتهاز الفرص كقائلى الأمثال (اتق شر من أحسنت إليه، الأقارب كالعقارب، إن الذى لا يعمل لا يأكل). مثل هذه الأمثال تناقض

روح الإسلام والأحق اتباع الأمثال مثل (ما استحق أن يولد من عاش لنفسه فقط، لا يذهب العرف بين الله والناس).

آداب وشروط الانفاق فى سبيل الله:

يجب ألا تشعر الفقير بفقره فإذا أخفيت صدقتك تكون يسرت أمره، وصنت كرامته. وهناك إحسان لا بأس من إعلانه، ليكون قدوة قال تعالى: «إن تبدو الصدقات فنعما هى، وإن تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم ويكفر عنكم من سيئاتكم» كذلك فإن من ينفق فى سبيل الله والوطن يضاعف الله له الأجر، وهو تعالى قادر على أن يضاعف لمن يشاء. ويجب الا يتبع المنفقون ما انفقوا مناً، أى تذكيرا بالإحسان أو يتباهوا على الفقراء، أو أذى كأن يُسخر الفقير لخدمته وقد شبه الله الذين يمنون ويؤذون الفقراء كالحجر الأصم، الذى لا ينصبت الزرع. ويجب أن يشكر المزكى الله ان جعله مزكياً لا مستعطيا.

الزكاة علاج لمشاكل المجتمعات:

الزكاة علاج لمشكلات الفقر والبطالة وحق الفقراء على الأغنياء، وهى حق للمحروم فى ذمة الأغنياء والمهلكات ثلاث «الشح، الهوى المتبع، إعجاب المرء بنفسه». وهى موجبة

كالصلاة، وهى إحدى دعائم الإسلام الخمس، وقد توعد الله تعالى مانعها بالعذاب الأليم.

الفرق بين الإسلام والنظم الراسمالية والشيوعية:

اهم النظم السائدة فى العالم فى هذا العصر:

(١) النظام الراسمالى: تأخذ به دول حلف الاطلنطى. وفيه الفرد هو المالك الوحيد لما يكتسب ولاحق فيه لغيره، من حقه احتكار ما يصل إليه من وسائل الانتاج، وهى نظرية تنتهى إلى الأنانية وحب الذات، وتؤدى إلى طبقة غنية تتجمع فيها وسائل الانتاج، وأخرى محرومة تستعلى عليها الطبقة الغنية ومسخره لمآربها وينفق المال فى مشروعات بها روح واحدة هى اقتناء المال بأى الطرق. وهو نظام لا يخلو من ظلم، يجعل المال هو السيد، وإن كان يتيح الفرصة لأى إنسان أن يشق طريقه إذا أحسن التدبير.

(٢) النظام الشيوعى: تأخذ به روسيا والدول المشايعة لها. ويقوم على أنه لاحق للناس أن يملكوا وسائل الانتاج، والمجتمع يهيئ للأفراد القيام بمرافق الحياة فى مقابل أجور لهم، وتنعدم الملكية الفردية، وفى هذا النظام يستهان بالفرد، فالهدف هو: نجاح الجماعة وفى رأيهم ان طبقة العمال هم آلة يسخرها

أصحاب السلطان لتحقيق التطور الاجتماعى، وان هناك قلائل ممتازين لهم بصيرة نافذة يوكل اليهم تفسير الادارة العامة، فهم يعترفون بطبقة خاصة تطاع طاعة عمياء، ولكن المجتمع الخالى من الطبقات (وهو فكرة الشيوعية) حلم من الأحلام والناس لا يرضـــوا أن تسلب إرادتهم هكذا إلا تحت وطأة الإرهاب، وهم يقولون (من يعمل يأكل، ومن لايعمل لا يأكل كل فرد ملك للدولة وليس ملك نفسه). ويقوم النظام الشيوعى أيضا على إنكار وجود الخالق والبعث والحساب، ويقول كارل ماركس (من واضعى أصول النظريات الشيوعية): (لا وجود لله)، والحياة، مادة فقط) ويرى أن الدين مخدر للعقول يجب التحرر منه. ونحن لو أحسنا تربية أبنائنا دينيا، فلا ينخدعوا بمبادىء الشيوعية.

(٣) نظام الإسلام: نظام يتفق مع الحق فى وجود الطبقات، قال تعالى: «ورفعنا بعضكم فوق بعض درجات» وهو جعل لكل طبقة حقوقها، وأوجد العدالة الاجتماعية بين الطبقات بالأخذ من مال الأغنياء للفقراء فقد منح الفرد الحرية فى ملكيته الشخصية بشرط أن ينميها بطرق حلال وألا يكنز المال، وقد فرض الإسلام الزكاة كوسيلة لمنع طغيان الأغنياء وحرمان الفقراء وقد أثبت علم النفس أن من أسس الصحة العقلية شعور الفرد أنه يؤدى للمجتمع نفعا، والزكاة وسيلة لذلك

يمكن بها بناء المؤسسات الخيرية والمنشآت المفيدة ويحدثنا التاريخ المعاصر عن المليونير المعروف (جون روكفلر) الذى اسلمه القلق وعبادة المال لحاله صحية خطيرة، فكان يلهب حماسه نبأ نجاح إحدى صفقاته، ويمرض إذا فشلت، ولما اعتزل العمل بناء على أوامر الأطباء، وهب المال للفقراء والمرضى، فعاوده الأمان والصحة النفسية.

حقوق الإنسان:

بدأت الفكرة بعد الحرب العالمية الثانية، وبعد تشكيل الأمم المتحدة واليونسكو، وأنه لابد لكل فرد بمستوى لائق بآدميته، ولكن مضى زمن طويل لم يتحقق من ذلك شيء يذكر وقد وضعت الثورة الفرنسية مبادىء للحرية والمساواة ولكنها فشلت فالإنسان وضع مبادىء براقة تأتى وتختفى ولا ينفع بها الناس على حين وضع الاسلام أسسا مستمدة من واقع الحياة، فكلف المسلم أن يعمل وجعل العمل عبادة وأوجب على الأغنياء الإنفاق من مالهم الذى هو مال الله تعالى على الفقراء، قال تعالى «وآتوهم من مال الله الذى آتاكم» وحكمة الإسلام فى عدم اكتناز المال حماية المسلمين من المستغلين، فلا تكون فوارق هائلة بين المترفين والمعدمين، وهو لم يقصر إنفاق المال على فقراء المسلمين، قال تعالى «لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم».

الضمان الاجتماعى:

هو حقيقة قررها الإسلام فى الزكاة والنفقات على الأقارب والاباعد، كما نظم الميراث، ومن مظاهر التعاون الاجتماعى زكاة الفطر وأضحيات الأعياد، والفقير الذى ليس له قريب قادر فنفقته على بيت المال. ولما وجد الإنسان رغم إرادته على الارض، أوجد الله تعالى له الرزق الموفور والدولة مسئولة عن ضمان عيش الناس قياسا على فعل الخالق فى ضمان القوت للكائنات الحية، وإتيان المال ينصرف إلى كل قادر وعند عدم وجوده من الأقارب فالأقدر يكون بيت المال.

التصدق والتسول والتامين الاجتماعى:

اصبح التسول من الآفات الاجتماعية التى تفشت فى كثير من البلاد واتخذه من لاخلاق لهم مهنة لهم ولأولادهم وكثيرا ما سمعنا عن أحدهم مات وترك آلاف الجنيهات ولقد حاولت الحكومة القضاء على التسول ولكن بدون جدوى، وحاولت وزارة الشئون الاجتماعية أن تصرف المتسولين عما هم فيه، ولكنهم أعماهم حب المال الذى يجمعونه بأيسر الطرق، وهم يستغلون الدين باسم الرحمة بالفقراء، ويتظاهرون بمختلف مظاهر البؤس والفقر، وتمتلا بهم البلاد حتى يمثلون للغريب

القادم لبلادنا أقبح صورة يراها، فيظن أن بلادنا ليس فيها عمل ولا رحمة، ومن شر ما نلقاه من بعض المتسولين قلة الأدب إذا لم يُعطَوا أو إذا نصحهم ناصح بالعمل، ويجب أن تسن الحكومات القوانين الكفيلة بحماية المجتمع من شرورهم ونحن أمام أولئك حيرى، هل نتصدق عليهم ونحن نعلم بمكرهم، أم لا نتصدق وقد يكون فيهم السائل المحروم حقا؟. وليست هناك وسيلة للخلاص إلا أن يقبض على المشبوهين منهم والزج بهم فى معتقلات، وينفق عليهم من مال الزكاة أن لم يكن معهم مال، وفى هذه المعتقلات تعمل الادارة على تهذيبهم فمن صلح أن يكون مواطنا صالحا أفرج عنه. ولعلاج مشكلة المتسولين والفقراء، يجب تطبيق التأمين الاجتماعى الذى يستمد موارده الثابتة من الزكاة وهى تقضى بأن.

(١) يخرج من كان لديه مال يزيد عن النصاب ٢,٥٪ منه.

(٢) يخرج مالك الأرض ١٠٪ من حاصلاتها إن كانت تسقى بالمطر أو النهر، أو ٥٪ إن كانت تسقى من بئر أو بركة.

(٣) يخرج التاجر والصانع فى نهاية السنة ٢,٥٪ من ماله.

(٤) على مالك الأغنام التى تزيد عن النصاب اخراج نصيب شرعى محدد.

(٥) يؤخذ الخمس من الركائز والدخائن.

(٦) يؤخذ خمس غنائم الحرب. وما يجمع من هذه الأموال لمستحقيها الفقراء الذين لا يحترفون التسول والزكاة تأمين إجتماعي يدفعه القادر في صحته وشبابه لكي ترد إليه في عجزه.

تنفيذ نظام الصدقات والقيام بالحسبة:

لو نفذ المسلمون نظام الزكاة لنزع من صدورهم البغضاء والشر، ودفع ذلك المبادىء الشيوعية التي تضرم سعيرها في قلوب الفقراء ما يجدونه من الأغنياء من حب الذات إلا أن المسلمين تهاونوا في تنفيذ أحكام دينهم، وأغفل الولاة وظيفة الحسبة (وهي النظر في ما يتعلق بالأمن وفض المنازعات ومراعاة أحكام الشرع) التي كانت حية في صدر الإسلام يتولاها الخلفاء، فكان عمر بن الخطاب يجوب الأسواق يتفقد التجار، ويضرب بالعصا من خالف الدين في معاملته. وصلاح المسلمين لا يأتي إلا بتنفيذ أحكام الدين بالحجة تارة، وبالقوة التنفيذية تارة أخرى، ولقد سمعنا مرارا صيحات من رجال مسلمين تدعو إلى سن قانون لجباية الزكاة، ونرجو من الحكومات الإسلامية أن تعمل على إقامة فريضة الزكاة.

أنواع الزكاة

أولا : زكاة المال

(١) زكاة النقود :

ويقصد بها زكاة الذهب والفضة، فإذا كان عشرون دينارا (الدينار ٨٥ جم ذهب) فزكاتها نصف دينار (٢,٥٪)، وفى الفضة من يملك مائتا درهم فضة يخرج (٢,٥٪) منها ويلاحظ الوزن بصرف النظر عن دقة الصناعة. كما أنه لا زكاة فيما قل عن النصاب. وكل ما يصنع من الذهب أو الفضة عليه زكاة، وإذا ملك إنسان ذهبا لا يبلغ النصاب وفضة لا تبلغ النصاب، ولكن قيمتهما تبلغ النصاب وجب أن يخرج زكاتهما. وأوراق النقد إذا ملك شخص نصاب الفضة منها وجب إخراج (٢,٥٪). أما الأسهم والسندات فزكاتها كالتجارة.

(٢) زكاة الدين :

قد تكون الديون معادن أو نقود، وقد تكون غير ذلك كأن يشترى رجل غنما أو يرث بستانا، ثم لا يتسلم المال لأى سبب، فيبقى دينا له عند واضع اليد والزكاة فى الدين غير واجبة إلا إذا كان ذهبا أو نقودا.

اللقطة: وهى المال الذى فقد من صاحبه، فلا يصبح مسئولا عن زكاتها ومن يجده إما ان يتركه أو يحاول العثور على مالكها، فإذا يئس من ذلك أصبح مالكها، على أن يردها متى ظهر المالك، وعليه أن يؤدى زكاتها.

(٣) زكاة النبات :

توجب الزكاة فى كل ما تنتجه الارض وإن لم يحدد النصاب (أى أقل مقدار يملكه شخص ولا تجب الزكاة فى أقل منه) إلا فى الشعير والحنطة والتمر والزبيب، وهو فيهم خمسون كيلة، وفى غيرهم يجب إخراج عشر المحصول إذا كان يسقى من ماء المطر، أو نصف العشر إذا كان يسقى بآله ويجب أن تكون الزكاة من صنف المزكى منه وان يعمل بها كما قال تعالى: «وآتوا حقه يوم حصاده» وتجب الزكاة متى بدأ صلاح الثمر، وإذا تلف الزرع بدون قصد المالك فلا ضمان عليه، أما إذا كان ذلك بإهماله فإنه يضمن حق الزكاة.

(٤) زكاة الحيوان:

تؤخذ الزكاة عن: الإبل، البقر، الجاموس، الغنم.

شروط وجوب الزكاة فيها:

(١) ان تعتمد فى أكثر غذائها على المراعى التى لا يختص

احد بملكيتها. (٢) ان تكون مطلقة الدروع والنسل والتسمين. (٣) ان تبلغ نصابا. (٤) أن يمر عام على ملكية هذا النصاب.

زكاة الغنم: نصابها اربعون، وهى على النحو: من ٤٠ إلى ١٢٠ عليها شاه لها سنة أو جذعة لها ستة اشهر من ١٢١ إلى ٢٠٠ عليها شاتان. من ٢٠١ إلى ٣٩٩ عليها ثلاث شياه من ٤٠٠ إلى ٤٩٩ أربع شياه. وبعد ذلك يجب على كل مائة شاه واحدة.

زكاة الإبل: نصابها خمس من ٥:٩ شاه. من ١٠: ١٤ شاتان. من ١٥: ١٩ ثلاث شياه. من ٢٠: ٢٤ أربع شياه. من ٢٥: ٣٥ بنت مخاض وهى مالها سنة ودخلت فى الثانية. من ٣٦ إلى ٤٥ بنت لبون، وهى ما دخلت فى السنة الثالثة من ٤٦: ٦٠ حقه وهى ما دخلت فى السنة الرابعة. من ٦١: ٧٥ جذعة وهى ما دخلت السنة الخامسة من ٧٦: ٩٠ بنتا لبون، من ٩١: ١٢٠ حقتان. من ١٢١: ١٢٩ ثلاث بنات لبون فإذا بلغت ١٣٠ يصير فى كل ٤٠ بنت لبون وفى كل ٥٠ حقه.

زكاة البقر والجاموس: نصابها ثلاثون من ٣٠: ٣٩ تبيع، اى عجل له سنة ودخل فى الثانية. من ٤٠: ٥٩ مسنة لها سنتان ودخلت فى الثالثة من ٦٠: ٦٩ تبيعان من ٧٠: ٧٩ تبيع ومسنة من ٨٠: ٨٩ مسنتان. وقال كل ٣٠ تبيع وفى كل ٤٠ مسنة وهكذا.

القطيع المشترك: إذا اشترك رجلان في قطيع دون تمييز ما يخص كل منهما يزكي عنه كأنه ملك لشخص واحد.

(٥) زكاة التجارة:

قال تعالى «ياأيها الذين آمنوا انفقوا من طيبات ما كسبتم» وهي في كل ما هو معد للبيع بشرط مضى الحول أي العام ووجود النصاب. ونظامها حصر أموال التجارة، آخر العام وتقديمها فإذا بلغت في السعر الحاضر النصاب وقدره حوالى ٥٣٠ قرشا أخرج منها (٢,٥٪) نقودا، وللتاجر أن يؤخر إخراج زكاة الديون حتى يقبضها. وإذا امتلك شخص شيئا بغير نية التجارة ثم نوى الإتجار فيه فيبتدئ حوله من وقت النية لا الامتلاك.

(٦) زكاة المعدن والركاز:

المعدن: هو كل ما يستخرج من الأرض. والركاز: هو ما يوجد مدفونا في باطن الأرض من كنوز يعثر عليها الناس صدفة وزكاة المعدن ربع العشر، والركاز الخمس، ولا يشترط فيهما مرور الحول، والركاز لمالك الأرض إذا كانت مملوكة أو لمن يعثر عليه إذا لم تكن مملوكة وما يخرج من المنجم أو الحقل يقيم بعد طرح النفقات ثم يخرج عنه ربع العشر فورا.

ثانيا: زكاة الفطر:

توجب بالفطر من رمضان كل عام، وتؤدى قبل الصلاة، وهى = $2\frac{1}{2}$ قدح تمر أو شعير على كل ذكر وأنثى حر وعبد وقد شرعت فى شعبان فى السنة الثانية للهجرة وقد فرضها عليه السلام طهارة للصائم وعونا للمساكين، ومن أداها بعد الصلاة فهى صدقة وتطلب ممن يقدر على قوته وقوت عياله يوم العيد وليلته بحيث يبقى معه ما يستطيع التصدق به، ولابد أن ينوى بقلبه، ثم يدفعها عن زوجته والأقارب والخدم الذين ينفق عليهم، ويجوز دفع ثمنها نقدا، أو طعاما، وتجب بعد انتهاء آخر لحظة فى رمضان ويجوز التعجل بإخراجها يوم أو يومين .

أنواع أخرى من الصدقات

صدقة الضاحى: وهى بعد صلاة العيد وتكون من الإبل والبقر والجاموس والغنم السليمة

عقيقة المولود: هى ما يذبح فى اليوم السابع من ولادة الطفل، ومن المأثور أن تأخذ القابلة رجل الذبيحة، وأن يحلق شعر المولود ويتصدق بوزنه فضة.

وليمة العروس: هو ما يقدم من طعام فى الاحتفال بيوم العرس.

شروط إخراج الزكاة:

لابد من النية، وللمسلم أن يوكل غيره من المسلمين فى إخراجها. تدفع الزكاة لكل بلد لفقرائه، فإذا فاض شىء أرسل إلى عاصمة الدولة أو إلى فقراء بلد إسلامى آخر.

الكفارات والنذور: هناك واجبات دينية أخرى فى المال غير الزكاة، حتى أن الفقهاء ليقررون أن من كان فى بادية، ومعه فضل من ماء وزاد، وطلب المعاونة جائع وامتنع كان له أن يقاتله، فإذا قتله المحروم لا دية عليه، ويموت المقتول آثما وإن قتله المانع كان آثما.

الصدقات اللازمة: ومنها صدقة الفطر، وهى واجبة عند كثيرين من العلماء. وتقدر بالطعام، فتبلغ نحو $\frac{١}{٦}$ كيلة مصرية (قمح)، ويجوز دفع قيمتها، ويدفعها من يملك عشرين دينار ذهب، وهى تدفع عن كل واحد من عياله أو من له ولاية عليه، وهى فى عيد الفطر.

الكفارات: هى عقوبات عند ارتكاب ما يخالف أوامر الله تعالى:

(أ) كمن أفطر رمضان عاجزا عن الصيام ولا يقدر على أدائه مستقبلا، فعليه إطعام فقير عن كل يوم يفطره.

(ب) ومن حاف ولم ينفذ يجب أن يطعم عشرة مساكين.

(جـ) من يفطر في رمضان متعمدا وهو قادر عليه صوم شهرين فإن لم يستطع فعليه إطعام ستين مسكينا.

(د) من قال أن امرأته كأمه في التحريم عليه صوم شهرين متتابعين فإن لم يستطع فعليه أن يتصدق باطعام ستين مسكينا.

النذور: هي ما يلتزمه الشخص مستقبلا من التزامات دينية مالية قال عليه السلام «من نذر أن يطيع الله فليطعه، ومن نذر أن يعصى الله فلا يعصه». والنذر واجب الوفاء.

الصدقات المنثورة:

وتكون من غير تقدير للمعطى له، ولا الزام فيها، بل تكون دفعا لأذى يلحق الفقير.

الوقف: من الصدقات غير اللازمة، وهو يختص بصفة الدوام، وكانت الأوقاف على الفقراء، وعلى التكايا والخانات لإيواء ابن السبيل والإحسان في الوقف تجاوز إلى الإحسان على الحيوان. وأول وقف في الإسلام كان وقف عمر بن الخطاب.

واجب الدولة نحو الفقير:

تكون بيوت المال أربعة أبواب هي:

(١) بيت مال الزكاة: الجزء الأكبر منه ينفق على الفقير، ومن انقطع عن ماله وهو محتاج للطعام، والمدينين الذين عجزوا عن سداد ديونهم، ولم تكن لإسراف أو بذخ.

(٢) بيت مال الخراج والجزية: ينفق منه على مرافق العمران، وفقراء أهل الذمة.

(٣) بيت مال الضوائع: ويئول إليه مال من ليس له وارث، ومال لا يعرف له مالك، وينفق بأكمله على الفقراء.

(٤) بيت مال الغنائم: ينفق خمسه على الفقراء وأربع أخماسه على المقاتلين. وقد أوجب النبى عليه السلام مساعدة العاجزين خصوصا اليتامى، لأنهم إذا صلحت أمورهم فإنهم يكونون قوة عاملة فى سبيل الله. وقد كان عمر بن الخطاب بعد النبى والصديق أكثر الناس اهتماما بمساعدة المحتاج. وهناك فرق بين الضرائب والزكاة، فالزكاة فرضت لسد حاجات معينة، وقد قرر الفقهاء أنه إذا كانت هناك حاجة للمال بعد الزكاة وتسد بتبرع الأغنياء، أو تفرض ضرائب والزكاة والجزاء والجزية والغنائم قد تغنى عن الضرائب، ولكن لا تغنى الضرائب عن الزكاة.

طرق جمع الزكاة وتوزيعها:

الزكاة عبادة إسلامية، تؤخذ كرها إن لم تؤخذ طوعا، وأصلها ألا توجب على المسلم، ولكن الدولة الإسلامية يجب عليها سد حاجة غير المسلمين وقد كان عمر بن الخطاب ينفق على غير المسلمين من أموال الجزية، والآن لا تفرض الجزية. فلم يبق إلا أن تفرض الزكاة عليهم، وفي ذلك مساواة والزكاة شريعة عامة في كل الأديان السماوية. وبين أيدينا ثلاث طرق لجمعها:

(١) أن تجمعها الحكومات المركزية، وتكون لها حصيلة وميزانية، وربما كان في بنك ناصر صورة لذلك.

(٢) أن تجمعها المجالس المحلية.

(٣) أن تجمعها الجماعات الشعبية ويكون عليها مشرف من وزارة الشئون الاجتماعية وهي أمثل الطرق.

الباب الثالث

الإمام أبى حنيفة

هو أبو حنيفة النعمان بن ثابت فارس النسب ولد سنة ٨٠هـ بالكوفة وتربى وعاش بها، وكان من التجار، حفظ القرآن، درس الفقه وتعمق فيه، عاش ٥٢ سنة من حياته فى العصر الأموى حيث كان اضطهاد (آل البيت) و١٨ سنة فى العصر العباسى، وكان يناصر العلويين وكان أبو هريرة واليا على الكوفة من قبل الأمويين، فلما كثرت الفتن جمع الفقهاء، وأرسل إلى أبى حنيفة ليناصره فأبى، فحبسه حتى هرب إلى مكة ومكث بها ٦ سنوات ثم عاد إلى الكوفة فى خلافة أبى جعفر المنصور، ودعاه ليكون قاضى بغداد فأبى فحبسه وعذبه ثم أفرج عنه ومنعه من التدريس أو الخروج من المنزل، وبقى هكذا حتى توفى سنة ١٥٠هـ ودفن ببغداد.

الزكاة على مذهبه:

هى لغة التطهير وسببها ملك نصاب، ولو أطعم المزكى أو أسكن فقيرا فى بيته بنية الزكاة لا يجزئه ذلك، لأنه اباحة وليس تمليكا. وشروط وجوبها: الإسلام والبلوغ والعقل والحرية وشروط وجوب أدائها: مرور الحول على النصاب الأصلى. وشروط أدائها: النية أو التصدق بجميع المال ولو من غير نية الزكاة ولا يشترط أن يعلم الفقير انها زكاة.

زكاة المال: الذهب: نصابه عشرون مثقالا لا تحسب تسعيرة الذهب.

الفضة: مائتا درهم (حسب تسعيرة الفضة) وواجب إخراج (٢,٥٪).

وعروض التجارة: إذا بلغت نصابا وحال عليها الحول تقوم بالذهب أو الفضة ثم تخرج (٢,٥٪).

زكاة الدين:

وهو ثلاثة أنواع:

(١) دين قوى: دين القرض إذا كان على مقربة ولو مفلسا أو على جاحد عليه بنية.

(٢) دين متوسط هو ما ليس دين تجارة، كثمن ثياب ودار السكنى.

(٣) دين ضعيف: فى مقابل شئ كالمهر والوصية والدية. (غير المال).

(١) يزكيه عن كل ما قبض منه ويتراضى وجوب الأداء إلى أن يقبض ٤٠ درهما ففيها درهم.

(٢) لا تجب الزكاة ما لم يقبض منه نصابا وحال عليه الحول.

الأنعام: (الإبل: نصابها خمس، ويجب فيها شاه. البقر: نصابها ثلاثون وفيها تبيع وهو ما دخل فى السنة الثانية. الغنم: نصابها ٤٠ وفيها شاه فإذا كانت أقل من نصاب أو لم يمر عليه الحول لا ترعى من الكلأ المباح أكثر السنة، لا تجب فيها الزكاة.

أحكام متفرقة:

(١) أوراق البنكنوت أمور لا تجب فيها الزكاة.

(٢) الجواهر لا تجب فيها الزكاة إلا إذا قصد مالكها التجارة.

(٣) لا مانع من تعجيلها عن سنوات آتية.

(٤) لا تؤخذ من تركة الميت إلا إذا أوصى فتكون من ثلث ماله.

(٥) المال الذى وجبت فيه الزكاة ثم هلك، تسقط زكاته.

من تصرف إليهم الزكاة:

(١) الفقير: من يملك أقل من النصاب.

(٢) المسكين: لا يملك شيئا.

(٣) العامل عليها من يمر على الناس ليجمعها بأمر الحاكم.

(٤) المؤلفة قلوبهم: من كانوا يستحالون بالزكاة، لدفع شرهم لا تعطى لهم الزكاة الآن.

(٥) فى الرقاب: العبيد الذين اتفقوا مع ساداتهم على عتقهم مقابل مال.

(٦) الغارمون: من عجزوا عن سداد ديونهم.

(٧) فى سبيل الله: الجنود.

(٨) ابن السبيل: الغريب الذى انقطعت صلته بأهله وماله.

وهؤلاء يجب الا يكونوا ممن تجب نفقتهم على المزكى إما يكون أبوه أو ادينه. ولا تعطى الزكاة إلا لمن كان مسلما.

زكاة الفطر: صدقة تصرف للمحتاجين يوم العيد. لادخال الفرح على الفقراء ويوم العيد.

شروطها:

الإسلام. الحرية. ملك نصاب فاضل عن الحاجة ولو لم يقصد عليه الحول ويستحسن أداؤها قبل الصلاة، وتصح فى رمضان ويخرجها المسلم عن نفسه وأولاده وخدمه، وتخرج من: القمح. الشعير. التمر. الزبيب. ومن القمح قدحا وسدس والباقى قدحان وثلث ويجوز إخراجها نقدا وتعطى لمصارف الزكاة.

الامام الشافعى:

عبدالله محمد بن إدريس الشافعى القرشى، يلتقى نسبه مع النبى عليه السلام فى عبد مناف، ولد بغزة سنة ١٥٠هـ فى أسرة فقيرة، ذهب إلى مكة وعمره سنتين، حفظ القرآن ذهب إلى المدينة فى طلب العلم، ولقاء الإمام مالك تولى عملا فى اليمن، وخاف الوالى على مركزه من نقد الشافعى فاتهمه بأنه ضد العباسيين فأرسل هارون للرشيد لقتلهم، ولكنه نجا بقوة حجته، ومزج فى مذهبه طريقة أهل الحجاز القائمة على السنة

والنقل، وطريقة العراق القائمة على الاجتهاد والعقل. رحل إلى مصر وعاش بها حتى مات سنة ٢٠٤هـ ودفن بمصر.

الزكاة في مذهبة:

شروط وجوبها: النصاب. الملك التام. الحول. وتجب فى:

(١) الابل. والبقر والغنم: نصاب الابل: خمس وفيها شاه والبقر: ثلاثون منها تبيع (يتبع أمه فى المرعى). والغنم: أربعون: وفيها شاه جذعة. والخليطان يزكيان زكاة الواحد.

(٢) الذهب: عشرون مثقالا (وفيه ٥ر٢٪). الورق: مائتا درهم (وفيه ٥ر٢٪).

(٣) الزرع والثمار: خمسة أو (ألف وستمائة رطل بالعراقى) وفيها العشر ن سقيت بماء المطر أو نصف العشر أن سقيت بآلة.

(٤) عروض التجارة: تقدر فى آخر الحول ويخرج (٥ر٢٪).

(٥) زكاة الفطر: شروطها: الإسلام غروب الشمس عن آخر يوم رمضان وجود الفضل عن قوته وقوت عياله فى ذلك اليوم وليلته، ويزكى عن نفسه ومن تلزمهم نفقته من المسلمين قدحان. ولا تحل الزكاة إلى: الغني بمال حاضر عنده أو كسب لائق به والعبد وبنو هاشم وبنو المطلب والكافر ومن يلزم المزكى نفقته.

الامام مالك :

مـالك بن أنس بن عـامـر اليـمنى الأصل ولد بالمدينة سنة ٩٣هـ وكان جده من كبار العلماء وقد تعلم مالك الحديث والفتيا وحفظ القران الكريم والحديث. وكان مـجلسه فى مسـجد رسول الله عليه السلام، ثم لما مرض انتقل مجاسه إلى بيته حتى مات سنة ١٣٩هـ ودفن فى البقيع بالمدينة.

الزكاة فى مذهبة :

الزكـاة لـغـة النمـو والزيادة، لأن الله تعـالى يبـارك فى المال القليل المزكى. وهى واجبة بالكتاب والإجماع. ومن امتنع أخذت منه كرهاً.

وشـروط وجـوبهـا: الملك. الحـول. الحـرية. ولصـحـتـهـا. الإسلام. النية.

فى الذهب: إذا بلغ ٢٠ دينار حـال حـولهـا (الدينار = ٥٩ قـرشـا تقـريبـا). الفـضـة: إذا بلغت ٢٠٠ درهم (الدرهم = ٢ تقـريبـا وفى الذهب والفـضـة ٥ر٢٪ الحب: يخـرج منه بعد التصفية العشر أن سقيت بماء المطر أو النهر، ونصف العشر ان سقيت بآلة والبقول إذا اجتمع منها أو بعضـها أربعة أرداب

وسدس الاردب تزكى عنها، أما القمح والشعير والسلت فإذا اجتمع منها أربعة أرادب وسدس أرادب زكاة أما الأرز والذرة والدخن فكل على حدته، والثمر كله جنس واحد يخرج كل بحسابه إذا كان فيه جيد وردىء. والفول الأخضر وعنب مصر الغير مجفف يقدر ويخرج منه إذا بلغ النصاب، والخضر إن بلغ ثمنها نصابا.

زكاة العروض: فى التجارة بشرط أن يملكها ويزكيها كل عام إذا نص له درهما فإذا لم ينص إلا بعد الحول بشهر زكاة عند النوض.

الجزية: (تؤخذ من الكفار) فتؤخذ من رجال أهل الذمة البالغين الأحرار من كل واحدا ٤ دنانير فى السنة وتؤخذ من المجوس الذين فتحت بلادهم قهرا، ومن التاجر الذمى عشر مما يبيعه. والركاز: فيه الخمس إذا لم ينفق عليه وإلا خرج العشر. زكاة الماشية: الابل فى خمس، وفيها شاه. البقر: فى ثلاثين، وفيها تبيع. الغنم: فى أربعين، وفيها شاه. زكاة الفطر: تؤخذ من غالب قوت أهل البلد، يخرج الشخص عن نفسه ومن تلزمهم نفقته ووقتها بغروب الشمس من آخر رمضان وتفضل قبل صلاة العيد، وتجوز قبله بيومين أو ثلاثة وتحرم بعد غروب شمس يوم العيد.

الإمام احمد بن حنبل :

ولد ببغداد سنة ١٦٤هـ، وتوفى بها سنة ٢٤١ هـ حفظ القرآن، وتمرن على التحرير والكتابة وهو فى الرابعة عشرة. وتعلم الدين واللغة والرياضة والفلسفة والتصوف والحديث. قام بعدة رحلات إلى العراق والشام والحجاز واليمن لجمع الحديث، جلس للحديث والفتيا لما بلغ الأربعين، وكان حريصا على اتباع السنة.

الزكاة فى مذهبه:

شروط وجوبها: الإسلام. الحرية. النصاب. الملك التام. تمام الحول. وتجب فى مال الصغير والمجنون. ومن مات وعليه زكاة أخذت من تركته، ولو لم يوصى بها .

زكاة الأنعام: السائمة منها أى غير المعلوفة. وشروطها:

(١) الا تتخذ للعمل.

(٢) أن ترعى الكلأ المباح اكثر العام.

(٣) أن تبلغ نصابا . الابل: نصابها خمس، وفيه شاه. البقر: نصابها ثلاثون، وفيها تبيع، أهلية او وحشية. الغنم: أهلية أو وحشية نصابها ٤٠، وفيها شاه لها سنة وإذا اشترك اثنان فى ماشية مشتركة المبيت والسرح والمحلب والفحل والمرعى، زكيا

كزاحد. زكاة الزروع: فى كل مكيل مدخر من الحب. وما كان مثل الخيار والقثاء والبصل والرياحين ليس فيه زكاة إلا أن يباع. والنصاب بعد تصفية الحب من القشرة، وجفاف الثمر، خمسة أوسق أو ستة وربع أردب. والزكاة فيما يسقى بلا كلفه العشر وإلا فنصف العشر. وللنخل والكرم يجب بعث بخارجى أى مقدار لما على النخلة من ثمر، ويجب أن يكون مسلما أمينا خبيرا.

زكاة الذهب: نصابه خمسة وعشرون دينار وسُبع الدينار وفيه ٥ر٢٪، الفضة: نصابها ٢٠٠ درهم وفيها ٥ر٢٪ ويضم الذهب والفضة. ولا زكاة فى حلى معد لاستعمال أو اعادة. العروض: كل ما هو معد للبيع والشراء لأجل الربح، وزكاته إذا بلغ على ملك النصاب حول ويجب فيها ٥ر٢٪.

زكاة الفطر:

تجب بأول ليلة العيد على الرجل يزكى عن نفسه ومن تعوزهم نفقته إذا فاض من قوته وقوت عياله يوم وليلة العيد. والأفضل إخراجها يوم العيد قبل الصلاة، ويكره بعدها. ومقدارها عن كل شخص صاع تمر أو زبيب أو شعير.

أهل الزكاة.

(٢) الفقراء: هم الذين لا يجدون شيئا من حاجاتهم.

(٢) المساكين: من يجدوا نصف كفايتهم.

(٣) العاملين عليها: وهم من يبعثهم الحاكم لجمع الزكاة، وهم من أهل الإسلام والأمانة من غير نوى القربى.

(٤) المؤلفة قلوبهم: من يؤمل بعطيتهم ازدياد ايمانهم.

(٥) في الرقاب: من يعطوا ما يستعينون به للتخلص من الرق.

(٦) الغارمون: من تحمل غرما في سبيل الإصلاح بين الناس أو منهيا من غيره، وكان ذلك سبب إعساره.

(٧) في سبيل الله: المحاربون.

(٨) ابناء السبيل: الغرباء المنقطعون عن بلدهم فيعطى لكل كفايته. للفقر والمسكين كفاية لسنة. والمؤلف: ما يحصل به التأليف وللعبد: ما يقضى به دينه. والعامل: بقدر أجرته.

الزكاة على مذهب الإمامية

(من كتاب المختصر النافع في فقه الإمامية):

تأليف الشيخ أبو القاسم نجم الدين جعفر بن الحسن الحلي المتوفى سنة ٦٧٦هـ.

الزكاة قسمان : الأول : زكاة المال، وأركانها:

(١) من تجب عليه: البالغ (وتجب الزكاة فى غلات الطفل). العاقل. الحر. مالك النصاب متمكن من التصرف (فلا يجب فى مال الغائب).

(٢) ما تجب فيه، فى الإبل والبقر والغنم والذهب والفضة والحنطة والشعير والتمر والزبيب وما تنبته الأرض ما عدا الخضر وفى الخيل الإناث. زكاة الأنعام: الإبل: نصابها خمسة وفيها شاه. البقر: ثلاثون وفيها تبيعه. الغنم: أربعون وفيها شاه ولا تجب فى الماشية المعلوفة ولو فى بعض الحول (والحول ١٢ هلالا وان لم يكمل ايامه). ويجب إلا تكون مريضة ولا هرمة ولا التى وضعت حديثا ويجوز أن يدفع عما يجب فى النصاب بالقيمة السوقية: زكاة الذهب والفضة: الذهب: نصابه ٢٠ دينارا فيها ربع العشر ٥ر٢٪، ثم كلما زاد ٤ فيها قيراطان. الفضة: نصابها ٢٠٠ درهم فيها (٥ر٢٪)، ثم كلما زاد فيها درهم. زكاة الغلات: نصابها خمسة أوسق يكون بالعراقى ٢٧٠٠ رطل. ووقت الإخراج إذا جمعت الثمرة وتجب فيها العشر فيما يسقى من السماء أو النهر أو نصف العشر إذا أسقى بآله ولو اجتمعنا فالحكم للأغلب. ما تستحب فيه الزكاة: مال التجارة، والخيل (ويشترط الحول وأن ترعى من الكلاء المباح وكونها اناثا).

(٣) وقت الوجوب: إذا أهل الثانى عشر، ولا يجوز التأخير إلا بقدر، ولا يجوز التقديم. ويجوز إقراض المستحق لها واحتساب ذلك عليه من الزكاة.

(٤) المستحق: (١) الفقراء والمساكين (٢) ومن لا يملك مؤونة سنة له ولعياله. (٣) الطهلوان: وهم الجباه: (٤) المؤلفة. (٥) الغارمون. (٦) فى الرقاب. (٧) فى سبيل الله. (٨) ابن السبيل.

ويشترط فيهم الإيمان، والعدالة، الا يكون ممن تجب نفقتهم، وان يكون من نفس القبيلة، يجوز أن يخص بها أحد المستحقين وإذا قبضها الإمام أو الفقيه برأت ذمة المالك ولو تلفت. لو لم يجد المزكى مستحقا استحب عزلها والايصاء بها. ولو مات العبد المبتاع من مال الزكاة ولها وارث له ورثته أرباب الزكاة أقل ما يعطى الفقير ما يجب فى النصاب الاول ويسقط مع غيبة الإمام منهم السعاه والمؤلفة.

القسم الثانى من الزكاة: (زكاة الفطر)، وأركانها:

(١) فيمن تجب عليه: على البالغ العاقل الحر الغنى. يخرجها عن نفسه ومن يعولهم. ولو أسلم كافرا أو بلغ صبى أو ملك الفقير القدر قبل هلال شوال وجبت الزكاة ولو كان بعده لم تجب.

(٢) جنسها وقدرها: أفضل ما يخرج التمر، ثم الزبيب ثم ما يغلب على قوت بلده مثل الحنطة والشعير والتمر والأرز واللبن. ومقدارها صاع (وهو ٩ أرطال بالعراقى).

(٣) وقتها: تجب بهلال شوال، وعند صلاة العيد، ويجوز تقديمها فى رمضان ولا يجوز تأخيرها بعد الصلاة إلا لعذر.

(٤) مصرفها: هو مصرف زكاة المال. ولا يعطى الفقير أقل من صاع.

ويقول فى الختام:

شاءت إرادة الله تعالى أن يضم المجتمع الإسلامى وغيره الغنى والفقير، وشاء أن تبقى صلة الإنسان بأخيه، لينفق الغنى على الفقير فالزكاة تطفىء نيران حقد الفقراء على الأغنياء، ولا هى الهم لهم. ومن مبادىء الإسلام أن المال وديعة الله استخلف فيه الأغنياء. وأن الوحدة القومية توجب التكافل وقد حارب الشح الذى يمنع مساعدة الضعيف وهدد المرابين والمقصرين فى حق الفقير بنقمة الله تعالى وليس بالعسير على دولة العلم والإيمان أن تكون فيها كلمة الله وشريعته هى العليا، وتكون الأحكام فيها تابعة من كتاب الله وسنة الرسول. وإننا لنغتبط كلما وجدنا اتجاها يسير فى تيار دينى تقدمى وأن الدولة بتنظيمها الشعبى لتلقى فى روع الأغنياء وعيا جديدا

يخرجون الزكاة عن طيب خاطر لإخوانهم الفقراء. وأما ما يجمع من غير المسلمين وهو جائز فى مذهب أبى حنيفة ينفق على فقرائهم ولقد انزل تعالى كتابه الكريم لنتبعه وهو فيه صلاح الفرد والمجتمع ويتحتم على حكومتنا الإسلامية ان تتيح لأفراد الشعب ميادين العمل. قال عليه الصلاة والسلام: «إن الله يثيب فى السهم الواحد ثلاثة نفر: الذى صنعه والذى ناوله والذى رمى به». فتستطيع كل حكومة عاقلة، أن تضع النظم الكفيلة بالوفاء بحاجة الأمة، فلا يبقى عاطل ولا محروم. إن الزكاة شىء يغاير الجزية والخراج والضرائب الأخرى. فالضريبة ثمن خدمة الحكومة للفرد. اما الزكاة والصدقات فقوامها الرحمة، ولا يجوز صرفها فى المصالح المدنية العامة. والإسلام يفرض على المسلمين الزكاة وعلى غيرهم ضريبة الجزية (وتسقط إذا اسلم) والجزاء على أطيان الغير مسلم (وتسقط إذا أسلم). إذا كان لديك نقود من غير الذهب والفضة فلا زكاة فيها مهما بلغت قيمتها أمام ما تدخره الحكومة للموظفين فى صندوق الإدخار، أو ما تستقطعه من المرتبات للمعاش، فإذا قبض الموظف منه نصابا، وحال عليه الحول، وجبت الزكاة.

أمثلة عملية:

(١) تاجر تقدر تجارته بـ ٦٠٠ جنيها وعنده نقود بـ ٢٠٠ جنيه فزكاته قيمة ماله ٦٠٠ +٢٠٠ = ٨٠٠ جنيه وزكاته ٨٠٠ × ٢ر٥٪ = ٢٠ جنيه. الدين لا زكاة فيه قبل قبضة. التاجر الذى تقل تجارته عن خمسمائة واثنين وتسعين وثلثى جنيه لا زكاة عليه. الأسهم والسندات يدفع عنها ٢ر٥٪. شخص يدخر مبلغا شهريا فعندما يكتمل لديه النصاب ويمر عليه الحول دفع عنه وعما يجد عليه من الزيادة.

(٢) سيدة عندها حلى ذهبية وزنه ٥٠ درهم وآخر غير صالح للاستعمال وزنه ٣٠ درهم وحال الحول، على الجميع، فالأحوط لها أن تدفع الزكاة كالآتى: ٥٠ +٣٠ = ٨٠ درهما، قيمة الزكاة ٨٠ × ٢ر٥٪ = ٢ درهم.

(٣) رجل عنده أدوات فضية وزنها ٨٠٠ درهم، وسبيكة ذهبية ٣٤٠ درهما. فزكاة الفضة ٨٠٠× ٢ر٥٪ = ٢٠ درهم فضة، وزكاة الذهب ٣٤٠×٢ر٥٪ = ٨ر٥ درهم.

(٤) رجل يملك من الإبل ٧٠ ومن الإناث للخيل ١٠٠ ومن الحمير ٨٠ وكلها ترعى فى كلأ مباح طوال العام. إلا البقر فعلفها أسبوعيا.

(١) فالحمير لا زكاة فيها.

(٢) والخيل لها زكاة عند أبى حنيفة فيقومها ويخرج ٥ر٢٪ من قيمتها أو يخرج عن كل فرس دينار.

(٣) والبقر عند الشافعى لا زكاة. وعند أبى حنيفة واجبة والواجب فى ٦٩ بقرة تبيعان.

(٤) الإبل: فيها ناقة دخلت فى السنة الرابعة.

هذا وقد آثرنا أن نقدم عرضا وافيا لهذا الكتاب إيمانا منا بأهميته وأهمية الموضوع الذى تحدث عنه والذى يكثر ذكره فى كتب كثيرة رجعنا إلى ما استطعنا الرجوع إليه منها حتى نتأكد من صحة ما جاء بالكتاب، وقد ساعدتنى فى ذلك كريمتى هبه سلامة التى قضت فى ذلك وقتا طويلا وخاصة عندما قررنا ضم هذا العرض إلى كتابنا الحالى.

التشريع الإسلامى لغير المسلمين
عبدالله المراغى

هذا الكتاب من تأليف الأستاذ عبدالله مصطفى المراغى وقد قسمه إلى عدة أبواب عن الدعوة المحمدية وانتشار الدين الإسلامى ويبين فيه الحاجة إلى الرسل (بينت الحكمة الإلهيه للناس طريق سعادة الدنيا والآخرة، فاصطفى الله من عباده الرسل حتى لا يكون للناس حجة من بعدهم فأمة عيسى عليه السلام جامها وهى فى أشد الحاجة إليه، ثم بعد عصره خيمت على العالم الجاهلية والفوضى والخلافات الدينية، فبعث محمد عليه السلام ليعلم الناس الكتاب والحكمة). ثم يتحدث عن الدعوة المحمدية كيف بدأت سرا ثم بعد ثلاث سنين أمر بالجهر بالدعوة، وهال ذلك قريشا وثارت عليه وطلبوا من عمه كفه عن تسفيه الآلهه، ولكن عمه لم يستطع وانتشرت الدعوة وكثر المسلمون فازدادت عداوة المشركين للنبى واتحدوا على مقاطعة المسلمين، وكان لابد من مكان يأمنوا فيه على أنفسهم فكانت الحبشة فكانت أول هجرة فى الاسلام، وكانوا عشرة

رجال واربع نسوه، ثم تبعهم آخرون، واكرمهم النجاشى، وحنقت عليهم قريش فأرسلوا إلى النجاشى ليردهم فلم يرض.

وفى العام العاشر للهجرة فى شوال توفى ابو طالب والسيدة خديجة رضى الله عنهما، فأذت قريش الرسول بما لم تطمع فيه فى حياة أبى طالب، فظهر الاحتياج لمن يدخل الرعب فى قلوب المشركين، فذهب إلى الطائف، ولكن قلوبهم كانت كالحجارة فيئس منهم وعاد لمكه، وطلب الجوار من المطعم بن عدى فأجابه. ومكث عليه السلام بمكه يدعو الناس للإسلام فى مواسم الحج، فأسلم بعض أهل المدينة وبعض قومهم على أيديهم وفى الموسم الثانى بعث مصعب بن عمير ليعلمهم شعائر الإسلام، والقرآن فانتشر الاسلام فى المدينة وتوطد وتهيأ للمسلمين الهجرة. وغاظ ذلك المشركين فأجمعوا على قتل النبى ﷺ ، فعلم بذلك وهاجر سرا للمدينة ففرحوا به، وبنى هناك مسجده، ثم لحق به أصحابه من مكه. وشرع له قتال من يعتدى على المسلمين فكانت الغزوات ثم حدثت مهادنه بين قريش والنبى سنة ٦هـ وبعد سنتين نقضها حلفاؤه. فجهز جيشا فتح به مكة وحطم الأصنام وأسلم جميع أهلها . وفى آخر الغزوات عام ٩هـ عمَّ الإسلام أكثر بلاد العرب ثم خرج إلى بلاد الروم وضرب الجزية على إمارات تابعة لهم. وفى السنة العاشرة حج ﷺ حجة الوداع وتم نزول القرآن ولم يمض إلا ٣ شهور حتى توفى الرسول ﷺ. وبويع

أبوبكر بالخلافة ثم بقية الخلفاء الراشدين ثم دخل العنصر الأجنبى وتحكم فى أمور المسلمين، فاعتمدوا على الفرس ثم الأتراك. وهكذا أخذت الدولة الاسلامية فى الضعف.

روح التشريع فى الإسلام:

ترفق الاسلام فى تشريع الاحكام، فلم يفاجئ الناس بها، بل تدرج فى إزالة الرذائل ولم يكلفهم فوق طاقتهم ووضع قواعد كلية لتستنبط كل امة القوانين التى تحقق مصالحها ونوضح ذلك فى :

أولا: التدرج فى التشريع: - كان شرب الخمر عادة مستحكمة فى الجاهلية، فلو حرمها الإسلام فجأة لتحمل الناس آلامًا كثيرة، فمهد الإسلام لتحريمها ببيان إثمها وضررها ومهد للخطوة التالية فحرم شربها عند إرادة الصلاة، وهيأهم لنبذها دون عناء، وتقبلوا تحريمها راضين.

ثانيا: عدم الحرج: بين الاسلام أن الله تعالى يسر للناس دينهم ولا يرضيه العسر وأن الشريعة كلها يسر ولا عسر فيها فشرعت الرخص كالفطر للمسافر.

ثالثا: القواعد الكلية: ولا تختلف حسب العصر والبلد، ويستنبط منها المجاهدون ما يناسب عصرهم وبلدهم. وفصلت أحكام الجزئيات فى مالا يختلف بالزمن والمكان كالميراث أما

التى تتغير فقرنها بالمصلحة وتزول الأحكام عند زوال المصلحة، فأحكام الشريعة دستورا مرنا لكل المجتمعات.

رابعا: السماحة في التشريع: - حقر الاسلام الجاهلية وعاب نظمها ولكنه أقر الصالح منها: مثل انواع الزواج التى ابطلها الإسلام وأقر منها نكاح الناس اليوم لأنه يصون الأعراض ويمنع الفساد ويحفظ النسب.

وأما القسم الثانى أو الباب الثانى فكان عن:

احكام الإسلام التى تسرى على غير المسلمين.

اتفق العلماء على أن غير المسلم مكلف بـ : «الإيمان» لأن الرسالة عامة لكل الناس وباعتقاد وجوب العبادات. وأنه فى المعاملات والعقوبات كالمسلم، وهى تحقق مصالح لا تكون إلا بتساوى المسلم وغيره ليبتعد كل شخص عن التعدى.

واختلفوا فى أداء العبادات هل يؤديها أولا. فالأحناف العرافيون أوجبوه مذهب الشافعى وعامة أهل الحديث، والدليل عن القرآن الذى توعد من لم يؤد الزكاة فدل على وجوبها، وبدليل وجود سبب الوجوب والصلاحية والشروط فيهم وذهب الأحناف البخاريون لعدم وجوب الأداء، وهو الرأى المرجح.

دار الإسلام ودار الحرب: دار الحرب تصبح دار إسلام إذا ظهرت فيها أحكامه، وتصبح دار الإسلام دار حرب عند

الصاحبين إذا ظهرت فيها غير قوانين الإسلام أو تتاخم دار حرب أولا يوجد فيها مسلم أو ذمى آمنا بأمان المسلمين وإذا ارتكب مسلم إثمًا فى دار حرب لا يؤخذ به لأن حاكم المسلمين لا يقدر على تنفيذ العقوبات فيها. وإذا دخل مسلم دار الحرب بأمان وأدان عربيا أو غصب ماله ورجع إلى دار الإسلام وخرج لها الحربى مستأمنًا فلا يقضى لأحدهما لعدم ولايتنا عليهم.

الجهاد: أمر الله المسلمين إرشاد الناس للإسلام بالحُجة والبرهان فى لين فإن لم يعترضها أحد فذلك خير، ولكن قد يقف بعض الأعداء فى وجه الدعوه لخوفهم من أثرها على الرعية، فأمر الإسلام بتنحيتهم بالقوة ليمكن نشر الدعوة ليؤمن أولو الألباب طائعين (فلا إكراه فى الدين). فالقتال لحماية الدعوة ودفع العدوان دون إذلال للشعوب.

كيفية القتال: القتال شر لما فيه من ضياع أرواح وأموال، ولكنه ضرورى لرد العدوان وتطهير المجتمع، ولهذا فرضه الله وقيده ليقتصر على غايته ولحصر ضرره ومن أحكام هذه السياسة: ـ أولا: أوجب ألا يأخذ المسلمون أعداءهم على غرة بل يدعونهم للإسلام، أو يدفعوا الجزية، أو يقاتلونهم، ومشركو العرب فلأن الوحى هبط بينهم فاستمساكهم بالأوثان استهزاء بالإسلام فى داره وبقاؤهم يضعف قوة المسلمين والسياسة الرشيدة تحتم ألا يبقى فى الجزيرة دينان، أما المرتدون فردتهم

اسوا إعلان ضد الإسلام ومصدر فتنة ويجب أن يُقاتلوا حتى يرجعوا للإسلام.

ثانيا: جهاد المسلم فيه ربح دائما فإن انتصر نال بغيته، وإن قتل نال ثواب المجاهدين. والجهاد واجب على كل مسلم قادر فإذا لم يحتاج إلا بعض المسلمين وجب أن ينفر العدد المطلوب فقط حتى لا تعطل المصالح. والتجنيد قائم على التطوع الذى لجأت له الدول بعد الاسلام بـ (١٣٠٠ عام). وللحاكم تجنيدهم إجباريا اذا لم يتطوعوا، لأنه مسئول عن مصلحة المسلمين والغاية الموصلة لذلك.

ثالثا: حرم الاسلام قتال من لا يحارب من الاعداء كالراهب والصبى والمرأة... فالمسلمين أمُروا بقتال من يخالفهم فى العقيدة أما من يجنح للسلم فلا يقاتل فإن الصبى مثلا قاتل أو انتفع العدو برأيه حل قتله. ومن لا يجوز قتله فى المعركة لا يجوز بعدها اذا أخذ أسيرا ومن قاتل يجوز قتله اذا أسر ويستثنى الصبى والمعتوه. فاذا قتل المسلم من لا يحل قتله وجب عليه الاستغفار، ولا يجوز للمسلم مباداة أبيه الحربى بالقتل لمنافاة ذلك للمصاحبة بالمعروف فى الدنيا.

الأمان : الجهاد من الفرائض التى ينال المسلم بها أعظم أجر من الله، ويجب أن يحرص المسلم عليه أشد الحرص فإن اعترى المسلمون ضعف ولم يقدروا على الاستمرار فيه فى

وقت قوة أعدائهم، جاز لهم الأمان أى الصلح على ترك القتال، وقد يكون الأمان عند قوتنا إذا طلبه العدو، والأمان مؤقت ومؤبد.

والمؤقت نوعان :

(١) يحاصر الغزاة مدينة أو حصناً للأعداء، فيستأمنوهم فيؤمنوهم على أن يصدر الأمان من عاقل وبالغ، ويجوز أمان الصبى العاقل للإسلام.

حكم الأمان ثبوت الأمن للمستأمنين وصفته أنه عقد لا ينقض إلا عند المصلحة فإذا كان مطلقا فنقضه بنقض الإمام بعد أن يخبرهم، ثم يقاتلوهم خوفا من الغدر، وإن جاء أهل الحصن بالأمان للإمام يجب دعوتهم للإسلام أو إلى الذمة فإن أبوا قاتلهم خوفا من الغدر.

(٢) الموادعة: العهد على الصلح وترك القتال ولا يشترط إذن الإمام. فالمعمول عليه وجود المصلحة وللإمام نقضه عند المصلحة ولابد من تبليغ النقض لهم.

الأمان للمؤبد (عقد الذمة: ـ عقد بين الإمام أو نائبه وبين الذمى على ترك القتال مؤبدا وركنه لفظ العهد أو الدلالة على قبول الجزية، ويشترط فيه :

(١) ألا يكون المعاهد مشرك عربى (فلا يقبل منه إلا الإسلام أو السيف). (٢) ألا يكون مرتدا. (٣) أن يكون مؤبدا.

وأثار عقد الذمة عصمة النفس والمال وصفته لازم فى حقنا حتى لا يملك المسلمون نقضه أبدا وفى حقهم غير لازم. ولاينقض إلا فى :

١ـ إسلام الذمى. ٢ ـ إذا لحق بدار الحرب. ٣ ـ إذا غلب العدو على موضع.

فحاربناه، لأن الأعداء إذا فعلوا ذلك صاروا أهل حرب وعملهم نقضا للعهد.

الخراج: من الواجبات على الحربى الذمى، وهو ما يخرج على الأرض أو النفس وهو الجزية، والخراج يجب على أرض الذمى ولو أسلم تسقط عنه الجزية، وأرض الخراج هى كل دور الاعاجم التى ظهر عليها الإمام وتركها لأهلها، وأرض العرب لا يؤخذ منها خراجًا سواء أسلم أهلها أو فتحت، أما مشركو العرب فلا يقبل إلا الإسلام أو السيف.

والخراج نوعان :

خراج مقاسمة: أن يكون الواجب جزءاً شائعًا من الخراج.

خراج وظيفة : أن يكون الواجب شيئا فى الذمة يتعلق

بالتمكن من الأرض. ولو عطل صاحب الخراج أو أسلم أو باعها إلى مسلم يبقى خراجها لأنه بالتعطيل لا يقدر، ولأن الخراج مؤنه له.

الجزية: هى ما يدفعه الذمى إلى المسلمين ليعينهم على صيانة الذميين وأمنهم وسببها عقد الذمة، وتوضع أيضاً على الوثنى من العجم ولا توضع على الوثنى أو المرتد العربى. ولا تجب على صبى وامرأة وعبد وأعمى وفقير وراهب ومجنون، فهى واجبه على أهل القتال، ووجوبها أول السنة، وهى نوعان:

(١) توضع بالصلح والتراضى والاتفاق.

(٢) يضعه الإمام بغير رضاهم حسب درجة الغنى ويقسم على الأشهر، وللإمام الحكم بالغنى.

وتسقط الجزية بالإسلام والموت، وهى لا تصلح عوضاً عن العصمة لأنها للذمى لكونه آدمياً، ولا تصلح بدلا عن السكنى لأنه يسكن ملك نفسه. وتسقط بمضى السنة كاملة ودخول سنة أخرى لأنها وجبت لرجاء الإسلام من الذمى، فإن لم يسلم يؤخذ عن السنة المقبلة

مصرف الخراج والجزية ونحوهما:

مصرفها المصالح العامة كسد الثغور وبناء القناطر وأرزاق العمال والعلماء والمقاتلين أى المصالح التى تعم المسلمين. وفى

إعطائها للمقاتلين تقوية للمسلمين وحتى لا ينشغلوا عن مصالح المسلمين.

الردة : هى الرجوع عن دين الإسلام، وركنها كلمة الكفر على اللسان بعد الإيمان وشروطها العقل والطوع. وإذا كان المرتد رجلا يعرض عليه الإسلام، يؤجل ثلاثة أيام كمهلة للتفكير فإن تاب خلى سبيله وتوبته بالشهادة والتبرأ مما كان انتقل إليه فإن أبى قتله الإمام. وإن كان امرأة تحبس وتدعى للإسلام قهراً وتضرب كل فترة حتى تتوب أو تموت، وحرم قتلها. ولو قتل المرتد فليس عليه عقاب. ولو قتل المرتد فليس على قاتله شئ وعند أبى حنيفة: يزول الملك للمرتد على ماله حتى يسلم، فإن مات ورث كسب إسلامه وارثه المسلم بعد قضاء دين إسلامه وكسب ردته فيء بعد قضاء دين ردته. وأن الحق بدار الحرب قسم الإمام ماله بين ورثته. وتصرفات المرتد تنحصر فى:

١ ـ نافذ باتفاق وهو الاستيلاء والطلاق وقبول الهبه والحجر على عبده.

٢ ـ باطل بالاتفاق فى الحال كالنكاح والذبيحة.

٣ ـ موقوف بالاتفاق وهو المفاوضة، لاعتمادها على المساواه، ولا مساواة بين المسلم والمرتد، وإن أسلم صحت المفاوضة.

٤ ـ مختلف فى حكمة بين العلماء، النفوذ بعد الإسلام فإن مات على الردة بطلت، أو تنفذ أو بطلانها.

ولما كان الإسلام مرجوا منه تتوقف تصرفاته.

وفى الباب الثالث يبين حكم الإسلام على اهل الذمة.

الشريعة الإسلامية أحكامها عامة لكل المسلمين، وقد يسكن في دار الإسلام بعض غير المسلمين ويرفعوا للقاضى دعواهم، وانحصر نزاعهم فى الآتى (ويجب على القاضى):

(١) القضاء بما أمر به الشرع الإسلامى، وكانت فى البداية التخيير بين الاعراض عنهم والقضاء بالإسلام.

(٢) التخيير بين الحكم والإعراض عنهم.

(٣) الحكم عليهم وأن لم يترافعوا إلينا. فالسرقة مثلا تضر بالنظام العام ولذلك يجب عقاب السارق الذمى كالمسلم فاذا كان فى غير ما يخل بالنظام العام فلا داعى لالزامهم بالحكم الشرعى الا اذا ترافعوا إلينا. وإذا تنازع ذميان أو اثنان احدهما ذمى يجب الحكم بينهما ورضاهما بحكم القاضى فقد التزمنا الذنب ورفع الظلم عنه. وفى مذهب الشافعى إذا ترافع إلينا ذميان فإما:

(١) الحكم بينهما لقوله تعالى (وأن أحكم بينهم بما أنزل

الله). ولوجوب منع الظلم والحكم بينهما كالمسلمين.

(٢) كما قال مالك الحكم بينهما أو ردهما لحاكم ملتهما.

والمرجح الرأى الأول والحاصل اشتراط مرافعة الخصمين ورضاهما بأحكامنا فإذا طلب أحدهما إحضار خصومه لا يحضر جبرا، فإذا كان أحدهما مسلما فيجب إحضار الخصم بالقوة. ويجب إجراء أحكام الإسلام على غير المسلمين، كما وجب على المسلمين إلا أهل دار الحرب لانقطاع ولايتنا عليهم وعدم امكان تنفيذ احكامنا فيها نكاح.

غير المسلم.

اى المشرك أو غيره من أهل الكتاب، وقسم ذلك إلى:

(١) كل نكاح صح بين المسلمين صح بين غيرهم والذى توافقنا فى اعتقاد جوازه يكون ثابتا فى حقهم، كما أن نكاح من لا يكون مسلما غير صحيح فى حقه ولو صح بين المسلمين.

(٢) كل نكاح فسد بين المسلمين يجوز فى حق غيرهم لو اعتقدوه، فمثلا إذا تزوج غير المسلم بغير شهود فلا يجوز عندنا ويجوز عندهم، وبعد الإسلام يصح عند أبى حنيفة وعند زفر يجب أن يترافعوا إلينا فيفرق بينهما القاضى، والزواج

بدون شهود يجوز عند غير المسلمين، وأهل الكتاب يتركوا وما يعتقدون إلا ما استثنى عليهم كالرياء والزنى وإذا تزوج غير المسلم بامرأة فى حال العدة من غير مسلم، ويجوز النكاح عند ابى حنيفة بعد الإسلام. وعند الصاحبين وزفر لا يجوز، ويقول البعض أن العده لا تجب من الذمى، ولذلك فالنكاح صحيح. والبعض ان العده واجبه لكنها ضعيفة لا تمنع النكاح أو بقاءه.

(٣) النكاح المحرم كنكاح المحارم يجوز عندهم ولذا تجب النفقة ويحد القاذف فيه حد القذف كما النكاح الصحيح، وعند الصاحبين: باطل فى حقهم ولكنا لا نتعرض لهم وإذا اسلم الزوجان حكم عليهما بحكم الإسلام. وهم لا يتوارثون بذلك النكاح.

حكم نكاح المسلم بغير المسلمة والمسلمة بغير المسلم:

نهى الله تعالى عن نكاح المسلم للمشركة، لمفاسد عديدة تنتج منه، وذلك حتى تؤمن أما نكاح المسلم للكتابية فجائز، والأصل لا يجوز لقيام عداوة دينية تحول دون المودة اللازم تواجدها وجوازه لرجاء إسلامها سواء حرة او أمة عندنا. وقال الشافعى لا يجوز نكاح الامُة الكتابية لانها مشركة على الحقيقة. وفى قوله تعالى: «والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم». تحليل نكاح الحرائر الكتابيات كما أن فيه تفرقة

بين المشركين وأهل الكتاب. وفي الشهادة عند أبي حنيفة وأبي يوسف إذا شهد ذميان في زواج مسلم من ذمية مخالفة لهما في الدين أو موافقة تجوز الشهادة والنكاح.

وعند محمد وزفر والشافعي لا يجوز فشهادة غير المسلم ليست حجة في حق المسلم فلا يجوز النكاح وكذلك يجب أن يكونا شاهدي عدل أي عدالة الدين. ولا يجوز نكاح المسلمة غير المسلم حتى يؤمن للخوف من الوقوع في الكفر والحرام، وذلك موجودا أيضًا في غير المسلمين عموما وليس المشرك فقط، كما أن الشرع قطع ولاية الكافرين على المؤمنين.

لا يجوز للمرتد أن يتزوج، لاستحقاقه للقتل ولأنه مأمور بالتأمل، فالنكاح مشروع للبقاء، وكذلك فسيشغله عن التأمل في المدة المهل فيها (٣ أيام) وبعدها كأنه لا حياة له ولا يجوز نكاح المرتده لانها مأمورة بالتأمل لتعود للإسلام، ولأنها بالرده اصبحت محرمة فاذا ارتد المسلم بعد زواج فعند ابن أبي ليلى لا تقع الفرقة حتى يستتاب وإن مات ورثته ، وهذا كاسلام احد الزوجين. ولكن الرده تنافي النكاح وإن كان الزوج مرتد لها نصف المهر إن لم يدخل بها وإن دخل بها فكله. وإن كانت هي المرتده فلها المهر أن دخل وأن لم يدخل فلا مهر لها. وإن ارتدا ثم اسلما معا فعلى نكاحهما وقد يفرق بينهما ولو جرت كلمة الكفر على لسانها مغايظة لزوجها تحرم عليه وتجبر على

الإسلام. وللقاضى تجديد العقد ولو بدينار، ليس لها الزواج بغيره.

مهور غير المسلمين :

ما يصلح مهرا فى نكاح المسلمين يصلح فى نكاح الذميين. إلا الخمر والخنزير فيصلح مهرا فى حقهم فاذا أسلما فلها بقيمته المهر وليس بعينه لانه محرم. عند أبى يوسف لها مثلها سواء بعينه او غيره. وعند محمد لها القيمة. وأبى حنيفة ملكيتها للمهر حتى قبل قبضة ولو نكح نمى نمية بلا مهر وكان ذلك جائزا عندهم فدخل بها أو طلقها قبل الدخول أو مات فلا مهر لها. ولو أسلما فالحكم كما سبق وأن ترافعا إلينا فتركهم وما يدينون ووافق الصاحبان أن لها مهر مثل اذا دخل بها أو مات، والمتعه إن طلقها قبل الدخول، وذلك لان ولاية الالزام بأحكام الاسلام متحققه لاتحاد الدار مع الذميين. وفرق أبو حنيفة بين السكوت عن المهر ونفيه فاذا لم يوجد نص على نفى العوض فالمرأة تستحقه. وقال زفر بوجوب مهر المثل فى الكل لأن الشرع شرع ابتغاء النكاح بالمال ووقع عامة فيثبت الحكم على العموم فاذا تزوج كافر ذمية أو حربيان، على ميته أو سكتا عن المهر أو نفياه فلا مهر عند ابى حنيفة، ويجب مهر

المثل عند زفر، والصاحبان مع الإمام فى الحربيين ومع زفر فى الذميين.

ما تحصل به الفرقة بين غير المسلمين:

وذلك اذا اسلمت الذمية وزوجها غير مسلم، فيفرق بينهما، واذا اسلم الزوج وزوجته مجوسية فيفرق بينهما، ولم يتفق على انها طلاق، وفى الأولى هى طلاق عند ابى حنيفة ومحمد. وللقاضى التفريق بينهما وينوب عمن يملك الطلاق. وقال الشافعى أن الفرقة تقع قبل الدخول باسلام أحدهما، وبعد الدخول تتوقف على انقضاء ثلاث حيضات. ويجب عرض الاسلام على الطرف الآخر فإن أبى فرق بينهما فاذا أبت المرأة الاسلام قبل الدخول فلا مهر لها وبعد الدخول لها كمال المهر وليس لها نفقة العدة واذا ابى الزوج الاسلام قبل الدخول فلها نصف المهر، وبعد الدخول لها المهر ونفقة العدة. واذا اسلم زوج الكتابية يبقى النكاح بينهما لان ابتداء النكاح صحيح واذا خرج احد الزوجين من دار الحرب لدار الاسلام مسلما أو معاهدا تقع الفرقة بينهما وجاز للزوج الزواج باربعة غير التى تركها فى دار الحرب أو يتزوج بأختها وللمرأة المهاجرة الينا لاعده لها اذا كانت غير حامل (عند ابى حنيفة) وعند ابى

يوسف ومحمد تجب العده حتى لو كانت غير حامل. والمهاجرة الحامل تنتظر حتى تضع حملها، وعند أبى حنيفة يصح نكاحها لكن لا يقربها حتى تضع حملها. فاذا سبى أحد الزوجين تقع الفرقة بينهما إلا اذا سبيا معا، وذلك اذا كان المسبى خالصا للسابى. أما تباين دارى الزوجين فيقطع الولاية دون الفرقة وذلك عند الشافعى. أما الحنفية فتباين الدارين حقيقة وحكما يقطع النكاح، وان خرج الزوجان الينا ذميين أو مسلمين او مستامنين ثم أسلما أو صارا ذميين لا تقع الفرقة وان سبى أحدهما تقع الفرقة.

عدة غير المسلمة :

اذا اطلق الذمى ذمية فإن كانت حاملا فلا عدة لها اذا كانوا يعتقدون ذلك، وكذلك اذا مات زوجها وذلك عند أبى حنيفة. وعند الصاحبين عليها العدة فى الصورتين، وتجب على الصغيرة والكافرة. فاذا كانت حاملا فعدتها بوضع الحمل لانه ثابت النسب. ولو طلق المسلم الذمية او مات عنها تجب عليها العدة سواء حاملا أو حائلا وسواء اعتقدتها او لا. فإن سبى أحد الزوجين الحربيين فلا عده على المرأة وان كانت هى المسبيه ولا يجب على الزوج شئ من المهر دخل بها أو لم يدخل لانها بالسبى لا تكون أهلا لملك المال. واذا خرجت الحربية الينا مسلمة أو ذمية أو مستامنة ثم أسلمت أو صارت ذمية فلا

تجب العده وقال الصاحبان تجب العده. فاذا هاجر الزوج وتركها فى دار الحرب فلا تجب العده لانعدام الولاية. واذا ارتدت المرأة ولحقت بدار الحرب فلا تجب العده ولزوجها الزواج باختها او أربع سواها.

النفقة لغير المسلمين :

اذا تزوج الذمى ذمية وجبت عليه نفقة الزوجية كالمسلم لتوافر شروط وجوبها اى الحبس الثابت بالنكاح للزوج ولتسليم المرأة نفسها لزوجها ولوجود أدله فى القرآن والسنه توجب النفقة ولم تفرق بين المسلم والذمى ولمنع المرأة من الكسب. واذا كانت زوجة الذمى من محارمه فعند أبى حنيفة اذا طلبت النفقه من القاضى يقضى لها، وعند الصاحبين وزفر والشافعى لا يقضى لها، فلم يجعل أبو حنيفة وجوب النفقه منوطا بصحة الزواج وتسقط النفقة اذا أسلم زوج المشركة وتابى هى عن الاسلام، فإذا أسلمت وابى الزوج كانت عليه النفقة مادامت فى العدة وبين أهل الذمة يحكم بين المسلمين اذا ترافعوا إلينا واذا تزوج المسلم كتابية وجبت عليه نفقه لها كالمسلمة. أما نفقة القرابه عندهم فلاتجب الا فى قرابة الولاد من الاب والجد والجده والحفيد ولا صلة تجب عند اختلاف الدين الا لقرابة الولاد فتجب النفقة، وهذا اذا لم يوجد احدهم فى دار الحرب والا لاتجب النفقة له. وقد وجبت النفقة للاب

الذمى دون الحربى لنهى البر فى حق من يقاتلنا، وكذلك لا يجبر الحربى على الإنفاق على أبيه المسلم أو الذمى لعدم الولاية، ولا يجرى الإرث بين من فى دارنا ومن فى دار الحرب وان اتحدت الملة ولا تجب نفقة غير الولاد عند اختلاف الدين فلا تجب على النصرانى نفقة أخيه المسلم والعكس ولا إرث بينهما.

دين ولد غير المسلم :

للصبى قبل أن يعقل الاسلام ان يتبع فى العقيدة والديه أو احسنهما دينا اذا لم تختلف الدار، أو اذا أسلم الوالد فى دار الحرب وكان الولد فى دار الاسلام، أما اذا كان الولد فى دار الحرب والوالد فى دار الاسلام فأسلم، فلا يتبعه وقال الشافعى ان الولد بين المجوسى والكتاب يكون مجوسيا بخلاف اذا كان احدهما مسلما. واذا سبى الصبى من دار الحرب فاما: ـ

(١) يسبى مع أبويه. (٢) مع أحدهما (ومادام فى دار الحرب فهو على دينهما) فان ماتا فهو على دينهما حتى يسلم. (٣) يسبى وحده. فاذا خرج إلى دار الاسلام وليس معه أحدهما فهو مسلم. واذا أسلم بنفسه وهو يعقل الاسلام فلا تعتبر تبعيته لهما ويصح اسلامه، وعند الشافعى لا يصح، ولان صحة الاسلام يضر بالصبى لحرمانه من الميراث والنفقة

والفرقة مع أبويه والقاعدة فى اسلام الصبى اننا نحكم باسلامه تبعا لاسلام أبويه، وكفره تبعا لكفرهما. ولا ننظر إلى داره عند وجود أبويه أو أحدهما وعند عدم وجود الابوين أو أحدهما فى الدار التى هو فيها يتبع الدار، كاللقيط اذا وجد فى دار الاسلام فتحكم باسلامه.

وقف الذمى :

وهو حبس الممتلكات والتصدق بمنفعتها وسببه إرادة البر والتقرب إلى الله تعالى وشروطه الحرية والبلوغ والعقل وألا يكون الواقف محجوراً عليه والاسلام ليس بشرط، وعند أبى حنيفة شرط الوصيه به أو يحكم به حاكم، وعند أبى يوسف شرط كون المول قابلا له، وعند محمد كونه مؤبدا مقسوما غير مشاع ومسلما إلى متول، وركنه الالفاظ الخاصة وحكمه زوال الموقف عن ملك الواقف، ولا يدخل فى ملك الموقوف عليه. ولصحة وقف الذمى جواز الوقف على القربه اذا كانت عند المسلمين قربه، فاذا كانت قربه عندنا فقط فلا يجوز وكذلك اذا كانت عندهم فقط ولو وقف الذمى وقفا لفقراء المسلمين صح ذلك وان وقف المسلم وقفا لبعض أهله وهم من أهل الذمه صح ذلك ، وللذمى كالمسلم أن يشترط الزيادة أو النقصان وإدخال من أراد فى الوقف وإخراج من رأى إخراجه، والاستثناء لنفسه أن ينفق من غلة الوقف.

وقف الحربى :

لو دخل حربى دار الاسلام بامان واشترى أرضا ووقفها صح ذلك، فان مات فى دار الاسلام جاز الوقف وكذلك اذا رجع لدار الحرب، فان عاد لدار الاسلام بأمان وأراد الرجوع فيه لا يصح.

وقف المرتد والمرتده :

اذا وقف فلا يصح عند أبى حنيفة وكذلك أن قتل أو مات على ردته، وعند محمد يجوز منه ما يجوز ممن انتقل إلى دينهم، ويجوز وقف المرتده إلا على حج أو عمرة فاذا وقف المسلم ثم ارتد فالوقف باطل.

وقف الصائبة والخطابية واهل الاهواء: -

فى وقف الصائبة: قال أبو حنيفة هم بمنزلة أهل الذمة، وقال غيره ان كانوا دهريه فهم كالزنادقه، وان كانوا يقولون كأهل الكتاب كانوا بمنزلتهم. والخطابيه وأهل الاهواء فوقفهم كسائر المسلمين، وأجاز أبو يوسف شهادتهم الا الخطابيه، وأجاز منهم ما يجوز للمسلمين ويلزمهم ما يلزم المسلمين.

حكم بيع الذمى:

البيع مبادلة شئ مرغوب فيه بمثله على وجه مفيد، والغير مرغوب فيه ليس بيعا شرعا وكذلك مالايفيد، ويجب وجود

الإيجاب والقبول أو التعاطى، وحكم البيع ثبوت ملك البائع فى الثمن والمشترى فى المبيع، وصفته أنه مباح عند عدم العوارض المغيره له مثل ما يوجب الكراهه كالبيع بعد النداء فى الجمعه او ما يوجب الحرمه كبيع الخمر. وشروط البيع:

(١) الانعقاد: ويشترط فى العاقد العقل والبلوغ ووجود متباعين فلا ينعقد بيع وكيل واحد للجانبين إلا فى الأب ووصية والقاضى ويشترط فى العقد القبول والايجاب وأن يكون بلفظ الماضى اذا حصل التعاقد بالقول، ويشترط فى مكان العقد اتحاد المجلس، وفى المعقود عليه أن يوجد وأن يكون مالا وأن يكون متقوما (فلا ينعقد بيع الخمر والخنزير فى حق المسلم)، وأن يكون مملوكا فى نفسه وملك البائع (وبيع النائب عن غيره نافذ) وأن يكون مقدور التسليم.

(٢) شروط النفاذ: الملك والولاية بشرط اسلام الولى وحريته وعقله وبلوغه وصغر المولى عليه.

(٣) شروط الصحة: شروط عامة: (شروط الانعقاد) ويضاف الا يكون البيع مؤقتا وان يكون الثمن معلوما والمبيع، وخلو البيع عن شرط مفسد، والرضا، والفائدة.

وشروط خاصة: معلومية الأجل فى البيع بثمن مؤجل، والقبض فى بيع المشترى المنقول وأن يكون البدل مسمى فى المبادلة القولية، والمماثلة بين البدلين فى أموال الربا والخلو عن

شبهة الربا، ووجود شروط السلم، والقبض فى الصرف قبل الافتراق، وان يكون الثمن الأول معلوما فى بيع المرابحة والتولية.

(٤) شروط اللزوم: وتشمل شروط الانعقاد والنفاذ والصحة، والخلو عن الخيارات كخيار العيب والرؤية ويتفرع البيع بالنظر إلى:

(١) ذاته: ناقد وموقوف وفاسد وباطل (فاسد لايفيد حكمه الا بالقبض وباطل مالايفيد حكمه اصلا).

(٢) تعلقه بالمبيع: وانواعه مقايضة وصرف وسلم (تبادل ثمن بعين) وبيع مطلق (تبادل عين بثمن).

(٣) تعلقه بالثمن: أنواعه: زيادة عن الثمن الاول (مرابحة) بدون زيادة (تولية) نقص عنه (وضيعه)، بدون: زيادة ولا نقص لمساومة.

(٤) تعلقه بوصف الثمن: حالا ومؤجلا.

والاسلام ليس شرط فى العاقد، فالذمى كالمسلم فى البيع الا فى الخمر والخنزير ولو باع ذمى إلى ذمى خمرا وخنزيرا ثم أسلما واحدهما قبل القبض يفسخ البيع ويبطل القاضى العقد، فاذا كان الاسلام بعد القبض مضى البيع ولو أقرض

الذمى ذميا خمرا ثم أسلم احدهما فإن أسلم المقرض سقطت الخمر ولاشئ له من قيمتها، وأن أسلم المقترض تسقط وليس عليه قيمتها ورأى محمد وزفر وعافيه بن زياد القاضى وأبى حنيفه أن عليه قيمة الخمر.

عقوبات غير المسلم :ـ

شرعت العقوبة لصلاح المجتمع الانسانى فكان يجب تساوى الناس فى الأمور الزاجرة لهم لذلك جعل غير المسلم أهلا للزجر عن التعدى وهو مطلوب من المسلم وغيره، بل هذا اليق بغير المسلم لأن المؤمن تمكن منه الوازع الدينى.

القصاص بين المسلم والذمى والمستأمن: يشترط أن يكون القاتل عاقلا بالغا متعمدا للقتل وليس مكرها ويكون القتل عدوانا وألا يكون المقتول فرع القاتل وألا يكون للقاتل فيه ملك أو شبهة ملك، وأن يكون المقتول معصوم الدم فلا يقتل مسلم ولا ذمى بكافر حربى أو مرتد (وعصمة الحربى المستأمن مؤقته لوقت خروجه). ولا يشترط أن يماثل القاتل المقتول فى سلامة الأعضاء والشرف أو العلم أو العقل أو البلوغ أو الجنس ولا يقتل المسلم بالذمى ولا الحربى بعبد عند الشافعى، والمسلمون تتكافأ دماؤهم وذوى العهد يقتلوا بمثلهم. والكافر فى عصمته شبهة العدم فيوجب القتل ولكن منع قتله إلا اذا نقض العهد، والكفر ليس يبيح الدم بل يبيحه الكفر الباعث على الخراب.

وفى الآيه الكريمة «لكم في القصاص حياة...» تحقيق معنى الحياة فى قتل المسلم بالذمى ابلغ عن قتل المسلم بالمسلم لان العداوه الدينية تحمل على القتل، كما ان الرسول عليه الصلاة والسلام أمر بقتل مسلم قتل معاهدا ذميا والقصاص يعتمد على المساواه فى العصمة والكافر بعقد الذمة صار معصوم الدم نظرا للدار والتكليف، والذمى لو قتل ذميا ثم إسلم قتل به، ولو جرح مسلم مسلما ومات المجروح بعد الرده سقط القصاص، ولو جرح مرتد ثم أسلم يجب القصاص، ولا يقتل المسلم والذمى بالمستأمن وقال الأحناف بوجوب القصاص بين المسلم والذمى فى الأطراف وقال الشافعية لا يجب.

حدود الذمى والحربى : ـ

الحد اى المنع، وفى الشرع عقوبة مقدره واجبه حقا لله تعالى، وأنواعها:

(١) حد الزنا :

الزنا هو الوطء الحرام للمرأة الحية بالاختيار في دار من التزم أحكام الاسلام ومنه وطء الأب جاريه ابنه، والغانم لجارية من الغنيمة قبل القسمة والشبهة فى النكاح كأن يكون بغير شهود. ولا حد على الصبى والمجنون وكذلك الوطء فى دار الحرب والبغى لعدم الولاية) واذا ازنى الحربى المستأمن او الذمى بمسلمة او ذمية أو حربية مستأمنه لاحد على

الحربى والحربية. وعند أبى يوسف يقام حد القذف على المستأمن كالذمى. والمسلمة والذمية عند زنا الحربى بهما فعند أبى حنيفة تحدان ولا حد على الرجل وعند محمد لاتحدان. ويحد الذمى عند زناه بمستأمنه ويجلد كالمسلم واختلف فى رجمه وشرائط الإحصان الموجب للرجم: العقل والبلوغ والحرية والاسلام والتزوج والدخول بالنكاح الصحيح، ويرجم حتى يموت. وعند الشافعى ليس الاسلام من شروط الإحصان، ولا يرجم الكافر، والمشرك ليس بمحصن وكذلك المسلم زوج الكتابيه، كما أن الزنا للكافر لا يساوى المسلم الذى هنا وضع الكفر وضع الشكر على نعمة دينه. فاذا فقد الزانى شرطا للإحصان لايرجم بل يجلد. ويثبت الزنا بالبينة اى اربعة رجال او الاقرار أربع مرات فى مجالس عده، وحد الجلد مائة جلده للحر غير المحصن ونصفها للعبد.

(٢) حد الشرب والسكر :

يجب الحد بالشرب وان كان قليلا، وشرط وجوب الحد، العقل، البلوغ. وعدم الضرر وزيادة أو مساواة نسبة الخمر للماء، والاسلام. فلاحد على الذمى والحربى المستأمن ولكن عند الحسن بن زياد أنهم يحدوا فى السكر (لا فى الشرب) حيث هو حرام فى كل الأديان. والحد ٨٠ سوط للحر والعبد ٤٠ سوط.

(٣) حد القذف :

القذف هو الرمي بالزنا صريحا، ويقام بطلب المقذوف، وهو كحد الزنا، ويشترط للقاذف العقل والبلوغ والعجز عن إتيان الشهود فإن أتى بهم فلا حد عليه بل على الزاني. ويشترط في المقذوف أن يكون محصنا. وشروط الإحصان: العقل والبلوغ والحرية والاسلام والعفة عن الزنا فإن وجد المقذوف فى عمره مره واحده وطء فيها امرأة فلا يكون محصنا ولا يحد القاذف وإن كانت امرأة يشترط الا تكون محدودة فى الزنا والا يكون لها ولد لا تعرف اباه، ويشترط أن يكون المقذوف معلوما والا يكون القاذف ابا أو جد للمقذوف وأن يقع القذف غير دار الحرب ويقام الحد على القاذف ولو لم يكن مسلما، ولا يحد من قذف غير مسلم حد القذف بل يعزر واذا حد غير المسلم فى القذف سقطت شهادته على أهل الذمة واذا أسلم قبلت شهادته على المسلمين والذميين.

(٤) حد السرقة:

لا فرق فى السارق بين الرجل والمرأة، والحر والعبد والمسلم والذمى، ويشترط أن يكون مكان السرقة دار العدل، ولا يقطع أهل الاسلام اذا دخلوا دار حرب وسرقوا بعضهم ثم خرجوا إلى دار الاسلام، ولا يقطع التجار من أهل العدل فى معسكر أهل البغى أو أساراهم اذا سرقوا من بعضهم ثم

خرجوا لدار العدل، ولا يقطع أهل البغى اذا سرقوا من معسكر أهل العدل وعاد لمعسكره ولو سرق رجل من أهل العدل انسانا يشهد عليه بالكفر يقطع. ويشترط فى المسروق أن يكون مالا متقوما مطلقا بخلاف الخمر وتثبت السرقة باقرار السارق وشهادة رجلين، وحكمها قطع كف اليد اليمنى، وان كان السارق ذميا يقطع، وان كان حربيا مستأمنا فى دار الاسلام لم يقطع عند أبى حنيفة ومحمد، ويقطع عند أبى يوسف، فاذا سرق من حربى مستأمن فى دار الاسلام يقطع وفى الاستحسان لا يقطع.

دية الذمى وكفارته:

قال الاحناف بتساوى ديته ودية المسلم، وقال الشافعى دية اليهودى والنصرانى ٤٠٠٠ درهم والمجوسين ٨٠٠ درهم، بدليل عدم تساوى اصحاب الجنة بأصحاب النار فى القرآن والسنة، كما أن الكفر والانوثه والرق ينقصوا الدية وقال مالك ان دية اليهودى والنصرانى ٦٠٠٠ درهم نصف دية المسلم (١٢٠٠٠ درهم) . وقال الأحناف بتساوى الدية بدليل قوله تعالى «وان كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق فدية مُسَلَّمة إلى أهله» وقول الرسول ﷺ «دية كل ذى عهد فى عهده ألف دينار» كما أن أبا بكر وعمر رضى الله عنهما كانا يجعلان دية الذمى

مثل دية المسلم كما كان فى عهد الرسول ﷺ، وقد جعلها معاوية النصف.

أما كفارة الذمى فلا تجب عليه ان كان قاتلا، فإن كان مقتولا عن مسلم وجبت الكفاره، وأن قتل المسلم حربيا أو باغيا لا تجب عليه الكفارة.

شهادة الذمى والمستامن:

لا تقبل شهادة الذمى على المسلم، وشهادتهم على بعضهم تقبل عند الحنفية، ولا تقبل عند مالك والشافعى. وقد أجاز النبى ﷺ شهادة النصارى على بعضهم وذلك حتى لا تضيع حقوقهم، ولدعوى الحاجة لقبول شهادتهم على بعضهم، ولا تقبل شهادة المستأمن على الذمى، لانه لا ولاية له عليه، وتقبل شهادة الذمى على المستأمن وشهادة المسلم على المستامن والذمى، وشهادة المستأمن على المستامن مقبوله ان اتفقت دارهما، وان اختلفت لاتقبل.

انعقاد يمين غير المسلم:

يشترط فى الحالف العقل والبلوغ، وقال الأحناف لا ينعقد يمين غير المسلم، ونفى ذلك الشافعى واستدل الأحناف بأن اليمين يستعقب الكفاره، والكافر ليس أهلها (وهى عند الحنث)

وهى لا تسقط بأداء الغير نيابة عمن عليه واستدل الشافعى بأن غير المسلم يستحلف فى الدعوى والخصومات والجواب أن استحلافه صورى، وأن لم يثبت فى حقه شرعا اليمين الشرعى والكفاره فهو يعتقد بتعظيم اسم الله تعالى ولذلك يمتنع عن اليمين كذبا. ولو حلف غير المسلم ثم أسلم وحنث فلا كفاره عليه، وعند الشافعى عليه الكفاره كالمسلم وان حنث فى الكفر يُكَفِّر بالمال لتعذر الصوم، ولو حلف مسلم ثم ارتد ثم اسلم فحنث لا يلزمه شئ.

صيغة يمين غير المسلم :

لا يحلف الا بشئ يعظمه، فيستحلف اليهودى بالله الذى أنزل التوراة على موسى عليه السلام، كما فعل النبى عليه الصلاة والسلام ويستحلف المجوسى بالله الذى خلق النار، والوثنى بالله تعالى لاعتقادهم جميعا به تعالى، وعن أبى حنيفة أنه لا يستحلف أحد إلا بالله خالصا، وعند بعض مشايخنا أن ذكر النار يعظمها ولا يجب أن تعظم إلا التوراة والانجيل فيعظمان لانهما من عند الله ويجوز ذكرهما مع اسمه تعالى.

حكم القاضى غير المسلم وتحكيمه :

حث الاسلام على القضاء لرد المظالم والحكم بالحق بين الناس، وبه أمر الله تعالى كل الانبياء، وفيه إظهار للعدل وأمر

بالمعروف ونهى عن المنكر ونص الفقهاء على أن غير المسلم يجوز تقليده للقضاء وينفذ حكمه على أهل الذمة فقط لانه أهل للشهادة فى حق غير المسلمين. ويجوز تحكيم الذمى ليحكم بين أهل الذمة، ولو حكّم الذميان ذميا ثم اسلم أحد الخصمين خرج عن الحكومة فلو حكم للذمى على المسلم لا يجوز وان حكم للمسلم على الذمى يجوز ولو حكّم ذميان ذميا فأسلم يبقى حكما وشرط جواز التحكيم أن يكون الحكم من أهل الشهادة وقت التحكيم والحكم فإن لم يكن وقت التحكيم وصار وقت الحكم بان كان عبدا فاعتق مثلا لا ينفذ حكمه. أما القاضى المولى فحكمه نافذ على جميع من ولاه السلطان القضاء عليهم.

* شروط السلطان الذى يولى القضاء

نص الفقهاء أنه يجوز تقلد القضاء من السلطان غير المسلم لوقوع بعض بلاد المسلمين فى يد غيرهم، ويجوز تقلد القضاء من الملوك غير المسلمين إن لم يمنعوا القضاه من القضاء بالحق ولا ينهونهم عن تنفيذ بعض الأحكام كما تقضى الشريعة الاسلامية، فاذا منعوهم فيحرم تقلد القضاء منهم أو طاعتهم فى مخالفة الحق. ويجوز فى بلد واليه مسلم من جهة غير المسلمين إقامة الجمع والأعياد وأخذ الخراج وتقليد القضاه.. والبلد الذى واليه كافر يجوز لمسلميه إقامة الجمع..

ويصير القاضى قاضيا بتراضى المسلمين ويجب أن يطلبوا وال مسلم.

* تخصيص القضاء :

أدى تنوع القضاء وكثرة بلاد المسلمين وكبرها وجوب تخصيص قاض لكل فرع لا يتعداه ويجيز الفقهاء تأقيت القضاء بالزمان، ويجوز تقييده بالمكان المعين أو بالحوادث حسب أمر السلطان للقاضى، ويجوز تقييده بالاشخاص ولا يجوز القضاء فيما نهى عنه، فاذا حكم فيما نهى عنه فلا عبره لقضائه.

* وصية الذمى والمستامن والمرتد والمرتده :

يشترط فى الموصى أن يكون من أهل التبرع فلا تصح وصية الصبى والمجنون والعبد، وألا يكون مدينا بدين يحيط بماله، ويشترط فى الموصى له أن يكون موجودا أو لا يكون قاتل الموصى قتلا حراما، ولا تصح الوصيه للقاتل، ولا يشترط اسلام الموصى، ويشترط فى الموصى به أن يكون مالا متقدما (ولا تصح الوصيه بالخمر) ولا يجوز زيادته عن الثلث إلا إذا أجازت الورثه وتصح وصية الذمى للمسلم والذمى وكذا الحربى المستامن للمسلم أو الذمى. وتنحصر وصايا الذمى فى :

(١) جائز بالاتفاق: أن يوصى بما هو قربه عندنا وعندهم.

(٢) باطل بالاتفاق ان يوصى بما ليس بقربه عندنا ولا عندهم أو بما هو قربه عندنا وليس عندهم كأن يوصى بالحج الا أن تكون الوصية لقوم بأعينهم.

(٣) مختلف فيه: أن يوصى بما هو قربه عندهم وليس عندنا كبناء كنيسة، فلا يجوز عند أبى حنيفة، وعند الصاحبين ولا يجوز وان كانت الوصية لقوم معينين تجوز بالاجماع وتصح وصية المسلم للذمى، أما وصيته للمستأمن فتجوز لشبهه بالذمى، أو لا تجوز لما فيها من اعانة الحربى على الحرب. والمرتد فوصيته مرقوفه حتى يسلم أو تبطل بقتله، وعندهما نافذه، والمرتده، تصح وصاياها، وقال بعضهم أنها لا تكون بمنزلة الذمية.

* ميراث غير المسلم :

اذا كان مع مسلم فلا يرثه اما ميراث المسلم له فأغلب العلماء لا يجيزوه، وبعضهم يجيز ورث المسلم للكافر لقوله عليه السلام (الاسلام يعلو ولا يعلو عليه) ولكن المقصود بالحديث علو النفس. اما الإرث بين غير المسلم مع غير المسلم فيحصل التوارث بينهما وأن اختلفت الملة وقل ابن ابى ليلى انه لا توارث بين غير المسلم والمجوسى حيث يذكر التوحيد ولا يعترفون بنبى مرسل. وذهب بعض الفقهاء لعدم التوارث بين اليهود والنصارى ولا يتوارث الكفار فى نكاح لا يقرون عليه بعد

الاسلام وقد يعرض على إرث غير المسلم ما يمنعه من الإرث كاختلاف الدار، فلو مات الحربى فى دار الحرب وله أهل فى دار الاسلام أو مات الذمى فى دار الاسلام وله أهل فى دار الحرب لم يرث أحدهما الآخر لانقطاع الولايه. وهناك الاختلاف الحكمى للدار كالمستأمن والذمى فى دار الاسلام فلا توارث بينهما ولو مات الحربى المستأمن فى دار الاسلام يوقف ماله لورثته فى دار الحرب. وان كان المرتد رجلا مات على ردته أو لحق بدار الحرب فكسبه فى ردته قبل دار الحرب يوضع فى بيت المال وعندهما الكسبان لورثته المسلمين أما كسبه فى دار الحروب فهو فئ يحصل من الكفار، والمسلم لا يرث من الحربى. وان كان المرتد امرأة فكسبها فى اسلامها وردتها لورثتها بشرط أن يكون قبل اللحوق. والمرتد عموما لا يرث وأيضا لا يتزوج، واذا ارتد أهل ناحية كلهم فيتوارثون فيما بينهم لأن دارهم صارت دار حرب لظهور أحكام الكفر فيها.

الباب الرابع

كيفية إسلام غير المسلم

يكون بثلاث :

(١) النـص : يأتى الشخص بالشهادة مع التبرئ مما هو عليه صريحا فغير المسلمين أربعة : الدهرية. والوثنيون والمجوس، ويحكم باسلامهم عند الإتيان بأحد الشهادتين، ثم من ينكرون الرسالة فيحكم باسلامهم عند إتيان الشهادتين، ومن لا ينكروا الصانع وتوحيده والرسالة ولكن ينكرون رسالة محمد عليه الصلاة السلام فلابد أن يأت الشهادتين ويتبرأ من الدين الذى كان عليه، وهم اليهود والنصارى.

(٢) الدلالة : بصلاة الكتابى أو المشرك فى جماعة فإن صلى منفردا لا يحكم بإسلامه وعند الشافعى لا يحكم فى الحالتين.

(٣) التبعية : فيكون الحكم باسلام الصبى تبعا لابويه، ما لم يسلم بنفسه اذا عقل، أو تبعا للدار.

* حكم البيع والكنائس وبيوت النار :

إن إراد أهل الذمة إحداث البيع والكنائس، أو المجوس أحداث بيت النار، فإن كان ذلك فى أمصار المسلمين منعوا بالاتفاق، وإن كان فى القرى والسواد فالبعض يمنع ذلك إلا فى قرية غالب سكانها أهل ذمة. والبعض لا يمنعون والبعض يمنعون فى أمصار العرب وقراهم فإذا إنهدمت بيعه أو كنيسة فلهم بذائها فى ذلك الموضع دون نقلها ودون زيادة والأمصار ثلاثة:

(١) ما مصره المسلمون كالكوفة والبصرة.

(٢) ما فتحه المسلمون عنوه.

(٣) ما فتح صلحاً فإن صالحهم الإمام على أن الأرض لهم جاز إحداثهم وإن صالحهم على أن الدار لنا فالإحداث حسب الاتفاق وإذا فعلوا الفسق مما تحرمه اديانهم فى أراضيهم منعوا من ذلك والبيع والكنائس فى السواد القديمة لا تهدم وأما فى الأمصار فاختلفوا فى هدمها من عدمه وإن كانت لا تهدم.

معاملة المسلمين لأهل الذمة.

وفيها نبين عدل الإسلام حتى فى معاملة مخالفيه فى العقيدة: معاملة النبى صلى الله عليه وسلم لأهل نجران: ويطلق على موضع بالعراق بجوار الكوفة والبصرة وعلى موضع باليمن، والمقصود هنا نجران اليمن، وكانت منزلاً للنصارى. وقد جاء العاقب والسيد صاحبا نجران إلى الرسول عليه الصلاة والسلام ليلاعناه فقال أحدهما للآخر بألا يفعل فلن نفلح إن كان نبيأ، وقالا بأنهما يعطياه ما سأل وابعث معنا رجلاً أمينا، فاختار عليه الصلاة والسلام أبا عبيدة بن الجراح وقيل: إن الرسول عليه الصلاة والسلام كتب إلى أهل نجران فخرج وفدهم أربعة عشر رجلاً وفيهم أميرهم، وأسقفهم، فدخلوا للمسجد يرتدون أرديه مكفوفة بالحرير فصلوا ودعاهم النبى وأعرض عنهم لزيهم، فانصرفوا، ثم غدوا عليه بزى الرهبان ودعاهم للإسلام فأبوا وكثر الكلام، ثم انصرفوا بعد أن استقروا على الصلح مع النبى عليه الصلاة والسلام ويعطوه ما طلب فصالحهم النبى وتعددت روايات من أرسل لنجران ليأتى بالصدقات والجزية أو بمال الصلح، أبوعبيدة أو على رضى الله عنه، أو عمرو بن حزم فيقال أن النبى عليه الصلاة والسلام أرسله إليهم لجمع الصدقات وإرساله بسبب مجئ أهل اليمن إلى النبى عليه الصلاة والسلام ويجوز

إرساله فى مرة أخرى غير مرة أبى عبيدة ونص نسخة الصلح فيشمل ترك كل شئ لهم على الفى حلة أواقى فى كل رجب الف وكل صفر مع حلة أوقية من الفضة، فإذا اختلفت عن الخراج فبالحساب وكذلك ما قضوا من دروع أو خيل أو ركاب أو عروض، وعليهم مؤنة الرسل ولا يحبسوا فوق شهر وعليهم ثلاثين درعاً وفرساً وبعير، أما حقوقهم فهم ذمة النبى عليه الصلاة والسلام على أموالهم وانفسهم واملاكهم.. ولا يطأ ارضهم جيش وعدم ظلمهم وبعد الصلح رجعوا إلى بلادهم وعادا بعد قليل السيد والعاقب واسلما.

معاملة أبى بكر رضى الله عنه لاهل نجران:

جاء اهل نجران له بعد موت النبى[ﷺ] ليجددوا العهد فكتب لهم كتابا فيه أجارهم على انفسهم وارضهم.. وأمنهم من الإغارة عليهم، وجدد عهد النبى عليه السلام معهم.

معاملة عمر رضى الله عنه لأهل نجران :

رأى عمر رضى الله عنه ضرر وجود النصارى بنجران اليمن على المسلمين فأمرهم بالتحول الى نجران العراق وكتب يأمنهم على من سار منهم وأمر من مروا به من امراء التصدق عليهم من حرث الارض، وأمر بنصر المسلمين لهم على من ظلمهم، وحلهم من الجزيه اربعة وعشرين شهراً بعد ان يقدموا

ولا يكلفوا الا من صنعهم البر غير مظلومين.

معاملة عثمان رضى الله عنه لأهل نجران :

جاءوا لعثمان رضى الله عنه بعد عمر، فكتب لهم إلى الوليد ابن عقبة (عامله)، بشكواهم من المسلمين، وقد خفف عنهم ثلاثين حله من جزيتهم ووفىّ لهم بأرضهم التى تصدق عليهم عمر مكان أرضهم باليمن وأمر الوليد ووصاه بهم وبالوفاء بما فى صحيفة عمر.

معاملة على رضى الله عنه لأهل نجران:

قدم على رضى الله عنه نجران العراق وأتاه أهلها وطلبوا ردهم لليمن فأبى، وكتب لهم كتاباً يوفيهم فيه حقوقهم التى أقرها الرسول عليه الصلاة والسلام، ثم من بعده أبوبكر وعمر رضى الله عنهما.

صلح عمر رضى الله عنه مع اهل إيلياء:

انتشرت الفتوحات فى عهده، ومن البلاد التى ذهب إليها بنفسه بيت المقدس فقد ذهب أبوعبيدة، فطلب أهل بيت المقدس مصالحتهم على صلح أهل مدن الشام وأن يتولى العقد عمر فكتب إليه فسار إليهم وصالح أهل إيلياء وكتب لهم كتاباً أعطاهم فيه الأمان على أنفسهم وأموالهم.. وأمر بعدم هدم

كنائسهم ولا يكرهون على دين وألا يسكن معهم اليهود، على أن يعطوا الجزية ويخرجوا الروم واللصوص، وأمن أهل إيلياء فى بقائهم وخروجهم منها حتى لو خرجوا مع الروم.

صلح خالد بن الوليد مع أهل الحيرة:

فرغ خالد بن الوليد من محاربة الردة وانتصر عليهم، أمره أبوبكر رضى الله عنه أن يفتح العراق وفى طريقه عند الحيرة، خرج أشرافها فدعاهم للإسلام أو الجزية أو القتال، فرضيوا بالجزية، فصالحهم على تسعين ألف درهم على ألا يهدم لهم كنيسة أو قصر ولا يمنعوا من ممارسة طقوسهم على أن يضيفوا من مر بهم من المسلمين وألا يعينوا كافراً على مسلم، ولهم أن تسقط الجزية عن الشيخ الغير قادر على العمل ويتصدق عليه أهل دينه فيعال من بيت مال المسلمين وعليهم الا يتشبهوا بالمسلمين فى زيهم، ولهم طلب الإعانة من بيت مال المسلمين.

صلح أبوعبيدة مع أهل الشام:

فى عهد عمر رضى الله عنه استعمل أبوعبيدة على الشام وطلب أهلها الصلح فصالحهم وكتب عنهم أنه ترك كنائسهم وعليهم إرشاد الضال وبناء القناطر ويضيفوا المسلمين ولا يشتموهم ولا يضربوهم ولا يرفعوا بين المسلمين صليباً ولا

يخرجوا خنزيراً إلى أفنية المسلمين، وأن يوقدوا النار للغزاة فى سبيل الله، ولا يضربوا النواقيس قبل أو اثناء الأذان وسمح لهم بيوم يخرجوا فيه صلبانهم بلا رايات ورأى أهل الذمة وفاء المسلمين لهم فصاروا أشداء على أعداء المسلمين وعوناً للمسلمين، فبعثوا من يتجسس أخبار الروم فعرفوا أن الروم جمعوا للمسلمين جمعاً كبيراً فبلغ ذلك عبيداً فكتب يرد أموال الجزية للمدن التى صالحها لانهم اشترطوا أن يمنعهم المسلمون وهم الآن لا يقدروا على ذلك، فرد أهل الذمة بـ (ردكم الله علينا ونصركم عليهم) وتمنوا لهم النصر على الروم. وقد أمر عمر بن الخطاب ألا يظلمهم المسلمون ولا يضروهم وأن يوفوا بشرطهم.

العهد التى انكرها المسلمون:

إدعى بعض المسيحيين نسبة عهدتين إحداهما للنبى صلى الله عليه وسلم والأخرى لعمر رضى الله عنه، وقد رأت وزارة الحقانية منذ مدة تنظيم احكام غير المسلمون فادعى بعض المسيحيين انه لا يجوز ذلك لأن عهد أخذت من النبى عليه الصلاة والسلام ومن الخلفاء الراشدين تمنع حق التدخل فى تشريعهم.

العهدة الأولى: وهى العهدة النبوية التى إدعوها:

فى بداية العهد حكمه ارسال وبعث الرسول ﷺ، وحكم راعى وصاياه ثم عهده بأن يأمن أهل الذمة وعلى الا يعينوا اهل الحرب على المسلمين ولا يساعدوهم على المسلمين، أو يأتوا منازلهم ولايستودعوهم أو يكاتبوهم او يضيفوهم على أن ندخلهم فى أمان المسلمين ويردوا عنهم كل عدو وأن يعزل عنهم الاذى والا ينفى اسقف من أسقفيه ولهم الا تهدم كنائسهم والا تتجاوز الجزية على التجار واستخراج الجواهر وذوى الأموال الجم النصرانية. أكثر من ١٢ درهم كل عام وليس على عابرى السبيل ولا أهل الإحسان خراج أو جزية إلا ان يكون فى ميراث الارض ممن يجب عليه مال السلطان من حق ولا يكلف أهل ذمة الخروج مع المسلمين إلى عدوهم ولا يكرهون على ذلك أو على إعطاء السلاح إلا أن يتبرعوا إليهم ولا يجادل النصرانى إلا بالتى هى أحسن، وأن جر جريرة فعلى المسلمين نصره والذب عن جريرته والدخول فى الصلح بينه وبين ما اصاب مناً عليه أو فداء. وان عليهم ما على المسلمين ولهم ما للمسلمين ويدخل لهم فى كل مرفق حتى يكونوا شركاء مع المسلمين فيما لهم وما عليهم والا يكرهوا على التزواج بالمسلمين وان تزوجت نصرانية مسلما ان يتركها

على هواها فى دينها ولا يمنعها ولا يكرهها على تركه. وعليهم ان يؤوا من يحتاج من المسلمين للاختفاء عندهم ولا يبخلوا بما هو واجب عليهم. وعلى من ينقض ما جاء فى هذا انه خالف العهد وعصى ميثاق رسوله وعند اللّه من الكاذبين. وقد كتب هذا الكتاب الرسول عليه السلام وشهد عليه كثيرون منهم الخلفاء الراشدين وغيرهم وكان فى السنة الرابعة للهجرة.

التكذيب لهذه العهده :

انكرها الشيخ عبد الوهاب النجار، ونشر تكذيبه فى جريدة الاهرام (١٠ مارس ١٩٣١) وقال فى شواهد كذبها :

١ ـ إنها لا يعطيها إلا من خر صريعا أمام خصمه فى الحرب لا شتراطها ترميم المسلمين للكنائس، وتقتضى أن عليه السلام والمسلمين وضعوا نفسهم ومالهم رهن إشارة المسيحيين، فى حين أنه فى العام الرابع للهجرة لم يكن بين رسول الله وبينهم اى صلة.

٢ـ من جهة العربية ومقارنة أسلوب العهده بأسلوب عصر البعثة وجدنا كثيرا من العبارات لم تكن مستخدمة وقتها، مثل :

(١) إن التاريخ بالهجرة لم يستعمل إلا فى زمن عمر ابن الخطاب. (٢) لفظ (المكتوبة اسماؤهم ادناه) لم يستعمل فى العصور الثلاثة الأولى وكذلك (وكتب بالمدينة عام تاريخه

بذيله). (٣) وكذلك جمل كثيرة لم تكن لها نظائرها فى عصر الرسالة أو مابعده، وهى مثل:

١ ـ ولما فيه متأهلا.٢ـ حتى يصل عن أصحابى الذابين عن نصيب الأمر. ٣ـ إذا كان أهل الموضع قاطنين ومقيمين. ٤ ـ منا عليه وإما فداء.٥ ـ ولا يتركون مهملا. ٦ ـ بالعهد الذى استوجبه حق الرعاء والذب عن الحرمة به. ٧ ـ هبه وموهوبه ٨ ـ لهم ذمة الله وذمة رسوله عليهم ٩ ـ وعلى المسلمين رعاية ذلك لهم ومعهم به. عن مقال لمحمد عبد القادر المازنى ردا على العهدة التى نشرت بالوقائع فى ٢٢ سبتمبر سنة ١٨٨١ وقد جاء المقال فى جريدة الأهرام وفيه أن أحد الوجهاء وجد كتابا فيه صورة لعهده محمديه فأرسلها ونشرت فى جريدة المصباح حتى يرسل لها من يعلم اصلاحها ، وهى : ـ أولا ذكر صورة العهد والشروط التى شرطها الرسولﷺ للنصارى والشهود عليها .. اعتاد المسلمون شدة التحرى فيما ينسب الى النبى، وعدم قبول ما لم تصح نسبته، واشد الجرائم فى الحنيفية التقول على الرسول عليه الصلاة والسلام، فيجب التثبت من ذلك وتلك نعمة حتى تظل الشريعة ساله من الدخيل وقد تم البحث فلم يوجد ما يقارب هذه العهده كما أنه يصعب اجتماع شهودها حيث تأخر اسلام بعضهم عن تاريخها ووفاة بعضهم قبلها، مثلا حمزة بن عبدالمطلب استشهد فى العام الثالث

للهجرة، وعثمان بن مطعون مات فى السنة الثانية. وغيرهم.. وكمعاوية بن ابى سفيان الذى لم يكن أسلم وقتها.. الخ ويدل على عدم وجود ابى سفيان بالمدينة وتأخر اسلامه قصة حذيفة ابن اليمان وقصة عمرو بن أمية الضمرى والاول ملخص قصته أن أرسله النبى عليه السلام عند حصار المشركين للمدينة ليأتيه بخبرهم وكان فيهم عمرو بن العاص ومعاوية بن ابو سفيان. والثانى قصته أن أبا سفيان أرسل للنبى عليه السلام من يقتله (سنة ثمان) فاطلع النبى على ذلك وبعث عمرو بن أمية الضمرى لابى سفيان بمكة ومعه آخر.. الى آخر القصة. كما أن لا خلاف أن معاوية لم يسلم إلا يوم الفتح عام ثمان من الهجرة ووالده وأخوه يزيد، (وقد ادعوا أن كاتب العهده معاوية) كما أن العهده انحطت عن الفصاحة ولا سيما النبى عليه السلام افصح العرب، كما أن الرسول عليه السلام هو وأصحابه انشغلوا حتى فتح مكة بأحد أمرين: الإسلام أو السيف، فلم يكن ليعقد قبله معاهدة، كما أنها (العهده) مباينه لبعض مضامين القران والسنه والاجماع وحجة من أظهر هذه العهده وأصر عليها أنها قدمت للسلطان سليم فاتح مصر سنة ٩٢٢ هـ، ولكن لا حجة فى ذلك فالسلطان لم يكن عالما ولو كان باحثا حصيفًا لاظهر غشها وأنها تأليف جاهل باللغة العربية لم يحسن تغطية كذبه.

وقد شغل الرسول وانصاره فى السنوات الأولى للهجرة بالإسلام أو السيف ، فالسنة الأولى لم تكن حرب، والثانية خرج لطلب كرز بن جابر الفهرى فخرج مع أصحابه حتى بلغ بدرا ففاته كرز ولم يحصل حرب. وسرية عبد الله بن جحش ولم يقتل فيها إلا عمرو بن الحضرمى اثم غزوة بدر الكبرى ولج فيها أبو جهل ليس الرسول عليه السلام. ثم حرب بنى قينقاع اليهود وفيها جاء أبو سفيان وحرق نخيل للأنصار وقتل رجلا ورجع لمكة ولم يدركه الرسول عليه السلام والسنة الثالثة غزوة ذى قرد وغزوة أحد. والسنة الرابعة وفيها غدر عضل والقاره لأصحاب الرسول إذ جاءوه وأخبروه أن فيهم إسلاما وطلبوا بعض أصحابه يعلمونهم الإسلام فأرسل ستة فقتلوا أربعة وباعوا اثنين لقريش فقتلوهما. وفيها حادث بئر معونه حيث قتل عامر بن طفيل من أصحاب الرسول أربعين أو سبعين رجلا قراء بعثوا لأهل نجد. وفيها أجلاء بنى النضير اليهود، فهموا بقتل الرسول عليه السلام فحاصرهم ورضوا بالجلاء ولهم ما حملت الأبل وكانت غزوة ذات الرقاع وغزوة السويق. فإذن فى ذلك الوقت لم تتجاوز علاقة الرسول عليه الصلاة والسلام بالقبائل محيط المدينة وأطرافها ولم تصل إلى عالم النصرانية أصلا.

العهده الثانية :

ونسبت لعمر بن الخطاب رضى الله عنه، وفيها عهد أعطى إلى البطرك (صوفروفينوس) فى القدس الشريف بالأمان على الرعايا والقسوس أينما وجدوا ورعاية الذمى وأمان الكنائس والديار وأمانهم من المؤمنين وإعفائهم من الجزية والخفارة والمواجب ومسلمين من كافة البلايا وفى دخولهم لزياراتهم لا يؤخذ منهم شئ : ويؤدى زائر القمامة النصرانى للبطرك درهما وثلث فضة. وهذا المرسوم بحضور صحابه منهم عثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف. وفى سنة ١٥ للهجرة.

الرد عليها : انكرها الشيخ عبد الوهاب النجار، لأمور أهمها :-

١ - تشتمل على كلمات مبتذلة عامية، وكلمات لم تستخدم فى عصر عمر أو العصور الخمسة التالية.

٢ - اشتملت على عبارات لم يصطلح على وجودها فى الكتابة العربية منها

١ - جاء بعد البسملة التحميد (الحمد لله الذى أعزنا بالإسلام ...) ويعرف من لهم أقل المام بالأدب العربى عدم وجود التحميد فى الكتب والمعاهدات بين الأمراء والقواد فى عهد النبىﷺ حتى صدور دولة بنى عباس. فمثلا كتاب أبى

جعفر المنصور سنة ١٤٥٠ هـ إلى محمد بن عبد الله المهدى «بسم الله الرحمن الرحيم» من عبد الله أمير المؤمنين إلى محمد بن عبد الله ... وليس فيه حمد ولا صلاة.

٢ ـ وصف القدس بالشريف لم يكن من مصطلح ذلك العصر.

٣ ـ (أعطى إلى البطرك المبجل المكرم) لم يكن هذا الاستعمال جاريا، وكان القوم بعيدين عن تلويك هذه الأوصاف.

٤ ـ (والذين يأتون للزيارة من القبط والإفرنج) لم يكن يعبر بلفظ الإفرنج بل الروم، فهذا دليل على افتعالها بعد الحروب الصليبية بعد ظهور لفظ الإفرنج.

٥ ـ (قبلى وشمالى وغربى) لفظ قبلى للجنوب لم يكن معروفا عندهم وحدث بعد قرون عديدة للهجرة.

٦ ـ (لأنهم أعطوا من حضرة النبى الكريم والحبيب والمرسل من الله وشرفوا بختم يده الكريم) لم يكن اصطلاح أهل ذلك العصر.

٧ ـ (ويكونوا معافين) خطأ نحوى بحذف النون بدون ناصب ولا جازم.

٨ ـ (وقد أعطى لهم مرسومنا هذا) تسمية الأوامر بمراسيم من اصطلاحات القرون المتأخرة.

٩ ـ (عثمان بن عفان) لم يسافر للشام أبدا وفى خلافة عمر لم يسافر من المدينة إلا للحج.

١٠ ـ (وصلى اللّه على سيدنا محمد وآله وأصحابه وسلم) لم يعتادو كتابة هذا فى عصرهم.

ونص المعاهدة الحقيقية التى كتبها عمر رضى اللّه عنه لاهل بيت المقدس ذكرت فى (صلح أهل ايلياء).

«الرفق باهل الذمة»

كان الإسلام يعامل أهل الذمة باللين والرفق ماداموا قائمين بما شرط عليهم فمثلا: أوصى عمر بن الخطاب بأهل الذمة والا يكلفوا فوق طاقتهم، وأوصى على بن أبى طالب رضى اللّه عنه أحد عماله بألا يضرب أحداً ممن يجبى منهم وفى حديث للرسول ﷺ «لعلكم تقاتلون قوما فتظهروا عليهم فيتقوكم بأموالهم دون انفسهم وأبنائهم وتصالحوهم على ذلك فلا تصيبوا منهم بعد ذلك شيئا».

«صدق رسول اللّه ..»

وذكر أبو يوسف النهى عن الأذى بأهل الذمة عند أخذ

الجزية والا يقاموا فى الشمس وقال رسول الله ﷺ «من ظلم معاهدا أو كلفه فوق طاقته فانا حجيجه»

«صدق رسول اللّٰه»

وقد مر عمر بن الخطاب رضى اللّٰه عنه بقوم اقيموا فى الشمس يصب على رؤسهم الزيت لان عليهم جزية لم يؤدوها وقالوا:

لا نجد. فأمر بأن يدعوهم ويخلى سبيلهم. ومر رضى اللّٰه عنه بشيخ كبير ضرير يسأل الناس وكان يهودى وقال : أسأل الجزية والحاجة والسن، فأخذه عمر بيده لمنزله وأعطاه شيئا، وأمر برفع الجزية عنه وعن أمثاله.

وقد أمر رضى اللّٰه عنه بألا يؤخذ من أهل الجزية إلا قدر ما يطيق المأخوذ منه.

وفى الختام فقد أعجبنا هذا الكتاب الذى يتناول موضوعاً ربما يبدو إنه غير مطروح للمناقشة - ولكننا نرى عكس ذلك، ولهذا عرضناه فى كتابنا هذا.

قرة العين فى رمضان والعيدين
للاستاذ : على الجندى

فى الفصل الأول من هذا الكتاب، يدور حول الصيام فى الشرع، هو امساك مخصوص، فى زمن مخصوص، بشرائط مخصوصة والصيام هو العبادة المتكررة الوحيدة فى جميع الشرائع السماوية، وإلى ذلك تشير الآية الكريمة «يأيها الذين آمنوا كُتِبَ عليكم الصيام كما كُتِبَ على الذين من قبلكم لعلكم تتقون» وقد عرفه المصريون القدامى والمجوس والمسيحيون واليهود، ثم يتناول فى الفصل الثانى:

الأشهر القمرية وكيف تحدد باهلال الهلال ولهذا تسمى الأهلة ومدارها الأهلة سواء جاء الشهر ثلاثين يوما أو تسعة وعشرين يوما .

قال أهل المدينة أن الابتداء بذى القعدة عملا بقول الرسول فى حجة الوداع «السنة اثنا عشر شهراً، منها أربعة حرم: ثلاث متواليات، وواحد فرد (ذو القعدة، وذو الحجة،

والمحرم، ورجب)، وقال أهل الكوفة أن يبدأ بالمحرم، وكان كثير من الصوفية يقولون أن أول السنة الإسلامية: شهر رمضان لأنه الشهر الذى أنزل فيه القرآن الكريم ولم يذكر فى القرآن سواه وفيه ليلة القدر التى هى خير من ألف شهر، وقد حدد معناه فى الفصل الثالث وقال أن رمضان من الرمض وهو شدة الحر وشدة وقوع الشمس وكان رمضان فى الجاهلية يسمى «ناتقا» لكثرة الأموال التى كانت تجبيها العرب فيه ولأنه كان يجذب الناس إلى غير ما هم عليه.

ولرمضان فى الإسلام أسماء كثيرة منها شهر الله، وشهر الآلاء، وشهر القرآن وشهر النجاة، وشهر الصبر، وشهر المواساة، والمرزوق أى المرزوق أهله وكان الرسول عليه السلام يقول «لا تقولوا رمضان، فإن رمضان أسم من أسماء الله تعالى - ولكن قولوا : شهر رمضان».

فرض الله الصيام فى رمضان على المسلمين وقال تعالى «أياما معدودات فمن كان مريضاً أو على سفر فعدة من أيام أخر وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين، فمن تطوع خيراً فهو خير له، وأن تصوموا خير لكم إن كنتم تعلمون».

*** تحديد أول الشهر والرؤية : -**

كان الرسول عليه السلام لا يأمر بصوم شهر رمضان إلا بعد رؤية هلاله على التحقيق أو بشهادة الواحد العدل، فإن لم

ير الهلال ولم يشهد أحد برؤيته، أكمل شعبان ثلاثين يوماً ثم صام وأمر الناس بالصوم، والأصل أن تكون الرؤية بعد غروب الشمس. ويقول المؤلف الاستاذ على الجندى فى كتابه القيم إنه:

وإذا طال النهار أو الليل أكثر من ٢٤ ساعة يقدر وقت الصيام ووقت الأفطار بالساعات بحسب أقرب الجهات المعتدلة إليهم ولان مسألة الرؤية دوماً تثير الكثير من الاسئلة كل عام فان المؤلف تعمد أن يخص فصله الخامس من الكتاب حول هذا الأمر :

*** رؤية اهل بلد تلزم بقية البلاد ؟ : -**

اختلف العلماء فى ذلك فمنهم من راى أن رؤيته فى بلد من البلاد الإسلامية يلزم أهل البلد نفسها دون سواها، والآخرون يقولون إذا ثبت رؤية هلال رمضان فى بلد إسلامى فإنها تثبت فى جميع البلاد الإسلامية.

وقد أورد المؤلف دعاء الرسول عليه السلام عند رؤية الأهلة : -

اللهم أهله علينا بالأمن والسلامة والإسلام والتوفيق لما تحب وترضى، ربى وربك الله.

* فضل رمضان : ـ

من فضله أنه الشهر الذى نزل فيه القرآن، وفيه ليلة القدر التى هى خير من ألف شهر، ومما تحدث به رسول الله صلى الله عليه وسلم عن رب العزة أنه قال قال الله تعالى عز وجل «كل عمل ابن آدم له إلا الصوم فإنه لى وأنا أجزى به».

لأن الاستغناء عن الطعام والشراب من صفات الله تعالى فإنه يُطْعِم ولا يُطعَم فإن الصائم بذلك يكون كمن يتقرب إلى الله بصفة من صفاته.

والصوم قهر للشيطان وللشهوات.

* ومن الأحاديث النبوية :

«للصائم فرحتان يفرحهما، إذا أفطر فرح، وإذا لقى ربه فرح بصومه» و «إذا جاء رمضان فتحت أبواب الجنة وأغلقت أبواب النار وصفدت الشياطين».

وعن ليلة القدر، تحدث المؤلف فى الفصل السابع وقال:

«عن ابن عباس وغيره سميت بذلك من القدر والقضاء لأنه تعالى يقدر فيها ويقضى ما يكون فى تلك السنة من مطر ورزق، وإحياء وأماتة إلى مثلها من السنة القابلة» قال تعالى

«فيها يفرق كل أمر حكيم» أى يفصل فيها كل حكم من أحكام الدين، ولا يقرر فيها من الأحكام إلا ما كان حكيماً، يقف بك عند الحق، ويبعد بك عن الباطل».

وقال تعالى «تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر»

وقال ابو بكر بن الوراق: سميت بذلك لأن من لم يكن ذا قدر وخطر، يصير فى هذه الليلة ذا قدر وخطر، إذا أدركها وأحياها.

ويقال أن ليلة القدر تقع فى النصف الأخير من رمضان وفق رأى أبى حنيفة وعند الشافعى فى العشر الأخير لا تنقل ولا تزال إلى يوم القيامة .

عن ابن مسعود : ليلة سبع عشرة من رمضان ليلة بدر، وقيل أن رسول الله ﷺ لم يحدث بميقاتها حرفا فذهب كل واحد من الصحابة بما سمعه ويقال إنها ليلة سبع وعشرون وهم الاكثرون «والله أعلم».

عن رسول الله ﷺ : إن هذا شهر قد حضركم، وفيه ليلة خير من ألف شهر، من حرمها فقد حرم الخير كله ولا يحرم خيرها إلا محروم».

عن عائشة قالت: قلت يارسول الله، ارايت أن علمت أى ليلة، ليلة القدر ماذا أقول، قال : قولى : اللهم إنك عفو تحب العفو فأعف عنى».

والتقرب إلى الله فى هذه الليلة بالصلاة والدعاء والقران.

رؤية ليلة القدر :

من أحاديث الأئمة: من أماراتها إنها ليلة بلجة (أى مضيئة) صافية ساكنة، لا حارة ولا باردة، كأن فيها قمرا سطعا، لا يرمى فيها بنجم حتى الصباح وعن ابن عمر أن رجالاً من أصحاب النبى ﷺ رأوا ليلة القدر فى المنام فى السبع الاواخر فقال رسول اللّه ﷺ ارى رؤياكم قد تواطات ففى السبع الاواخر، فمن كان متحريها فليتحرها فى السبع الاواخر».

وخلاصة الآراء فى ليلة القدر :

كما اوردها الاستاذ على الجندى:

١ ـ رفعت فلا يمكن رؤيتها وهو رأى الشيعة.

٢ ـ لم ترفع واختص الرسول ﷺ برؤيتها يقظة أو مناما وهذا رأى اقلية.

٣ ـ موجودة غير محدودة الزمن وليس لها علاقة خاصة تفرق بها

٤ ـ يمكن رؤيتها كما رآها السابقون بالفعل.

٥ ـ قد ترى فى المنام ويقول : الشيخ محمد عبده «إنها ليلة جليلة سامية نبأ الله فيها نزول القرآن»

وحول البر فى رمضان تحدث المؤلف فى الفصل الحادى عشر وقال: إن شهر رمضان أختص بمزايا وفضائل عن سائر الشهور فيجب على المسلم أن يكثر فيه من ألوان البر وصنوف الخير مصداقا لقوله تعالى «وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله» وقد جاء فى الحديث الشريف «أفضل الصدقة صدقة رمضان، ابسطوا فى النفقة فى شهر رمضان، فإن النفقة كالنفقة فى سبيل الله».

وقال عليه السلام إن عمرة فى رمضان تعدل حجة معى»

وكان عليه السلام أجود ما يكون فى رمضان لأنه شهر يتضاعف فيه ثواب الصدقة وفيه الصوم وهو أشرف العبادات وفيه ليلة القدر وكان جبريل عليه السلام يلقاه كل ليلة فى رمضان فيدارسه القرآن.

وعن آداب الصوم : أورد المؤلف قول

الإمام الغزالى الصوم ثلاث درجات: صوم العموم وصوم الخصوص وصوم خصوص الخصوص.

صوم العموم : هو كف البطن والفرج عن قضاء الشهوة.

صوم الخصوص: هو كف السمع والبصر واللسان واليد والرجل وسائر الجوارح عن الآثام

صوم خصوص الخصوص: هو صوم القلب عن الهمم الدنية والأفكار الدنيويه وكفه عما سوى الله، عز وجل، بالكيله.

وقد جاء فى الحديث الشريف «من لم يدع قول الزور والعمل به، فليس لله حاجة فى أن يدع طعامه وشرابه».

وليس بصائم أبداً من يتخذ رمضان شهر ترف ورفاهية ونعمة فيأكل اطيب المطاعم ويشرب أفخر المشارب وجيرانه يتضورون جوعاً.

ويتحدث المؤلف فى الفصل الثالث عشر حول قبلة الصائم وقد أورد قول بعض العلماء إنه ليس للصائم أن يباشر القبلة وإلا أفطر وعليه أن يقضى يوما وعن مذهب أبى حنيفة إنه رخص فيها للشيخ وكرهها للشاب.

وعن الشافعية «إن حركت القبلة الشهوة فهى حرام»

وعن عائشة رضى الله عنها كان رسول الله ﷺ يقبلنى وهو صائم وايكم يملك أربه كما كان رسول الله ﷺ يملك أربه»

(الأرب هو ١٩٨لفرج وحاجة النفس ووطرها).

وفيما أورد بعض المصححين تصحيحا لهذا الحديث وقالوا : إن التقبيل قد يكون في صوم التطوع لا في صوم رمضان وقد يكن في رمضان ولكن ليس في النهار.

خلوف فم الصائم: والخلوف هو تغير الرائحة.

وقد جاء في الحديث القدسي «والذي نفسي محمد بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك» أن صاحبه ينال من الثواب ما هو أفضل من ريح المسك ومن رضا الله سبحانه وتعالى عن صيام عبده المخلص وذلك ما فصله المؤلف في الفصل الرابع عشر.

أما التراويح: فقد فصلها في الفصل الخامس عشر وعنها يقول:

صلاة التراويح هي استراحة المصلين بعد أربع ركعات بالجلسة وقد سميت كل أربع ركعات ترويحه. وهي تكون بعد انتهاء العشاء حتى قبل الفجر.

وقال رسول الله ﷺ :

من قام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم له من ذنب وما تأخر» وكان عليه السلام يرغب في قيام رمضان ويبشر بالثواب الجزيل عليه، وصلى بأصحابه جماعة في ثلاث

ليال متتابعة، ولكنه لم يواظب على ذلك رحمة بأمته وخيفة أن يصير ذلك فريضة يعجزون عن أدائها وقد وصفه اللّه تعالى بقوله «لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم، حريص عليكم، بالمؤمنين رؤوف رحيم.»

وقد روىَ عنه عليه السلام «أن أفضل النوافل ركعتان يصليهما المسلم فى زاوية بيته لا يعلمها إلا اللّه وحده»

وقد اختلفت الروايات عن عدد الركعات فكانت بين أربعين ركعة وعشرون ركعة مع الوتر أو أن يكون الوتر منها.

رمضان والسواك :

أى استعمال عود لتنظيف الأسنان وقد كان معروفا عند العرب من عهد الجاهلية وقد كان معروفا أن السواك كان يصنع من خشب الأراك وكان البعض يستعمله مبلولا بماء الورد ويستحب السواك عند كل وضوء وعند كل صلاة وعند تغير النكهة بالنوم أو أكل ما تكره رائحته.

وعن الرسول الكريم « لولا أن اشق على أمتى لآمرهم بالسواك عند كل صلاة»

وفى صحيح مسلم أن النبى [ﷺ] كان إذا دخل بيته بدأ بالسواك وكان يتسوك وهو صائم إيمانا بأن السواك من

خير خصال الصائم. وكان ذكر خلوف فم الصائم حثاً على الصوم لا حثاً على إبقاء رائحة الفم: وقد أجمع الناس على أ الصائم يتمضمض وجوباً واستحباباً، وهذا ما نلخصه عن المؤلف فى الفصل السادس عشر.

أما الفصل السابع عشر:

يدور حول الاعتكاف ويفسره المؤلف بقوله:

الاعتكاف شرعا هو الإقامة فى المساجد للتقرب إلى اللّه تعالى وحكمه إنه سنة كفاية مؤكد فى العشر الأواخر من رمضان ومستحب فى غيرها وأقل مدته لحظة زمانية.

وقد قال تعالى :

«وطهر بيتى للطائفين والعاكفين والركع السجود».

ومن المأثور عن النبى ﷺ إنه كان يعتكف العشر الأواخر من رمضان فلم يعتكف عاماً، فلما كان العام المقبل اعتكف عشرين عاماً. واستمر على ذلك حتى توفاه اللّه عز وجل ثم اعتكف أزواجه من بعده».

حكمة الاعتكاف :

هى عكوف القلب على اللّه تعالى والخلوه به، والانقطاع عن الاشتغال بالخلق والاشتغال باللّه وحده والأنس به بدلا من الأنس بالخلق.

وعن فضل الاعتكاف قال عليه السلام (الاعتكاف عشر فى رمضان كحجتين وعمرتين) ومن شروط الاعتكاف: الطهارة وعدم التكلم إلا بخير وملازمة التلاوة والحديث والعلم ولو ذهب إلى منزلة لحاجه لا بد منها فلا يحل له أن يلبث فيه إلا بمقدار ما يفرغ من حاجته ويحرم عليه الوقاع أو تقبيل زوجة مادام معتكفا.

الوصال فى الصوم :

كما أورده المؤلف في الفصل الثامن عشر الوصال فى الصوم هو أن يصل الصائم صوم يوم بصوم يوم آخر أو أكثر من غير أكل وشرب بينهما أو أن يكون الوصال إلى السحر فقط أى دون أن يفطر.

وقد جاء فى الحديث الشريف «لا تواصلوا. قالوا : إنك تواصل، قال: لست كأحد منكم أنا أطعم وأسقى».

كما قال لعائشة فى النهى عن الوصال رحمة بنساءه «إنى لست كهيئتكم إنى يطعمنى ربى ويسقينى».

صوم الصبيان :

وقد أورده المؤلف فى فصل مستقل وفيه يقول:

اختلف العلماء فى السن المناسبة لصوم الصغار فمنهم من قال سبعا وعشر كالصلاة ومنهم من قال اثنتا عشر سنة وقال بعضهم إذا أطلق صوم ثلاثة أيام تباعا لا يضعف فيهن عن الصوم. ويقول الغزالى: ومهما بلغ الصبى سن التمييز فينبغى إلا يسامح فى ترك الطهارة بالصلاة ويؤمر بالصوم فى بعض أيام رمضان والجمهور على أن لا يجب الصوم على من دون البلوغ.

تأنيب المفطرين :

فى عهد الحكام السابقين مثل عهد الملك الكامل الأيوبى كان يأمر باغلاق المطاعم والمقاهى فى النهار وكان ينزل بنفسه فى اول يوم من رمضان يباشر الأسواق ويتفقد الرعية فإذا صادف مفطرا متهاونا بحرمة الشهر أمر بضربه ضربا مبرحاً.

وقد قال الرسول عليه السلام فى شأن المجاهرين بأفطارهم «كل أمتى معافى إلا المجاهرين»

الصوم معتدلا دون اسراف :

كان المسلمون فى العصر الأول يعدون شهر رمضان موسم رياضة تمحص فيها الأجسام والأرواح فكانوا يزيدون من تلاوة القرآن وأداء العبادات وتقديم القربات وإطعام الفقراء

والمساكين فلم يكن يؤثر عنهم إنهم كانوا يعنون بما نعنى به الآن من ألوان الأطعمة والأشربة فى أوقات الفطور والسحور كأنما ننتقم لبطوننا من الساعات التى صمناها. ونحمل هم هذا الشهر الكريم قبل حضوره ونعد له العدة من مؤن زائدة

الضعف فى الأرواح والأجسام :

من العجيب أن الإنسان أحيانا قد يخرج صباحا إلى عمله دون أن يذوق طعاما ويظل طول النهار تقريبا دون أن يذوق طعاما وقد يكتفى ببعض أقداح الشاى أو القهوة ولكن فى رمضان يتناول وجبتين كاملتين إحداهما قرب انبلاج الصبح ولا يكاد يأتى عليه الضحا حتى يحس بالجوع فإذا حان وقت الافطار انتظره على أحر من الجمر. فمعنى ذلك أن ضعفنا ضعف أرواح لا ضعف أجسام.

وقد كانت سياسة الرسول عليه السلام وسياسة أصحابه فى تأديب النفس بتجويعها حتى تذل وتتهذب وتتمحص من أدران الشهوات وتقبل على الأعمال الصالحة.

صبر أولى العزائم على الصوم:

الذين تعودوا على الصوم من الصغر هم من أهل العزائم والهمم وهم من أصبر الناس عن كل محبوب وأصبرهم على كل مكروه وهم الذين تقوم بهم الدولة وتبنى غليهم المسالك.

الأفطار :

كل وقت الأفطار إذا تحقق غروب الشمس بالرؤية باخبار عدل أو عدلين أو تيقن الغروب باجتهاد وصحح وكان ﷺ لا يصلى المغرب حتى يفطر وكان يقول عليه السلام لا يزال الناس بخير ما عجلوا الفطور لأن ذلك ارفق بالصائم وأقوى على العبادة ومن دعائه عند الأفطار «اللهم لك صمت وعلى رزقك أفطرت» وكان إذا افطر عند قوم قال «أفطر عندكم الصائمون، وأكل طعامكم الأبرار وتنزلت عليكم الملائكة».

وقد كانت القاهرة أول مدينة إسلامية اتخذت المدفع عند الإفطار وأول طلقة مدفع كانت عام ٨٥٩ هـ.

امة حلوة تحب الحلواء :

يقول معمر العرب أبو عبيده يقول العرب: كل طعام لا حلواء فيه فهو خداج (أى ناقص) وكان عليه السلام يحب الحلواء (أى الحلاوة) وكان يحب الحلو والعسل وكان العرب يسمون العسل الحلو البارد وكانت أشجار العنب والنخيل هى أهم أنواع الحلوى عند العرب ومن العنب يصنعون الزبيب المجفف ومن النخيل يأخذون التمر والتمر من أجود أنواع الأغذية وأكثرها فائدة وإن الإنسان يستطيع أن يعيش عليه وحده مدة طويلة وإذا أخذ مع اللبن كان غذاءً كاملاً.

واكثر الأنواع التى تصنع فى رمضان عندنا هى الكنافة والقطايف والزلابية والحلواء كما جاء فى الطب لها أثر محمود فى رد قوة الصائم إليه ومن هنا تأتى الحكمة المحمدية فى بدء الافطار على التمر او شئ من الحلو ويستحسن أن يكون دافئا وليس مثلجا.

إفطار الرسول :

كان عليه السلام فى رمضان يفطر قبل أن يصلى المغرب وكان يفطر على رطبات او ثمرات، او بعض الماء كما كان يفعل ذلك قبل ان يخرج لصلاة العيد وكان احب التمر إليه العجوة، والحكمة من التمر إنه حلو يقوى من بدن الصائم وفيه شفاء من كثير من الداء وخصوصا للمعدة الخاوية.

الفصل التاسع والعشرون والثلاثون. السحور :

قال ﷺ «لا تزال امتى بخير ما عجلوا بالفطور، وأخروا السحور» وقال عليه السلام «نعم السحور التمر» : «إن اللّه وملائكته يصلون على المستسحرين وحكمته ﷺ فى تأخير السحور حتى لا يشق الصوم كثيراً على الصائمين.

ومن الحكمة عدم المغالاة فى الأطعمة فى السحور وخصوصاً الدسمة حتى لا تتعب المعدة ويعثر الهضم وفى عهد الرسول كانوا يعرفون جواز الأكل والشرب فى السحور

بآذان ويعرفون المنع باذان ابن أم مكتوم كما جاء فى الحديث الشريف أن بلالاً ينادى فكلوا واشربوا، حتى ينادى ابن أم مكتوم، ويسمى ذلك تسحيرا.

وفى العصور الحديثة عبر المسحراتى فى الشوارع يدق بطبلة ليوقظ النيام، للسحور ليصيب بعض الخير مما رزقهم الله ويترقب نفحة العيد.

الفصل الحادى والثلاثون والثانى والثلاثون ـ فوانيس رمضان :

عرفتها مصر أولا فى عهد الفاطميين فى عهد جوهر الصقلى وكانت النساء إذا خرجن فى رمضان للتزاور ليلا يمشى صبى بيده فانوس ليعرف الناس إن امرأة تسير فيخلوا لها الطريق وكانت تضاء أولا بالزيت ثم الشمع واخترعت فوانيس الكهرباء وكان فانوس السحور يضاء على المساجد على المناره ويطفأ حتى يحين وقت المنع.

الفصل الثالث والثلاثون : رمضان علاج للأمراض:

أتفق الأطباء على أن هناك أمراضاً خاصة حرموا معها الصوم مثل المرض الصدرى وفقر الدم وما إليها وأتفقوا كذلك على أن الصوم يفيد كثيراً من أنواع الأمراض مثل السمنة والتكرش والنقرس أى داء الملوك وارتفاع الضغط وأمراض

الكبد والأمراض الجلدية كما أن من فوائد الصوم النظام وتمرين الجهاز الهضمى عليه وكبح جماح النفس والصبر.

وفى حديث الرسول «صوموا تصحوا».

هذا وقد أورد المؤلف فى الفصل الأخير - الرابع والثلاثين - حديثا خاصا عن أشهر أطباق رمضان وهو الفول المدمس.

واعتقد أن هذا الكتاب قد استطاع أن يلم بموضوع من أهم الموضوعات الإسلامية وأحد الأركان الرئيسية للإسلام وهو الصوم فى رمضان وقد نجح المؤلف فى الحاطة بموضوعه إحاطة جعلتنا نهتم بعرضه ووضعه فى هذا الكتاب ضمن كتب قيمة.

الدعوة إلى الإسلام ...

تأليف الإمام : محمد أبو زهرة ...

الإمام الفقيه محمد أبو زهره من أعظم علماء الفقه الإسلامى الذين ظهروا فى العصر الحديث. اجتهد حتى صار علما من أعلام الفقه الإسلامى وحجه فى الإسلام وداعية من الدعاة الأفاضل، وله العديد من المؤلفات الإسلامية سواء فى الفقه الإسلامى أو فى شرح المذاهب وتوضيح السنة، كما ان له العديد من المؤلفات التى تدور حول الدعوة الإسلامية من هذه المؤلفات كتابه القيم (الدعوة إلى الإسلام تاريخها فى عهد النبى والصحابة والتابعين والعهود المتلاحقة وما يجب الآن) هو بحث علمى قيم كان قد أعده الإمام ليكون منهاجا يتدارسه مجمع البحوث الإسلامية فى مؤتمره العام سنة ١٩٧٢ وينقسم الكتاب إلى عدة مباحث، أهمها: وجوب الدعوة الإسلامية ومقامها من التكاليف الشرعية ومدى أمر الله تعالى للأجيال بعد النبى ﷺ فى القيام بالدعوة الى الاسلام وبيانه للكافة. ويدور المبحث الثانى حول منهاج الدعوة الذى سلكه أصحاب

رســـول اللهﷺ أما المبحث الثالث فيدور حول كيفية انتشار الإسلام على أيدى المسلمين سواء خلال التجارة أو الهجرة أو الحروب ثم يخصص الإمام محمد أبو زهرة مبحثا مستقلا يشرح فيه كيف يكون حال الدعاة الآن.

والسؤال الذى يطرح نفسه خلال قراءة هذا البحث القيم للفقيه الإمام محمد أبو زهره وهو هل كل مسلم مكلف بالدعوة للإسلام أم ان هذا عمل قاصر على بعض العلماء والفقهاء ؟ يقول الإمام محمد أبو زهره (إن الله أرحم بعباده من أن يترك الناس من بعد رسوله خاتم النبيين بورا لا هادى يهديهم ولا داعى للحق يدعوهم إليه، والعقول وحدها لا تكفى فى الهداية .. لذلك كان تكليف النبى تبليغ دعوته تكليفا لأمته وقد صرحت بذلك الآيات البينات من كتاب الله تعالى (قل هذه سبيلى أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعنى وسبحان الله وما أنا من المشركين).

ويستخلص الإمام محمد أبو زهرة من دلالات هذه الآية الكريمة ما يلى:

أن الدعوه واجبه على كافة المؤمنين من اتباع النبى صلى الله عليه وسلم: أن تكليف النبى «صلى الله عليه وسلم» تبليغ رسالة ربه تكليف لأمته لا يتخلى عنه مؤمن ولا يتركه أمين.

وعلى هذا الأساس، فإن إجابة السؤال الذى طرحناه ويكون كل ما جاء نصا فى كتاب الإمام أبو زهرة، ودلل عليه بالآيات البينات وبالأحاديث الشريفه هى (أن النصوص قد وردت صريحة مطالبة الامة بالتبليغ كل على قدر علمه وطاقته) ودلل على ذلك بالآيات (كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر، وتؤمنون بالله. ولو آمن أهل الكتاب لكان خيرا لهم) (آل عمران ١١٠)، كما ذكر قوله تعالى (إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس فى الكتاب، أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون) (البقرة ١٥٩).

ولكن كيف تكون الدعوة إلى الإسلام؟ هذا سؤال اعتقد انه هام فى أيامنا هذه، ذلك لانحراف البعض ومغالاتهم، ويرد الإمام محمد أبو زهرة الذى أفرد لهذا الموضوع الهام مبحثاً كاملا من كتابه، بدأه بقصة هؤلاء النفر الذين هاجروا إلى الحبشة ويروى قصة اللقاء بينهم وبين ملك الحبشة أو النجاشى، ومن خلال هذا المثل الرائع الذى اختاره الإمام ليدلل به على أهمية منهاج الدعوة والداعى تطبيقا لقول الله تعالى (ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتى هى احسن إلا الذين ظلموا منهم، وقولوا آمنا بالذى أُنزل إلينا وأُنزل إليكم وإلهنا وإلهكم واحد ونحن له مسلمون) (العنكبوت آية ٤٦) ويقول

الحق جلت قدرته (ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن) (النحل آية ١٢٥).

وفى المبحث الثانى من الكتاب يحاول الإمام محمد أبو زهرة أن يأتى بنموذج الدعوة كما كانت ايام أصحاب رسول اللّه ﷺ لكى يدلّل على أن الدعوة إلى الإسلام هى دعوة إلى دين الفطرة الإنسانية وبالتالى فإن الإسلام لايحتاج إلى عنف كى يدخل إلى القلوب، بل إلى اللين تطبيقا لقول الرسول الكريم صلوات اللّه عليه وسلامة (بشروا ولا تنفروا - ويسروا ولا تعسروا) هكذا فعل أصحاب رسول اللّه ﷺ وانضم إلى الاسلام قبائل كثيرة وأمم كثيرة، واتسعت رقعة الإسلام بحسن الدعوة وإيمان الداعى بأن الإسلام أقرب إلى فطرة البشر، ويؤكد الشيخ الإمام محمد أبوزهرة أن القرآن الكريم كان ولا يزال منار الدعوة وحصن الدعاة، وقد انتشر الإسلام فى كل بقاع العالم سواء فى المشرق أو فى المغرب بتمسك الدعاة بالقرآن الكريم والعمل به وبالسنة المحمدية كما جاءت فى الأحاديث الصحيحة، ويفرد الشيخ الإمام فصولا كاملة لدعاة الإسلام من التجار العرب الذين دعوا للإسلام فى أفريقيا شرقها وغربها.

كما يفرد حديثاً مطولاً عن فرق الإسلام التى حملت لواء الدعوة الإسلامية واقتحمت بها عوالم الوثنية. واهتدى بفضلهم

ملايين الناس فى آسيا وأفريقيا، ويذكر الإمام محمد أبو زهرة فضل فرق المتصوفة من السجانية الذين كان لهم دور كبير فى إسلام غرب أفريقيا وكذلك فرق السنوسية والجيلانية، ويذكر الإمام فضل (نظام الزوايا) فى تعليم القرآن الكريم والشريعة الإسلامية لأهل افريقيا ويذكر الإمام أيضا فضل أهل السودان فى نشر الإسلام فى ربوع أواسط افريقيا وغربها، كما يذكر أن الاستعمار الانجليزى على يد (اللورد كتشنر) كان يحارب المسلمين من أهل السودان لكى لا ينتشر الإسلام فى جنوب افريقيا، فقد عرف الاستعمار أن دخول الإسلام معناه هزيمة الاستعمار وطرده، وينتهى الكتاب بقول الإمام محمد أبو زهرة ختاما لكتابه القيم عن الدعوة إلى الإسلام محدداً خصائص الداعى. «على الداعى التحلى بكل ما يمكن أن يتحلى به المؤمن الذى يعمل بقول الله عز وجل (لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا).

الإسلام فى مواجهة الفكر الغربى

د . محمد على أبو ريان

ربما لا تأخذ أزمة الكتاب هذا البعد المأسوى . إلا إذا اصطدمنا بها ووقفنا حيالها فى عجز ونحن نرى أنفسنا وقد حرمنا من ثمرة عقولنا. وأبعدت عنها ثقافة نحن فى مسيس الحاجة إليها. ثقافة لا تهم حضارتنا وحدها. بل تهم ديننا أيضا أزمة جعلت كل شئ يتساوى. الجهل والثقافة.

ولولا تلك الأزمة لخرج لنا هذا الكتاب الذى نحن بصدده فى سهولة ويسر حتى يتمكن منه القراء فيستفيدون منه ويستفيد المؤلف أيضا محاورة معهم ـ وهكذا تنمو ثقافة الجميع. سواء القارئ أو المؤلف والكتاب الذى أثار فى النفس كل هذه الهواجس كتاب (الإسلام فى مواجهة الفكر الغربى) للعميد الدكتور محمد على أبو ريان. وكان موضوع الندوة التى نظمها نادى سبورتنج بالاسكندرية.

ومؤلف الكتاب . الدكتور أبو ريان له أكثر من أربعين مؤلفا فى الفلسفة وكلها مباحث جديدة تغوص فى بحار

الفلسفة وتظهر كرامتها وتفسر أعماقها. ولكنه فى هذا الكتاب اتجه اتجاهاً جديداً. يعد تجديدا للفلسفة الإسلامية حتى تتمكن من مواجهة الفكر الغربي ونظرياته الفلسفية المختلفة. وقد بدأ بالفعل فى تطبيق منهجه على (الماركسية).

وكتاب على هذا النحو «كتاب فريد» له أهميته العلمية، بجانب أهميته الدينية بما احتواه من آراء جديدة حاول البحث أن يتحرى الصدق والأمانة فى الوصول إليها، وقد اعترف المشتركون فى الندوة بإجماعهم على أهمية هذا الكتاب وجدارته على مواجهة تيارات الانحراف أو التطرف وإنه وفقا لما قال الدكتور عبد الصبور شاهين فى رده على كثير من الاستفسارات التى تؤرق علماء الدين أنفسهم الأمر الذى كان يوجب أن يأخذ هذا الكتاب حظه من النشر. بطريقة تجعله أكثر انتشارا من تلك التى أتبعها المؤلف حيث قام بنشره على نفقته الخاصة فى عدد محدود. وهكذا حالت أزمة النشر، دون توصل الثقافة الجادة، والعلم الدينى السليم إلى الناس وخاصة الشباب، ويمكننا القول بأن أزمة الكتاب كانت سببا رئيسيا فى انحراف جماعات من الشباب. سلكوا طريقا وعرا وتكبدت الدولة مشاق كثيرة من أجلهم .. ماذا لو انفقت الدولة بعض هذا الجهد فى سبيل العلم والثقافة بدرجة تجعلهما فى متناول كل الناس ؟.

إن هذا الكتاب يؤكد بعد تقديم الأدلة البينة، ان المنهج العلمى الذى يسمى الآن (المنهج الغربى) فى الاساس منهج إسلامى، نشأ فى ظل الإسلام واستخدمه الفكر الإسلامى ونهضت على أساسه الأمة الإسلامية. حتى بلغت مبلغها من التكامل ونقلاً عن الفكر الإسلامى أخذ الغرب ذلك المنهج واستخدموه واهتدوا به إلى تطورهم العلمى الملموس لنا فى الوقت الحاضر.

ويؤكد الكتاب، إن غياب هذا المنهج العلمى عن ساحة الفكر الإسلامى سمح لمجموعة من الأفكار المتناقضة ـ التى سميناها بعد ذلك (قضايا) ـ بالظهور والانتشار بحيث طغت على ما عداها. وشغلت أذهان المسلمين بها ردحا طويلا من الزمن حتى كادت تسيطر على الفكر الإسلامى، وقد جدد الدكتور أبو ريان هذه (القضايا) وعراها بحيث رأيناها لا تستحق كل هذا الوقت الذى شغلنا بها ونسينا أهم ما فى دعوتنا وفكرنا الإسلامى.

وعندما تحدث الأستاذ الدكتور أبو ريان عن الماركسية. تحدث عنها على أساس منهجه العلمى لا يذم ولا يمدح. إنما يبغى الوصول إلى حقيقة هذه الفلسفة التى أرادوا بها أن تشغلنا عن أمر فكرنا الإسلامى وانتهى من بحثه إلى إنها

أصبحت مجرد فلسفة جاءت في زمن ومضى ذلك الزمن. وأصبحت مجموعة من الأفكار الرجعية.

وقد أثار الحديث في الندوة حول الماركسية جدلا طويلا حيث كان من الثابت أن الماركسية الاشتراكية لم تستطع أن تضع ما يمكن أن يسمى بحضارة اشتراكية أى إنها لم ترق إلى درجة التأثير فى المجرى العام للحياة وأنماطها بحيث تصنع نمطا حضاريا مستقلا.

والكتاب لأهميته، لا يمكن تلخيصه فى حيز ضيق والندوة الناجحة لايمكن الحديث عنها فى عجالة، ولكن يبقى القول بأن هذا الكتاب يعد من الكتب الهامة التى صدرت خلال فترة طويلة، وترجع أهميته إلى شجاعة الباحث، وقدرته واقتداره على التصدى لقضايا ذات حساسية ولكنه واجهها بعلمه الغزير وبفكره اليقين وبشجاعة عالم لا يسعى إلى إرضاء لمجده إلا وجه الله.

نماذج من الرواية المصرية

يوسف الشارونى

يثير كتاب يوسف الشارونى (نماذج من الرواية المصرية) عدة قضايا أدبية على جانب كبير من الأهمية، فلأول مرة نرى ناقدا متخصصا يفتح قلبه ليقول كل ما عنده حول منهاجه النقدى، شارحا لنا خطوات عملية النقد كما مارسها ومن خلال اعترافه الصريح، أثار القضية الأولى حول كتابه، فكان فى إمكانه - وهو الناقد المبدع المتربع على عرش النقد فى مجال القصة والرواية أن يقدم لنا عمله النقدى وعلينا - نحن - تقع مسئولية استنباط نظرية (النقد عند يوسف الشارونى)، أما أن يشرحها هو شرحا وافيا فقد ظلم نفسه، وظلم نظريته، وخاصة وإنه أورد فى نفس الكتاب تطبيقا لنظريته النقدية مجموعة من الروايات كنماذج.

وقبل أن نتعرض لنظرية الشارونى فى النقد، يجب أن نلتفت إلى قضية هامة أثارها الكتاب، أيضا وهى مزاولة المبدع

الأدبى لعمليتين فى وقت كلاهما ضد الآخر، وهى عملية الإبداع وعملية نقد الإبداع، وهل من حقه أن يزاول العملية فى وقت واحد أم أن عليه أن يكتفى بواحدة منهما.

والإجابة على هذا السؤال يمكن أن تفسر لنا الكثير من أعمال الشارونى سواء تلك التى أبدعها أدباً خالصا أم أبدعها نقداً خالصا، بل وربما تفسر لنا ـ ولو إلى حد ما ـ تلك العملية المعقدة التى تسمى (الإبداع الأدبى). يقول يوسف الشارونى (الارتباط بين عمليتى النقد والإبداع أساسه أن الفنان هو الناقد الأول لعمله الفنى)، والشارونى هنا لا ينقل الآراء من كتب أو مراجع وهى ميزة كبرى لكتب الشارونى، حيث يصل إنتاجه النقدى إلى مرحلة الإبداع، فهو يتحدث عن تجربته الشخصية، تجربة أثرتها المعاناة الطويلة سواء فى مجال إبداع القصة أو فى مجال نقدها، حيث أصبح من الصعوبة الفصل ـ كما يقول الشارونى فى كتابه ـ بين العمليتين المتضاربتين، النقد والإبداع الفنى، ونستخلص من اعتراف الشارونى أن عملية الإبداع الفنى كما إنها تعمل فى تطوير عملية الإبداع إلا أنها تقف دونها، تعوق نموها، (وهكذا فإنه سلاح ذو حدين، يفيد عملية الإبداع الفنى من ناحية ويعطلها من ناحية أخرى).

(ولعل هذا كان أحد أسباب قلة ماكتبت من قصص من ناحية الكم). ولكن هذا يحدث فى حالة الناقد المشتغل فى نفس

الوقت بالإبداع الفنى، أما الناقد المتفرغ لعملية النقد فإنه يثرى الحركة الأدبية، كما يقول الشارونى (الحركة النقدية لا تؤثر فى الحركة الأدبية فقط لكنها أيضا تتأثر بها، ولا تزدهر حركة النقد الأدبى إلا إلى جانب وجود حركة أدبية مزدهرة)، أى أن عملية النقد التى يزاولها المبدع نفسه تعوق إنتاجه الإبداعى وتحول دون كثرته وإن كانت تؤثر فيه من ناحية الإجادة، ولكن وجود حركة نقدية يستلزم وجود حركة الإبداع، وبالتالى يمكن القول بأن تطور الرواية لابد أن يعنى بالضرورة تطور حركة النقد المصاحبة له .. ولكن هل حدث هذا ؟

هذه هى القضية الأولى.

ونظرية النقد عند الشارونى، كما أوردها فى كتابه تقوم على أساسين هامين أولهما (أن المجاملة أخطر من الصراحة مهما آلمت) و (الكشف عن جوانب العمل الفنى متتبعا مساره وعدم فرض حكم معين على القارئ نقد حيادى مظهره عدم فرض مقياس سابق على كل مايتعرض له من أعمال فنية وأن يستشهد بالنص كجزء جوهرى من عملية النقد، أما منهج النقد لهذه النظرية فإنه يقوم على أساس (الدعوة إلى أن العمل الفنى ليس إلا بيئته الفنية، وان كثيرا من جوانبه تتكشف لنا حين نربطه بهذه البيئة) على أن نلاحظ أن هذا الربط يتم وفق ثلاثة محاور أولها موضع العمل الفنى من التاريخ الأدبى

للمؤلف ، والمحور الثانى مكان العمل الفنى بالنسبة للأعمال الفنية المتشابهة فى أدبنا المحلى الثالث مكانه العمل بالنسبة للأعمال الفنية فى الأدب العالمى هذه ـ باختصار ـ أهم ملامح نظرية النقد عند الشارونى كما أوردها فى الجزء الأول من كتابه (نماذج من الرواية المصرية) تحت اسم تجربتى فى النقد الأدبى، ولكن كيف طبق الشارونى هذه النظرية على النماذج التى أوردها فى كتابه حيث تناول عشر روايات مصرية لروائيين من مختلف الأجيال والمذاهب بالإضافة إلى الدراسة الخاصة التى قدمها عن يوسف السباعى لقد طبق الشارونى أساس نظريته الأولى وابتعد عن المجاملة، كما أبتعد عن إطلاق الأحكام العامة عند تصديه لمناقشة الأعمال التى اختارها، فنحن لا نجد كلمات عامة مثل (عمل جيد) ورواية رائعة أو عمل هزيل إلى آخر العبارات العامة لأحكام قاطعة بل أعطانا بالفعل الاحساس بأنه ملتزم بالأسس التى وضعها لنفسه، ودخل مباشرة فى تطبيق منهاجه، فيقول عند الحديث عن رواية البيضاء ليوسف إدريس تذكرنا على الفور بمجموعة الروايات التى استوحت ما كان يضطرم به مجتمعنا المصرى فى فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية حتى قيام ثورة ١٩٥٢، إنه هنا يضع الرواية بالنسبة للأعمال الفنية المحلية ويشير إلى أهم الروايات التى تصدت لنفس الموضوع، ثم يتناول الرواية وفقا لهذا المقياس، ثم يطبق هذا المنهج على الروايات التى أوردها

فمثلا عندما يتحدث عن مكان العمل الفنى بالنسبة لمؤلفه ولاعماله الأخرى يقول عن رواية «شئ من الخوف» لثروت أباظة وإذا كانت القصة الأولى - ابن عمار - قصة تاريخية فإن الروايات الست التالية لها، تدور حول موضوعين اساسيين هما : علاقة الآباء بالأبناء والجماعة فى مواجهة الفرد الخارج على السلطة .. أما «شئ من الخوف» فإنها وإن كان موضوعها الأساسى الفرد الخارج على الجماعة إلا أنها تتصل على نحو ما بموضوع علاقة الآباء بالابناء وعن ذلك فإن هذين الموضوعين ليسا إلا وسيلة الإفصاح عن القضية المحورية .. وهى قضية الحرية».

ثم يمضى الشاروني فى تطبيق منهجه، فيقوم خلال استعراضه لمكانة العمل الفنى بالنسبة للتاريخ العام لموضوع الرواية فيقول خلال حديثه عن رواية «العمر لحظة» ليوسف السباعى «لقد كان التنبؤ هو إحدى مهام الفن طوال تاريخه .. وروايات جول فيرن وويلز هى أدب وفى الوقت نفسه نبؤات بما تحقق من اكتشافات واختراعات علمية بعدها بعشرات السنين و «لقد كان يوسف السباعى واحدا من أدبائنا القلائل الذين استطاعوا أن يقاوموا وان يرى بصيص النور .. رغم حلكة الظلام»، ثم يسرد الشاروني - مارا بكل أعمال يوسف السباعى الروائية - قدرة السباعى على التنبؤ حتى يصل إلى

الرواية موضع الدراسة، لكى يثبت خط الاستشراق فى الرواية.

وأخيرا، فإن من الملاحظ أن يوسف الشارونى قد طبق منهجه النقدى على النماذج التى أوردها وإن لم يكن قد فسر لنا سبب اختياره لهذه النماذج بالذات لأنه لابد من وجود أسباب جعلته يختار نماذجه لكى يطبق نظريته النقدية، وإن تعلل بأن ما أورده خلال الجزء الأول الذى شرح فيه نظريته وأسسها كان تحت عنوان «تجربتى مع النقد الأدبى» وهى بالتالى مجرد مقدمة، إلا أننا ـ سواء وافق هو على ذلك أم لم يوافق ـ أمام نظرية فى النقد شرحها الشارونى فى الجزء الأول ثم راح يطبقها فى الجزء الثانى، ولهذا فنحن أمام نظرية متكاملة فى النقد الأدبى، وإن أعترف هو بأنه التزم بما تعلمه من أستاذه طه الحاجرى، إلا أنه باسهامه الايجابى والمتواصل فى مجال النقد ـ استطاع أن يصل إلى نظرية ذات منهاج علمى تصلح أساسا لتطوير عمليتى النقد والإبداع الأدبى، وهنا تظل القضية الأساسية التى طرحها الكتاب .. هل يمكن تطوير حركة الإبداع الروائى بتطوير حركة النقد ؟

أعتقد أن تجربة النقد الأدبى عند يوسف الشارونى واستخلاصه منهاجًا للنقد يمكن أن يطور عملية الإبداع الروائى .. والتى نحن فى أشد الحاجة إليها.

الإسلامية والروحية فى أدب نجيب محفوظ

د. محمد حسن عبدالله

يقول الدكتور محمد حسن عبد الله مؤلف الكتاب (الكثرة من النقاد حاولت أن تبلور - نجيب محفوظ - ككاتب مادى صريح، وتطايرت من حول رواياته وقصصه عبارات كثيرة محفوظة ربما تدل على الرغبات الخاصة أكثر مما تدل على التمعن وإعمال الفكر الهادئ : وقد رددها آخرون على سبيل تفضيل الأفكار الجاهزة على بذل الجهد الخاص، وبالفعل بذل الدكتور محمد حسن عبد الله جهدا كبيرا فى إظهار (حقيقة هامة) حاول أن يطمسها العديد من النقاد الذين تصدوا للكتابة عن نجيب محفوظ وهى أصالته الإسلامية والروحية وما فعله الدكتور المؤلف يثير قضية من أخطر قضايانا الفكرية، وهى طغيان الأفكار الجاهزة عن أحد الأدباء والمفكرين فإذا هى السائدة والطاغية توشك أن تصل إلى حد الحقائق ويصبح من يتصدى لهذه الأفكار الجاهزة كمن يتصدى لحقائق الكون الثابتة ونجيب محفوظ من الأدباء الذين حظيت أعمالهم بالكثير

من الدراسة والنقد سواء فى أعمال أكاديمية أو دراسات حرة ولكنها جميعا، كما يقول الدكتور محمد حسن عبد الله «شاعت عن منهجه الفكرى أقوال وملامح شبعت الجو النقدى فكونت ضبابا كثيفا أوشك أن يحول دون الرؤية لأدبه والرؤية الموضوعية النابعة من الاتصال المباشر الواعى بالنص الأدبى». وهكذا أراد هؤلاء النقاد أن يجيزوا أدب نجيب محفوظ من خلال منطلقهم الوحيد، وحبسوه فى قوالبهم النقدية وكرّسوا جهودهم - العلمية أحيانا - لتأكيد هذه المقولة عن (مادية نجيب محفوظ وإلحاده)، بل أن بعضهم حاول أن يدلل على إيمان نجيب محفوظ بالشيوعية بتقديم دراسة للمقالات التى كان يكتبها نجيب محفوظ عقب تخرجه فى الجامعة التى كان يعرض فيها لأهم النظريات الفلسفية ويأخذ من هذه المقالات ويطبقها على أقوال أبطال روايات نجيب محفوظ.

لقد حاول الدكتور محمد حسن عبد الله من خلال منهجه العلمى أن يقدم دراسة عن أصالة الرؤية الإسلامية عند نجيب محفوظ، وكنت اعتقد إنه يمكن استكمال هذه الدراسة وفقا لمنهج علم الاجتماع المعرفى الذى يحتم دراسة الظروف والملابسات التى أدت إلى إشاعة مقولات خاطئة من أدب نجيب محفوظ لأن انتشار أدب نجيب محفوظ وتواجده بقوة فى الحياة الأدبية فى العالم العربى أدى إلى جذب العديد من

الأقلام للكتابة عنه، سواء فى الجامعة أو فى الصحف والمجلات، وهذه الدراسات كانت تكتب خلال جو عام مشبع للفكر الاشتراكى وليس من شك أن تخليص هذه الدراسات من مناخها الاجتماعى يمر بها من قيمتها العلمية.

ولهذا سيظل كتاب الدكتور محمد حسن عبد الله هو الخطوة الأولى الجادة نحو إعادة تقييم ودراسة أدبنا المعاصر دراسة موضوعية.

القصة والرواية ..

بين جيل طه حسين وجيل نجيب محفوظ

د. يوسف نوفل

يقول الدكتور نوفل فى بحثه (.. وقد دار الكتاب حول فكرة أومن بها كثيرا وهى أن الرواد كان لهم فضل السبق واقتحام التجربة الجديدة وريادتها، وتقديم المثال، بما فى ذلك من سمات ضعف أو قوة، أما من تلاهم من أجيال - وبين أيدينا فهم الجيل الثانى - فلهم دور التأصيل والإجادة، والإضافة والابتكار والتجديد، وتلافى ما قد يكون قد وقع فيه سابقوهم من سلبيات وقصور، والتمهيد الفنى لمن يليهم من أجيال ..)

والفكرة التى يؤمن بها دكتور يوسف نوفل، والتى ظهرت واضحة خلال بحثه الطويل حول القصة والرواية، من الأفكار التى كانت تنقصنا فى عالم الأدب والفن وخاصة عالم الإبداع الأدبى وقد سبق ليوسف السباعى أن حمل لواء هذه الفكرة وأطلق عليها (تواصل الأجيال)، أى أن كل جيل من الأدباء له

ما يميزه ولكنه - بالتأكيد - يمهد للجيل الذى يليه بل ويشارك فى صنعه، وهكذا تمتد الأجيال وتتلاحم حتى يصعب عليك التحديد الدقيق القاطع بل أنك تجد أن للأدب تياران متدفقان عبر نهر إبداعه، ولكن - وهذا هو الأهم وهو الذى يجعل لبحث دكتور نوفل أهميته الأدبية بجانب الأهمية العلمية تعرضت حياتنا الأدبية فى الفترة الماضية إلى حملة ضارية تنادى بأن هذا الجيل من الأدباء جيل الشبان، وبالتحديد جيل الستينات، لا أساتذة لهم، فهم نبت خاص نشأ كما تنشأ حشائش (السفانا) أو الحلفا ولدوا من باطن الأرض ليندفعوا فى إعصار فكرة تلاحم الأجيال، وقد توهموا هذا الأمر كما أن الروائى الشاب لا يستطيع أن ينكر ما لرواية مثل الأيام من فضل عليه، ولا يفكر بالتالى محاولات هيكل وتيمور ولا شين، وايضا ، فضل الجيل الثانى من أمثال السباعى وعبد الحليم عبد الله ويوسف جوهر وثروت أباظة ومكاوى فقد مهدوا له أرضا صالحة للنبت، وليس هذا فقط بل قدموا له التجربة، فلديه مهما حاول الإنكار، محاولات مسجلة يستطيع أن يقول فى عيوبها ما يشاء ولكن لا يستطيع إنكار وجودها، كما لا يستطيع إنكار تأثيرها عليه، سواء اعترف بهذا أم لم يعترف، فإنها تسرى فى وجدانه، وما ثورته عليها إلا نتاجا لهذا التأثر وتطهراً لاعترافه بوجودها.

ودكتور يوسف نوفل يقدم فى كتابه تأييداً علمياً على صحة هذا التلاحم بين الأجيال فهو مثلا عندما يتعرض للتيار النفسى فى القصة، وهو لون من ألوان التناول الفنى للأعمال القصصية يجده عند العقاد فى سارة كما يجده عند نجيب محفوظ وثروت أباظة فهذا اللون من التناول للفن القصصى لم يكن قاصرا على أديب أو لم يكن مقصورا على جيل دون آخر، بل هو ممتد من هيكل ويحيى حقى ولاشين إلى نجيب محفوظ وثروت أباظة إلى جيل الشبان الحالى، وتسرب هذا التيار معناه تأثر كل جيل بمن سبقه من الجيل الماضى، وهكذا فى التيار الذاتى فى القصة تجده عند يحيى حقى وإبراهيم المازنى ومحمد فريد أبو حديد وطه حسين وتوفيق الحكيم، وليس بين وجود تيار ما من التناول القصصى معناه الاتفاق فى شكل التناول، أنه يختلف من قاص إلى آخر، يتلون بمزاجه وطريقته، ولكن معناه أن الحركة الأدبية تتفاعل وتنمو ولم تكن فى يوم من الأيام واقفة جامدة تنتظر الهداية من جيل يولد بلا أساتذة.

وقد اتسم كتاب الدكتور بتقديم الإطار الاجتماعى والسياسى الاقتصادى الذى كون (المناخ العام) للإنتاج الأدبى خلال فترة دراسته التى امتدت ما يقرب من ٧٥ عاما، إلا انه قد وقع فى خطأ السرعة والأحكام المتسرعة إضطره إلى هذا زيادة الرقعة التاريخية التى اختارها لدراسته، فإن اى دارس

يحاول أن يلم ولو إلمامة سريعة بنتاج العبقرية الأدبية خلال ما يقرب من قرن من الزمان فإنه سوف يقع - لا محالة - فى هذا الخطأ أو يزيد فى ناحية ويترك أخرى، فإنه مثلا عندما تحدث عن التيار الرمزى فإنه اقتصر على عملين فقط هما (قنديل أم هاشم)، (شمروخ).

ومع هذا تظل لدراسة دكتور نوفل ريادتها فى هذا المضمار ويظل له الفضل فى تنظير فكرة تواصل الأجيال، التى نحن فى أشد الحاجة إليها، من أجل تطوير الحياة الأدبية، فلا يعقل وجود جيل بلا رواد مثل استحالة وجود أبناء بلا آباء.

فالحياة فى تدفقها العام، تخلق من القديم الجديد وتعلم الجديد من القديم فى نماذج يصعب معها تحديد ابتكارات كل جيل على حده، ومنذ الستينات ونظرية فصل الأجيال سائدة، ولأن الأدب فى خلال الفترة لجأ إلى ما يمكن أن يسمى (أدب التغريب) وتصور النقاد أن هذا اللون من الأدب لم يعرفه الأقدمون، بل لم يعرفه كبار الكتاب فى وقتها، واعتبروا أنه وليد حياة خاصة وظروف خاصة فهو بالتالى نتاج هذا الجيل وحده لا شريك له فيه، فى ذلك الوقت كتب دراسة مدعمة بالأسانيد الوثائقية على أن هذا اللون من الأدب، عرفه الأقدمون، بل عرفه أدباء مصر القديمة وعلى وجه التحديد أدباء الأسرة الثانية من أمثال (اليو - ور) وغيره، كما نجده فى

شعر أبى العلاء والمتنبى بل نحسه ونشعر به فى أشعار حافظ، فإذا كان الأمر مجرد (مصطلحات) مختلفة اختلافا هدفها (تغريب) الأدب عن أمته وإبعاد الأديب عن تراثه، فإن الأمر لا يدخل ـ فى هذه الحالة ـ مدخل النقد الفكرى ويصبح وسيلة من وسائل الغاء الشخصية المصرية ، فالذى يتنكر لأهله، يتنكر لبلده ... فلا أدب له ولا يستحق منا عناء المتابعة ..

الاتجاهات الواقعية فى القصة
القصيرة المصرية
محمود الحسينى

لها الله القصة القصيرة المصرية، فقد وقعت بين شقى الرحى، ولم ترحمها الصحافة، كما لم تنصفها الدراسات الجامعية فالصحافة بالنماذج الرديئة التى تنشرها فى كثير من الأحيان، ما عدا قلة قليلة من القصص الجيد، حيث تشكل هذه الكثرة مدرسة يتعلم منها هواة كتابة القصة، وهم يحاولون تقليدها على أساس أنها أفضل والجامعة التى اعتبرت ابداعات تيمور وغيره هى نهاية المرحلة التى يجب أن يتوقف عندها الباحث.

وهكذا صدر العديد من الدراسات الجامعية حول القصة القصيرة، وكلها تدور حول إرهاصات القصة القصيرة واعتبرتها المجال الوحيد للدراسة وخاصة تلك الدراسات المعدة لنيل الدرجات الجامعية.

وزاد الأمر ظلما للقصة القصيرة عندما تصدى أساتذة الجامعات للكتابة عن القصة، اختاروا نماذج معينة أملتها عليهم ظروف غير علمية وشاعت بعض الأسماء لا على أساس جودة إبداعها بل على أساس قدرة اتصالها بمراكز الاعلام.

ومن بين الدراسات الجامعية الجديدة حول القصة القصيرة كان كتاب الدكتور محمود الحسينى المرسى الذى صدر بعنوان (الاتجاهات الواقعية فى القصة المصريه القصيرة ـ حتى عام ١٩٨٠ ـ دراسة فى المضمون والبناء) وأول ما يلفت النظر فى هذا الكتاب تحديده لعام ١٩٨٠ نهاية لبحثه وعلى هذا الأساس نتصور جميعا أن الدراسة سوف تشمل كُتَّاب القصة جيل السبعينات والستينات وهم أبناء الجيل الذى حقق بالفعل التجديد والتطوير لفن القصة القصيرة ولكننا نجد أن الدكتور محمود الحسينى أقام دراسته بداية من قصص، محمد تيمور وانتهاء بقصص محمد أبو المعاطى أبو النجا، مارا بالمازنى وطه حسين والسباعى والبدوى وسعد حامد والشرقاوى والخميسى ومحفوظ ومصطفى محمود هكذا اغفل الباحث أجيالا من كتَّاب القصة، كان من الممكن ان تستلفت نظره وأن يختار من بين العديد من كتَّاب جيل الستينات نماذج تعينه على استكمال صورة القصة القصيرة والتى حددها بعام ١٩٨٠.

فـاذا تجـاوزنا هذه النقطة على أســاس أنه من الممكن استدراكها فى كتاب جديد فان الاختلاف مع الباحث لا يتوقف عندها إنما يبدأ معه الاختلاف فى التفسيرات التى ساقها عندما بدأ يتحدث عن، الاتجاهات، والتى قسمها الى الواقعية التسجيلية والواقعية الاشتراكية والواقعية الفكرية، وهو تقسيم تعسفى يصعب على أساسه دراسة اتجاهات القصة المصرية، ما يعترف بها الباحث نفسه وكان تصنيف الانتاج القصصى الواقعى الى اتجاهاته هو المشكلة التى واجهت الباحث. وكنت افضل للباحث اختيار منهج آخر حتى يتمكن من رصد اتجاهات القصة المصرية وفقا لقاعدة التسلسل التاريخى وذلك لتغير مفهوم القصة من ناحيتى المضمون والتكتيك وأيضا لتعذر تطبيق ما يمكن أن يسمى بالواقعية وفقا للمفهوم الذى ساقه فى كتابه وهو التفسير الغربى للكلمة.

ومع هذا.. يبقى لهذا الكتاب أهميته الريادية لأنه مهد للدراسة الجادة لفن القصة القصيرة وكذلك استطاع أن يقدم نماذج للقصة لكتّاب من مختلف الاتجاهات الفنية والفكرية، وخاصة تلك الدراسة لعالم محمود البدوى القصصى والذى يقول عنه «.. أن البدوى لم يكتف بتصوير هذا الصراع ـ النفسى ـ بل اتسع امامه مجال التصوير النفسى وكان أكثر

تحليلا للنفس الانسانية وأكثر تنويعا للشخصيات وتعدد البيئات».

وكذلك استطاع الدكتور محمود الحسينى أن يقدم دراسة جديدة حول الواقعية الاشتراكية وان كان لنا بعض التحفظ حول ما جاء بدراسته عن عبدالرحمن الشرقاوى إلا ان تلك الدراسة التى أوردها أكدت ان الشرقاوى لم يكن ضمن مدرسة الواقعية الاشتراكية وفقا للمفهوم المادى بل تعداه الى ما بعد «المادية الجدلية» واستطاع الباحث أن يثبت صدق وعى الشرقاوى وحسه الفنى والأدبى فى أعماله القصصية القليلة.

ونجح الباحث أيضا فى تقديم صورة «للفكر الاجتماعى والسياسى» لمجموعة من كتّاب القصة لم يهتم بهم أحد من قبل فى دراسة جادة مثل تلك التى بين أيدينا من أمثال سعد مكاوى وسعد حامد.. وإن كان قد وقع فى محظور «الدراسة الجاهزة» عندما تصدى لدراسة نجيب محفوظ.

ويظل الود ممدودا والرجاء قائما بين أساتذة الجامعات وأدباء القصة القصيرة على أمل تصحيح الوضع الحاضر.. من أجل قصة مصرية حديثة متطورة.

حديث .. المفتى

للكاتب المغربى : أحمد بن سوده

تشدنا اللغة، تجرفنا، نتخطى الأسوار، والحدود، نركب سفن الكلمات نطير، نرى الشرق والغرب فى ذات اللحظة فإذا بنا وقد تجاوزنا حدود المكان، تدفعنا روح وثابة نحو الأمل الواحد، نتحد، نتكاتف، تسألنى كيف؟.. ذلك سر من أسرار اللغة العربية وحصانها الوثاب فوق الحدود، فنحن نقرأ نفس الكلمات مهما اختلفت الأقطار، وتدفعنا هذه الكلمات إلى الإحساس الواحد الذى يغمرنا فى ذات اللحظة مهما تبعد بنا المسافات، ونشارك البكاء على بطل القصة الواحدة لكاتب واحد، مهما يتنوع بنا المناخ، نشارك نفس الإحساس، ولانتعارف، بل نجعلهم يشككوننا فى كوننا أمة واحدة.

اندفعت تلك الكلمات إلى راسى وأنا أنهى قراءة كتاب (حديث المفتى) للكاتب المغربى أحمد بن سودة، وهو كتاب قيم يذكرك بكتاب حديث عيسى بن هشام، ويذكرك بأدب المقامة، وهو الأدب الذى يعتبر الأب الشرعى لفن الرواية العربية،

وأحمد بن سودة في مقاماته أو في أحاديثه يحاول أن يقترب اقتراباً جاداً من فن الرواية العربية تسمو لغته العربية، ويشتد في سخريته حتى يقترب من الفن الساخر، ويصل إلى هدفه من التبليغ ولاعجب فالكتاب كُتِب خلال فترة النضال الشعبى وخلال محاولة الشعب المغربى التخلص من الاستعمار والبحث عن الذات العربية الخالصة، ولهذا فأنك تجد أحمد بن سودة يهتم اهتماماً بالغاً بأناقة العبارة مع الحفاظ على أصالتها العربية.

دفعني (حديث المفتى) إلى محاولة تتبع تطور فن القصة في الأدب المغربى ورغم قلة الموارد المتاحة للدراسة فإن الدارس لتطور فن القصة فى المغرب يلاحظ الظواهر الآتية خلال مراحل تطور هذا الفن.

الظاهرة الأولى تأثر فن الرواية والقصة وخاصة القصة القصيرة بالأدب الفرنسى وإن كان هذا التأثر ظهر واضحاً فى الشكل فقط مع احتفاظ المضمون بالجو الاجتماعى والسياسى للمغرب، وظهر واضحاً فى فترة ماقبل الستينات فى ملاحظة قلة الإبداع الأدبى فى هذا الجانب باللغة العربية لأنه - وحتى الآن - لايزال هناك فى المغرب كتّاب يكتبون إبداعهم الأدبى فى الشعر والرواية والقصة باللغة الفرنسية

وأهم رواد هذه الفترة (خناثة بنونه) حيث اهتمت بالشكل اهتماماً كبيراً وخاصة بالأشكال المتطورة لفن القصة مع الاحتفاظ بالموضوع العربى، والإصرار على التعبير عن الذات المغربية.

الظاهرة الثانية، وهى التى صاحبت حدوث تطور جذرى فى القصة المغربية، والتى بدأت فى الستينات حيث أتسمت هذه الفترة برغبة القاص المغربى تقليد الأشكال المستحدثة فى القصة الغربية وإن تنوعت هذه الرغبة بل وأثمرت إبداعا أدبياً مختلفاً إلى حد التناقض، ونشأت نتيجة ذلك عدة مدارس للقصة المغربية أهم تلك المدارس وهى التى تنادى بوجوب الالتزام العربى، والاهتمام بالمواطن العربى فى مختلف الأقطار، قاد هذه المدرسة محمد براده وعبد الكريم غلاب وربيع والزيادى ومحمد شكرى وتطورت هذه المدرسة وخاصة بعد نكسة ١٩٦٧ حيث أرتفع الشعور بالمواطنة العربية.

ونشأت مدارس أخرى حاولت أن تتبنى موقفاً ايدلوجياً تكتب من خلاله، وبالتاكيد حاول الفارس الشيوعى الأحمر أن يركب هذا التيار، بل شد معه مجموعة من فرسان المدرسة الأولى فى محاولة لإكساب شرعية وجوده، ومن خلال هذا الدور كتب محمد براده قصة (اللغو والأصوات) وأيضا

(الراس المتحرك) ولكن يبدو أن التيار الغالب هو الايمان بالمواطنة العربية المغربية.

الظاهرة الثالثة: دخول مجموعة من المفكرين المغاربة ميدان الكتابة الأدبية من أمثال محمد الفاس وعبد الوهاب المنصور وعبد الله الدوس وشعراء أثّروا مفردات اللغة التى حاول الاستعمار خنقها بلغته من أهمهم الصقلي والطنجاوى والخطيبى وغيرهم، وهؤلاء عملوا بتواجدهم الفكرى وبانتاجهم الإبداعى، على سيادة اللغة الجيدة وتأصيلها.

الظاهرة الرابعة، والتى يمكن أن نقول: أنها تغلف هذه الظواهر جميعها هى أن الإبداع الأدبى وخاصة فى القصة يقوم على أساس مبادرات فردية، حيث لاتوجد دور النشر المتخصصة فى هذا المجال والتى يمكن بوجودها، إحداث تيار يؤثر - إما سلباً أو إيجاباً - على حركة الإبداع الأدبى، بما لها من خطة وبرنامج تصنعهما إرادتها، ربما يفسر هذا وجود تيارات مختلفة وكثيرة فى الحياة الأدبية فالأديب يصنع كتابه من أول تأليفه حتى بيعه، إنها حرية فردية مكفولة، حرية مريحة جدا.. ولكنها - أيضاً - مرهقة جداً، ويفسر أيضاً استغراق القصة المغربية فى التشبث بالذات، والدخول فى تفاصيل هذه الذات وإن كانت بعض القصص تميل إلى الخروج عن الذات

لتبحر فى الحياة الاجتماعية لعامة الشعب، وهذه أيضاً تغالى فتصل بنفسها إلى درجة الشكوى أو التقرير الاجتماعى ومع هذا فإن التطور الذى حدث فى القصة المغربية، وخاصة بعد السبعينات، يماثل التطور الذى حدث فى القصة المصرية فى الخمسينات تقريباً، وإن عاب هذا التشبيه تعميمة، لأن هناك مبادرات على المستوى الفردى حققت تطوراً - فى الشكل والمضمون - يماثل ماحدث فى القصة المصرية فى وقتنا الحالى..

واعتقد أنه آن الأوان بعد ثورة الاتصال الإنسانى، أن نعرف عن الأدب فى المغرب كل شئ، لا بعضه، وأسجل هنا أننى وجدت صعوبة وأنا أبحث لكى أقدم هذه الدراسة، ومع هذا حاولت أن أكون دقيقاً، ولكن لو توفرت كل الامكانيات للدارس لكان هذا أفضل، فأن أقرب الطرق إلى الوحدة هى المعرفة وأسرع طرق المعرفة هى القراءة ووسيلة القراءة ومعرفة اللغة.. واللغة واحدة. فهل هذا يكفى؟.

الأسس النفسية للإبداع الفنى فى الرواية

الدكتور: مصرى حنورة

(الأسس النفسية للإبداع الفنى فى الرواية) كتاب الدكتور مصرى عبد الحميد يثير قضية هامة فى مجال لايزال بكراً فى ميدان البحث العلمى عامة وفى ميدان الدراسات النفسية على وجه الخصوص، وهى محاولة أختراق حاجز الظاهر للعقل البشرى، والدخول فى منطقة الإبداع ومراقبة (المبدع) أو مراقبة (عقله) وهو يعمل ليقدم لنا هذه الرواية التى نقرأها فى انبهار.

والقضية قديمة قدم عملية الإبداع الفنى للإنسان، ومع هذا لم تحسم حتى الآن وماتزال معروضة على (محاكم) الأبحاث العلمية ولايزال السؤال مطروحاً يمثل تحدياً للدراسات العلمية بوسائلها المتطورة: وهو كيف يقوم الأديب بإبداع أدبه !

والدكتور مصرى، أراد أن يحصر سؤاله فى نوعية معينة من الإبداع واختار الرواية ميدانا لبحثه، ربما دفعه إلى ذلك

عدة عوامل علمية ولكن، أميل إلى دافع شخصى لدى الباحث، وهو رغبته الاولى فى أن يكون أديبا فهو فى البداية كان أحد فرسان المحاولات الأدبية خلال الستينات، لهذا كان على مقربة من أدباء هذا الجيل.

أختار الباحث للجانب العلمى فى الدراسة، مجموعة من كتاب الرواية من مختلف الاعمار وقدم لهم استمارة استقصاء فى محاولة لمحاصرة الظاهرة النفسية التى يقوم بدراستها والامساك بها بغية تحليلها والوصول إلى وقائعها.

يقول الباحث عن الرواية أنها أحتلت مكانة بارزة بين أجناس الفن. وهو لهذا أهتم بدراستها، ولكنه للأسف لم يحصل على تفسير علمى شامل للظاهرة وأن أستطاع الوصول إلى تطبيق منهج علمى على الظاهرة، أدت إلى توصله إلى مجموعة من النتائج (حول الظاهرة) وليس عن الظاهرة وهى التفسير النفسى لعملية الإبداع اى أنه لم ينجح فى إختراق حاجز الوهم المضروب حول (عملية الإبداع الفنى) إنما نجح فى إزالة بعض الجوانب حول الظاهرة، ونستطيع أن نقول أنه نجح فى رصد الظواهر النفسية والاجتماعية حول (المبدع) ولهذا جاءت نتائج بحثه متفقة مع ميدان هذا البحث، فهو مثلا يقول فى نتائج البحث (أن المبدع الاصيل هو الذى يتمكن من الالتزام بالأصول والقواعد الفنية، ويتمكن فى نفس

الوقت من تجاوزها، إحتضاناً لتطلعات الجماعة ومطالبها وقضاياها) وكل هذه الأمور تخص البيئة الاجتماعية المحيطة بالمبدع ويقول أيضاً، العمل الابداعى لايتم فى فراغ ولا نتصور وجود فرد لاينتمى إلى جماعة تتحمس لبراعته وتقوم من هبوطه وإذا أحس المبدع فى لحظة أنه بلا سند نفسى يتعاطف معه ويتفهم وجهة نظره فإنه حينئذ قد يترك الموقف تلقائيا ودون تردد).

وهذه النتيجة أيضا مثل النتيجة السابقة أن الباحث رصد المظاهر النفسية والاجتماعية من خارج المبدع ولم يستطع اختراق حاجز الظاهر، وبذلك لم يقدم تفسيرا لظاهرة الابداع الفنى - وأن كان بحثه القيم نقطة جديدة للانطلاق نحو هذا المجهول المعلوم عقل الفنان وضبطه فى حالة تلبس !

فى أدب الطفولة ..

د . على الحديدى

يقول الدكتور على الحديدى أستاذ الأدب العربى الحديث، بجامعة عين شمس فى مقدمة كتابة القيم «فى أدب الأطفال»، الطفل العربى بعامه ظل محروما من الأدب الرفيع المؤلف له خاصة قروناً طويلة، والذين يهتمون بالدراسات الأدبية يدركون أن أدب الكبار قد استأثر بأقلام الأدباء وجهود المدونين على درب المسيرة الطويلة من تاريخ الأدب، ولم يلتفتوا إلى (أدب الأطفال).. لا تأليفاً ولاتدويناً ولم يدخل أطفالنا عالم الأدب المكتوب إلا فى العشرينات من هذا القرن.. ومع ذلك لم يدخله إلا قلة قليلة من القادرين منهم على شراء كتب الثقافة والتسلية، أما الكثرة الكاثرة من الأطفال العرب فقد ظلت ترزح فى خيالاتها تحت وطأة المخلفات من القصص الشعبية التى نسخها خيال الكبار بعد أن شوهته عهود الظلم والقهر والجهل والطغيان..

وبهذا القول يثير الدكتور الحديدى قضية من أخطر القضايا التى يجب أن نهتم بدراستها دراسة جادة، إذا كنا - حقا - نريد المساهمة الفعالة فى العام الدولى للطفولة، ذلك أن ماتربى عليه الطفل العربى، ومنذ قرون طويلة، القصص الخرافى الملئ بالرعب والفزع وحكايات أمنا الغولة، وأبى رجل مسلوخة وعفريت العلبة وبدلاً أن يكون «أدب الأطفال» وسيلة لتنمية القدرة للطفل العقلية والروحية كان وسيلة ينفس بها الكبار عن الامهم التى تحيق بهم.. بروايتها للأطفال، وتتوارث «حدوتة الرعب» وتشكل ارثا مأساويا يرزح تحته الطفل العربى، وبدلا من أن يتعلم فنون الحياة يتعلم فنون الهرب من الحياة، ولهذا وجب أولا دراسة مايحكى للأطفال من أقاصيص وحواديت ونتخلص من تلك الحواديت التى تدور حول «المارد وأمنا الغولة وعفريت العلبة» ثم نحاول أن ندرس مايمكن أن يحكى للأطفال أو يكتب من اجلهم. وعلى الرغم من هذه الصورة القائمة التى تحتاج منا إلى شجاعة المناقشة أولا أن بعض أدباء مصر قد أسهموا فى «أدب الأطفال» مساهمة وإن كانت محدودة إلا أنها تثبت أن الكتابة للأطفال ليست نوعا فريدا فى الأدب يكتبه فقط المتخصصون بل هو غاية نبيلة يقصدها الأدباء الذين أدركوا أن الانسان أنما يبدأ طفلا، وأن تثقيف هذا الطفل هو الضمان الوحيد لإيجاد الانسان المثقف.

واول من تنبه لأهمية «تثقيف الطفل» هو «رفاعة رافع الطهطاوى» الذى أدخل قراءة القصص والحكايات فى منهج الدراسة لتلاميذ المرحلة الابتدائية ولكن سرعان ماانتهت هذه المرحلة بوفاة الطهطاوى، الذى كان أول من قدم للأطفال أدبا «مدونا بالعربية» وان كان مترجما من اللغة الانجليزية، ولكنه يعتبر اول من تنبه إلى اهمية هذا الأدب.

امير الشعراء يكتب للأطفال:

عندما سافر احمد شوقى إلى فرنسا واختلط بالشعراء والأدباء وبعد اطلاعه على الأدب بمختلف فروعه، أحس أن هناك لونا من الوان الأدب لم يكن مطروقا فى مصر، وأحس شوقى باهمية هذا اللون الأدبى، وعمل على أن يستكمله، وهذا اللون الذى أحس شوقى باهميته هو «أدب الاطفال» الذى ساهم فيه مساهمة كبيرة، وأن كان قد ترجم معظم حكاياته التى صاغها شعراء عن قصص الأديب «لافونتين» وظل أحمد شوقى يساهم فى خلق ادب الأطفال فى حماس زائد حتى انه دعا زميله خليل مطران للمساهمة معه فى هذا المضمار ويقول شوقى فى مقدمة الطبعة الاولى للشوقيات «وجربت خاطرى فى نظم الحكايات على أسلوب» لافونتين الشهير.. فكنت إذا فرغت من وضع اسطورتين او ثلاث أجتمع باحداث المصريين واقرأ عليهم شيئا منها فيفهمونه لأول وهلة ويأنسون إليه ويضحكون

من أكثره، وأنا استبشر لذلك، وأتمنى لو وفقنى الله لأجعل للأطفال المصريين مثلما جعل الشعراء للأطفال فى البلاد المستحدثة.. منظومات قريبة التناول يأخذون الحكمة والأدب من خلالها على قدر عقولهم، ومات شوقى بعد أن ترك لنا عالما بهيجا من القصص على لسان الحيوان والجماد كان يرويها للأطفال، مثل قصة الكلب والحمامة التى يقول فيها:

يقال، كان الكلب ذات يوم، بين الرياض غارقا فى النوم، فجاء من ورائه الثعبان، منتفخا كأنه الشيطان. أو فكاهته عن الحمار الذى سقط من سفينة نوح.

سقط الحمار منِ السفينة فى الدجى، فبكى الرفاق لفقده وترحموا، حتى إذا طلع النهار أتت به، نحو السفينة موجه تتقدم، قالت خذوه كما أتانى سالما، لم أبتلعه لأنه لايهضم.

ادب أطفال.. تضحية:

ذهبت أمانى شوقى فى خلق أدب للأطفال مع رياح لم ترحب بوجود هذا اللون من الأدب، واعتبر من يكتب للأطفال ضعيفا لايستطيع الكتابة للكبار ولايحصل على مكانة أدبية مرموقة لهذا السبب، ولهذا انصرف الأدباء من هذا الميدان خوفا من هذا العار حتى أن الأديب محمد الهوارى، الذى يعتبر أول من تخصص فى الكتابة للأطفال اتهموه بقلة الحيلة،

لكن الهوارى واصل هذا العمل وتصدى له.. حتى جاء كامل كيلانى الذى تربع على هذا العرش وكتب مكتبة الطفل فى أكثر من مائتى قصة ومسرحية ولم يتوقف حتى توفى عام ١٩٥٩.

وإذا كان كامل كيلانى يعتبر الأب الشرعى لأدب الأطفال فإن «محمد سعيد العريان» قد أستطاع أن يجعل الدولة تعترف رسميا بأدب الأطفال ويقول عنه الدكتور على الحديدى «أن كتابته للأطفال وهو أديب يكتب للكبار».. غيرت من نظرة الأدباء والجمهور إلى أدب الأطفال وإلى الكاتبين لهم».

الحكيم.. يكتب للأطفال..

وتوفيق الحكيم كعادته فى فن الريادة للجديد قد كتب أيضا للأطفال لكى يؤكد أن الكتابة للأطفال ليست تقليلا من شأن الكاتب، بل هى فى أهمية الكتابة الأدبية عامة، وأن كان ماكتبه للأطفال بالنسبة لأعماله الأدبية الأخرى.. قليل، إلا أنه يعتبر قد ساهم فى هذا الميدان مساهمة الرائد.

الملاخ.. وفن الكتابة للأطفال

من يقرأ «بهلوان السيرك»، «الحلم الأحمر»، «أحمس قاهر الهكسوس»، وغيرها من الكتب التى كتبها كمال الملاخ، فإنه سوف يكتشف أن الموهبة الحقيقية لكمال الملاخ هى الكتابة

للأطفال ذلك لأنه أنطلق فى مجال الأدب للأطفال يكتب ما يجب أن يقرأه أطفال اليوم..

ومع هذا فإن هذا القدر من أدب الأطفال الذى ذكرناه لايبلغ مطلقا حد الكفاف بالنسبة لما نبغيه من الكتابة للطفل، وأن الأمانى لاتخلق إلا الأحلام ولاتكفى - وحدها - للحصول على نتائج عملية فإن تخليص العقول - عقول الكبار - من سيطرة عالم الرجل واعتباره الأهم وأن عالم الطفل يكفيه التدليل على اعتبار انه مجرد زينة الحياة الدنيا، هو بداية الطريق نحو تحقيق نهضة ثقافية فى عالم الأطفال كما أن تخليص حواديت الأطفال من عقلة الصباع وامنا الغولة، والعسكرى الأحمر هو بداية الطريق لتحقيق المثل القديم «التعليم فى الصغر كالنقش على الحجر».

البناء اللفظى فى لزوميات أبى العلاء

د. مصطفى السعدنى

كثيراً ما رددنا أشعار أبى العلاء، واستهوانا تناغمها. وانسيابها أحيانا فى عذوبة كجدول ماء رقراق. واندفاعها أحيانا أخرى كسقوط قطع الصخر من أعلى الجبل وخلال تلك الحركة تحس أنك أمام عالم خاص له قواعده وله (لزومياته). وقد حاولت من قبل النظر فى أمر شعر أبى العلاء ولكنى لم أستمر وإن كنت دائماً أشعر أنه (شعر درامى) بمعنى اقترابه من الحبكة القصصية. ففى القصيدة الواحدة صراع حاد يدور بين مجموعة من الأطراف بل فى البيت الواحد تجد أنك أمام حالة من حالات الإزدواجية المتصارعة. الأمر الذى يجعلك تشعر أنك أمام كاتب (درامى) يكتب معاركه شعرا..

وقد أسعدنى أن أجد فى كتاب الدكتور - مصطفى السعدنى والذى صدر حديثا بعنوان (البناء اللفظى فى لزوميات أبى العلاء) ماأردت الوصول إليه وأبو العلاء لم يكتب

الشـعـر إلا من خـلال عـالم نفـسى واسـع مـضـطرب مملوء بالأحـاسـيس التى تحـتـاج إلى جـهـود علمـاء النفس لكشف نبوغها وخاصة فى لزومياته.

وكتـاب الدكـتـور السـعـدنى تركـيـزعلى ضرورة دراسـة اللزومـيـات عند أبى العـلاء ـ ومدى تـعـبيرها عن فكره وعـالمه الخـاص. ويقول السـعدنـى فى كتـابه (وقد أعلن التزامـه بقواعد فرضـهـا على نفسـه بإختيـاره هو كالقافـية والمزدوجة قافـية الروى. وقافية ألزم نفسه بها تأتى قبل الروى وقد تخللها ألف التـأسـيس وباء الوصل، كمـا التـزم بأنه يأتى لكل حـرف من حروف المـعـجم مـجـموعة من القصـائد والمقطعات والتـزم بأن تكون القافية فى كل حرف مرفوعة حينا ـ مجرورة حينا، ساكنة حينا.. فجاءت فصـول اللزوميات فى مائة وثلاثة عشر فصلا. هذا ما أعلنه فى مقدمته للزوميات. أما ما لم يعلنه من الكلف فكثير..)

وقـد أهتم المؤلف بدراسـة البنيـة الصـوتيـة فى اللزومـيـات ودراسـة الصلة بين الأصـوات والانفـعـال الانسـانى من ناحيـة وبين الصـوت وارتبـاطه بـالأذن كوسـيلة تعويضية عن فـقد أبى العـلاء لبصـره من ناحـية أخرى وتوصـل المؤلف إلى أن النص الشعرى فى اللزوميات بنيه مركبة لايحاكى الواقع أنما يوازيه.

وان هذا النص ليس إلا وحدة مركبة نتج بناؤها عن تفاعل خاص بين عناصر عديدة منها مايتصل بالتكوين النفسى ومايتصل بالتكوين الخلقى وغير ذلك من المؤشرات الثقافية.

وكتاب الدكتور السعدنى مقسم إلى ثلاثة أقسام. اولها يقتصر على التعريف باللزوميات وشرحها وتقسيمها والقسم الثانى يدور حول الثروة اللفظية عند أبى العلاء ومصادرها وتحليل هذه المصادر مع دراسة جيدة فى البنية الأسلوبية وكذلك دراسة تاريخية واجتماعية لحياة شيخ الشعراء. أما القسم الثالث والأخير فقد تركز حول ماأسماه بالضرورة الشعرية وهو أهم اقسام الكتاب. ففيه دراسة جيدة وطريفه لفكر ابى العلاء وخصائص شعره فى اللزوميات وتحليل علمى لراى المؤلف حول لجوء ابى العلاء إلى الضرورة ويرد فى حجته الرأى المعارض لرأيه، ويبرهن على صدق ماذهب إليه..

وأن كان الكتاب به بعض النقص فى شرح النماذج التى اتى بها وان كان به ايضا عيب شاع كثيرا فى مؤلفات هذه الأيام وهو كثرة الأخطاء فى الطباعة إلا أنه دراسة جديدة وجيدة. استطاع بها المؤلف الدكتور مصطفى السعدنى أن يقدم بحثا بكرا يتسم بالجده والطرافة فى النهج والأسلوب. ويعد أضافة حقيقية فى مجال الدراسات الأدبية عامة والأسلوبية خاصة.

ملحمة السيد

ترجمة الدكتور: الطاهر مكى

يثير الدكتور الطاهر أحمد مكى خلال مقدمته لترجمة «ملحمة السيد» والتى ترجمها عن اللغة القشتالية. قضية فى غاية الخطورة وهى أننا لم نخرج من الأندلس. وملحمة السيد التى نشير إليها عبارة عن رواية شعرية طويلة تمثل فارس أندلسى. هو خليط من امتزاج الدم العربى والدم الأسبانى يصارع الشر فى كل مكان وينتصر للخير. ويقول الطاهر مكى فى مقدمته: أن الصراع فى الأندلس لم يكن بين العرب والأسبان ذلك لأن ماتكون بعد الفتح العربى هو شعب الأندلس الذين هم من أصل أسبانى وتحولوا إلى الاسلام وعاشوا مع العرب الذين هم قلة ولكنهم كانوا الأقوى فى الحكم وفى العلم وفى السيادة.

ويقول الطاهر مكى لم يكن سكان الأندلس عرباً بالدم أنما كانوا خليطاً عجيباً لايمثل العرب فى داخله إلا اليسير. أما

الكثرة الغالبة فكانت تنتمى إلى أقوام آخرين ولم تكن الأندلس مستعمرة تابعة للخليفة فى دمشق إلا على امتداد - وفقا للدراسة التاريخية الثابتة - خمسة وأربعين عاما فحسب. وفيما بعدها كانت دولة مستقلة.

ويقول وأن الصراع على امتداد القرون التسعة وحتى أزيد قليلا لم يكن بين العرب والأسبان. وإنما كان من الأندلسيين المسلمين، والأندلسيين المسيحيين، ولقد كان الأندلسيون المسيحيون يعرفون أنهم يقاتلون شركاء لهم فى الوطن يختلفون معهم فى الدين.

ويقول الدكتور الطاهر مكي: اما تصوير العرب بأنهم غزاة وأنهم احتلوا أسبانيا وأقاموا فيها محتلين حتى جمع الأسبان شملهم وألقوا بهم فى البحر، فشئ صنعه رجال الدين الكاثوليك فيما بعد انتصار المسيحيين على المسلمين عندما نشأت القوميات فى أوروبا ولم يعد الدين يلعب الدور الأول وغير كاف وحده لإثارة العامة فاقتضى سد المنافذ أمام الاسلام بوصفه دينا، أن يصور للجماهير على أنه دين العرب المستعمرين وأرضت الفكرة - وصيغت فى مهارة فائقة - الغرور العربى، فاطمأن إليها. أن دخول العرب إلى الأندلس فى البداية بقيادة طارق بن زياد على رأس جيش مكون من أثنى عشر الف جندى لم يكن دخولا كثيفا وخاصة وأن جيش

الملك لذريق يزيد عن مائة ألف ومعنى هذا أن انتصار اثنى عشر على مائة، يعد من باب البطولة المطلقة. ويفسره المؤرخون بأبواب كثيرة منها أن أهل «ايبريا» الذين تكون منهم بعد ذلك شعب الأندلس لم يكن مع لذريق الملك الغاضب وأنهم رحبوا بجند العرب وهكذا امتزج الجيش الفاتح بما توالت عليه من امدادات من الشعب، شعب شبه جزيرة أيبريا واختلط العرب بهؤلاء وكونوا أهل الأندلس، الذى أستمر قروناً طويلة ولكن كانت جرثومة الاختلاف والتناحر موجوده داخل نفوسهم فالعرب لم ينسوا خلافاتهم القبلية فهؤلاء عرب الشمال وهؤلاء عرب الجنوب وأهل شبه الجزيرة لم ينسوا هم أيضا خلافاتهم القبلية كما لم يكفوا عن اختلاق الاف الأسباب للتناحر ومن أهل شبة الجزيرة من أسلم واندمج فى المجتمع الأندلسى الاسلامى واصبح منه، ومنهم من بقى على دينه ويصعب الفصل بعد مضى أكثر من تسعة قرون بين أجناسهم وأصولهم فقد اختلطوا وامتزجوا وكونوا شعباً كاملاً له حضارته ووجدانه وجاء الصراع على مصالح دنيوية انتصر فيها من كانت تسانده القوة وتغيرت الرايات ولكن بقى أهل الاندلس.

الارادة..

د. يوسف ادريس

يقول يوسف إدريس كلمة واحدة في كتابة كله، جعلها عنواناً للكتاب، وهدفاً يسعى إليه من خلال سطوره. وتحسس بكلماته كل جوانبها. لم يترك تفسيراً إلا وسعى إليه لكي يجلوها ويظهرها.. رائعة الحسن، والأمل يداعبه أن يغرزها في قلب كل مواطن، وهي (الإرادة)، يقول (الإنسان إرادة، الانسان انسان فقط حين يريد، أي في تلك اللحظات التي تتكون له الإرادة فيها، ليس مهما ماذا أراد أو يريد وأنما المهم أولا وقبل أى شئ آخر أنه انسان لأنه دوناً عن كافة الجماد والمخلوقات كائن ذو إرادة) ثم يقول مفسراً وإذا كان الانسان ارادة، فالإرادة أولاً قرار.

وكان كلمة الإرادة هي اللحن الأساسي الذي يعزف عليه كل أغنيات الكتاب، فهو عندما يتحدث عن تجربته عندما كان يعالج من مرض في قلبه، فإن الأمر في أوله إرادة، إرادة أن

تعيش، وأن تحارب وأن تنتصر، حتى ولو كان الأمر يتعلق بقرار إجراء عملية جراحية، كما أن الأمر فى آخره إرادة أيضا، فالمجتمع الذى يريد، هو الذى صنع القرار، والذى يصنع القرار هو المنتصر كما يقول دكتور يوسف إدريس. وقد أحجم يوسف إدريس فى كتابه عن تقديم تجربته الشخصية والتى عاشها فى عمق الأديب الطبيب الذى يتعرض لأخطر أمراض العصر الحديث، ولم يقدم منها إلا ماكان كافياً لكى يبرر - على المستوى الشخصى - أهمية الإرادة، مع أن هذه التجربة لها من الإثارة لدى الكاتب الحد الكافى لكى يندفع معها مسجلا كل دقائقها شارحا كل تفاصيلها، ولكن يبدو أن أمر (الإرادة) الذى كان يشغل الكاتب، وكذلك إحساسه بأنه إذا كتب تجربته الشخصية فربما يضايق القارئ جعله يسرد منها القليل ويسرع فيتخلص منها لكى يتفرغ من الإرادة على المستوى الشخصى الذى قدم نفسه كنموذج للانسان المصرى، ثم أنتقل إلى «الإرادة» عند الجماعات سواء فى مصر أو فى بلاد أخرى، ثم «الإرادة» لدى الدول، والدول الكبرى على وجه التحديد.

فإنه إذا تحدث عن التعليم، أو النظافة أو الحرب، أو السياسة يرجع الأمر كله إلى الإرادة، فالتعليم بكل مراحله لايفيد إلا إذا كان أساسه الإرادة، وقدم لذلك نماذج عديدة

لاطباء حاولوا ان ينفذوا خلال مدارج العمل فى الجامعات ولكنهم فشلوا ولم يتسرب اليأس إلى قلوبهم وراحوا يشقون طريقهم فى الجامعات الاخرى، وإذا بهم أساتذة أجلاء ينفرد كل منهم بعلمه، متربعاً على عرش هذا العلم فى العالم كله، ولم يكن خلف هؤلاء العباقرة (مارد الحظ) الذى كثيراً مانعلق عليه الآمال، بل كانت معهم الإرادة والإرادة أيضا تدخل فى كل طرق حياتنا، تشعر وأنت تقرأ هذا الكتاب برغم أنه كتب على اساس مجموعة مقالات نشرت على مدى مساحة زمنية كبيرة، إلا أنه يتدفق فى حيوية، وعنف وكأنه مقال واحد يأخذك من أول كلمة لآخر كلمة، يشدك، يعانقك، يقسو عليك، يهدهدك ويطيب خاطرك، ولكنه أبدا لايهدأ ولايهاون، يوجعه «التوقف»، «الانتظار»، «التمهل» لقد ضاق الكاتب بهذا الحذر الذى تسرب إلى النفس فراح يهزها فى عنف أملاً أن نصحو فنندفع إلى الامام.

ومن هذا الاندفاع الذى يريده الكاتب، والذى يتمسك به أساساً لاندفاع الإرادة الانسانية ووجودها، يراه فى بلاد مثل امريكا فلا يعجبه، تبهره الحركة فى أول الامر، ثم إذا به يكشف «مشكلة المواطن الامريكى هى بالدرجة الأولى مشكلة أمن.. تزلزل الأمن فى أغنى قارات العالم، ومنذ أن تغلق عليك باب حجرة الفندق تجد التعليمات واضحة وصريحة ومشددة.

لاتحمل نقودا.. لاتمشى بمفردك ليلا أن إرادة الانسان الأمريكى لايمكن ان تكون كاملة طالما هو مهدد بهذا الشكل، فالأمن إرادة وهو أيضا الذى يتيح للإرادة أن تُعَبِّر عن نفسها، وكل التفسيرات التى دار حولها الكاتب بخصوص فضيحة ووترجيت أو فضائح الكونجرس أو التعديل الذى طرأ على السياسة، كان يظهر واضحا وجه الإرادة الانسانية.

وإذا كان هذا هو الأمر فى المجتمع الرأسمالى التنافسى، فماذا عن المجتمع الشيوعى، يقول دكتور إدريس التجربة الرأسمالية الامريكية خلقت على طول تاريخها آلافاً من الاختراعات الاجتماعية الصغيرة والكبيرة، اختراعات لم يصنعها النظام بطبيعة الحال ولكن صنعها أولاً وأخيراً الانسان، والمركزية مرض بغيض من أمراض الاشتراكية فلو كنت عاملا أو مهندسا فى مصنع وأخترعت اختراعا صغيرا أم كبيرا لتسهيل العمل أو تغييره، فالمصنع لايستطيع أن يطبق اختراعى فورا، لابد وأن يمر الاختراع على لجان أعلى وأعلى حتى يوافق المركز فى النهاية عليه ثم يعود نفس الرحلة ليطبق، بمعنى أن المركز فى «الاشتراكية» هو الذى يفكر للنظام، وهو المفكر الأوحد.

ولكن كيف تكون الإرادة كاملة، الإرادة التى ينادى بها يوسف إدريس يجيب فى آخر كتابة الممتع حقاً «الحياة أولا

واساسا إرادة الحياة... إرادة الحياة ولا رغبة بلا (أمل) فى الحياة.. بمعنى أن الحياة هى (الأمل) المستمر فى الحياة والبقاء».

ومصر كما يركز دكتور يوسف إدريس فى كتابه، هى أولاً وأخيراً أرض الإرادة، لأنها صنعت التاريخ الانسانى والحضارة البشرية، وأن داهمها بعض الركوض فإن الأمر يحتاج إلى إرادة التحرك لأن (شمس الحياة من صنع الانسان، ليس الانسان الواحد، وإنما كل انسان، والنور نورنا كلنا حين يساهم كل منا بشمعته».. وبدلاً من أن نلعن الشمعة الواحدة الموقدة، نتعلم كيف نوقد نحن شمعتنا، وباستطاعة كل منا لو أراد أن يوقد شمعته.

ونصل إلى نهاية الكتاب فإذا بنا أمام جملة فى غاية التفاؤل والأمل، وهو مايسبق الإرادة، والتى مسحت عنا كل هموم مشاكلنا لنندفع - معا - لصنع مجتمعنا مجتمع الحب والأمل والإرادة القوية (حتى الشمس لاتشرق فجأة.. بالتدريج نصنعها (الإرادة)، وسنصنعها.

الاسلام فى شعر حمام

دكتور : طاهر عبد اللطيف

صديقى الدكتور طاهر عبد اللطيف عوض، الأستاذ بكلية الدراسات الاسلامية شديد الولع بالشاعر المرحوم، خفيف الظل والروح، محمد مصطفى حمام، وظل يردد أشعاره حتى الف عن هذه الأشعار كتابا كبيرا يقع فى أكثر من مائتى صفحة من القطع الكبير.

وطاهر عبد اللطيف دارس للأدب، عاشق له، يحاول جاهدا أن يلم بالأدب وخاصة الأدب الاسلامى، فهو يقدم للمطبعة كل عام كتاباً جديداً عن الأدب الاسلامى يشرح فيه آراءه حول الأدب الاسلامى وبالاضافة إلى كونه أستاذاً بكلية الدراسات الأسلامية، فإنه شاعر وكاتب أديب، متذوق للإبداع الأدبى بكل صوره وألوانه.

نعود إلى الشاعر حمام، (لنراه من خلال عيون عاشق له، كابد دراسة ديوانه لمدة عامين كاملين، وعايش أشعاره وخرج

علينا بهذا الكتاب، الذى يحمل عنوان (الاسلام فى شعر حمام)، حاول فيه الدكتور طاهر عبد اللطيف أن يوضح الجانب الاسلامى فى شعر حمام الذى ولد فى عام ١٩٠٦ وعاش حياة حافلة بالنضال، والصراحة وقول الحق ويبدأ الدكتور طاهر بتقديم أشعار حمام حول تفتت الأمة منها هذه الأبيات

* فى زحمة الآمال والآلام

وتداول الأحداث والأيام

* وتحالف النزعات، تلك تقودنا

للصالحات وتلك للآثام

* المسلمون كما اراهم قنع

ببقية بقيت من الاسلام

ورغم تلك الحكمة والإحساس بالمسئولية التى تجدها فى شعر حمام إلا أنه كان يميل إلى الفكاهة والمرح والسخرية حتى من نفسه وكان من ظرفاء عصره، أو كما يقول هو

* نعيش فيها بلا هم تؤرقنا

أشباحه السود بالهجران والنقم

كان حمام، يسخر من كل شئ، ومن أى شئ، ولكن بظرف يليق بشاعر جيد، فهو الذى قال:

* لما قصدت البنك أطلب سلفة

قالوا: ابتعد فالبنك لايتصدق

هل من كريم أرتجيه لورطتى

سمح اليدين إلى المكارم يسبق

وكان الناس، لايعطونه، لا عن بخل، بل طلبا للمزيد من أشعاره فكأن شعره قد جنى عليه، فلا هو أغناه عن السؤال، ولا السؤال به در عليه مالاً.

وهكذا، أنشأ حمام مؤسسة كبرى سماها، المضحكانة الكبرى، وهى تسعى إلى الضحك من أجل التغلب على مصاعب الحياة.

ورغم كل هذه السخرية التى عاش بها حمام، إلا أنه ظل طوال حياته، يقول الشعر الجيد، القريب إلى التصوف، فقد كان ثرى الفؤاد بإيمانه، فظل متمسكا به رغم كل صنوف الضيق التى مرت به

صور من الشرق والغرب

كتاب لم ينشر

كامل كيلانى

هو كتاب للمرحوم الأديب كامل كيلانى، لم ينشر هذا الكتاب بعد، وأول من لفت إليه الأنظار الدكتور عبدالمنعم خفاجى فى كتابه عن الأدب العربى الحديث وخلال حديثه عن صديقه كامل كيلانى.

وكتاب كامل كيلانى، يعد من أهم الأبحاث والدراسات التى نحن بحاجة إليها الآن، فهو يحتوى على ١٨٠٠ صورة من الآداب الغربية وما يقابلها فى الأدب العربى وقد اكتشف كامل كيلانى مؤلف الكتاب أن هناك ما يزيد عن خمسة وعشرين صورة أدبية فى الأدب العربى لا نظير لها ولا مثيل فى الآداب الغربية ولا فى الآداب العالمية الأخرى.

وهذا الكتاب يجب الاهتمام بنشره ليس لمجرد التباهى أو التفاخر ولكن لعدة أسباب.. السبب الأول: هو ضرورة الاهتمام

بكتب ودراسات هذا العالم الجليل والأديب كامل كيلانى، وثانياً: لأن أعمال هذا الأديب العظيم نتيجة ثقافته الموسوعية العالية تعد زخيرة للمكتبة العربية لا يحق لنا الإهمال فيها، وثالثاً: موضوع الكتاب وهو موضوع جديد فى المكتبة العربية.

لقد ظل كامل كيلانى بعيداً عن الشهرة عازفاً عن الاتصال بالجماهير ووسائل الإعلام، حتى توفاه الله فى التاسع من أكتوبر عام ١٩٥٩م بعد أن ترك إرثاً أدبياً كبيراً لأمتنا العربية. والبعض يتوهم إن كامل كيلانى مجرد مؤلف أطفال وأن معظم اهتماماته كانت محصورة فى تأليف قصص الأطفال، وليس هذا صحيحاً، ان كتب الأطفال تمثل مجرد صورة من صور عبقرية هذا الكاتب المبدع. وإن كانت تعد من أجمل ما كتب للأطفال، حتى صار كامل كيلانى عالماً ورائداً للكتابة للأطفال.

ولد كامل كيلانى فى العشرين من أكتوبر عام ١٨٩٧م، وفى عامه العاشر كان يحفظ ألف بيت من الشعر بالإضافة إلى ألفية ابن مالك، وعندما بلغ العشرين من عمره ـ أصدر صحيفة أدبية باسم «الرجاء» كان يشترك فى تحريرها معه مجموعة من شعراء وكتّاب من أمثال المويلحى والبشرى والعقاد وغيرهم.

ثم بدأ يهتم بالدراسات الأدبية، فقدم كتابه القيم «نظرات في تاريخ الأدب الأندلسي» عام ١٩٢٤، ثم مصارع الخلفاء، وذكريات الأقطار الشقيقة، وموازين النقد الأدبي، وغيرها.

وأحب كامل كيلاني الشاعر الكبير أبي العلاء المعري، وعشق أعماله ـ فقدم المكتبة العلائية. وتنوعت وتعددت مؤلفات كامل كيلاني، حتى أنه ألف في كل شيء ساعده في ذلك هذا التنوع الهائل في ثقافته، والقدرة على البحث والتعمق، وله العديد من المواقف التي تدلل على مدى حرصه على الدقة في البحث.

ونعود إلى كتابه الذي لم ينشر بعد، لكي نطالب وبشدة بنشر هذا الكتاب القيم، حتى نستفيد به.

الشعر الغامض فى الإسلام
وتطور الشعر الصوفى
للدكتورة : أنميرى شيميل

هذا الكتاب ارشدنى إليه الزميل محمد عبدالسلام، فقد قدم لى ملخصاً عاماً عنه، عندما فكرنا فى إنشاء قسم لترجمة أهم الكتب العالمية فى دار الفكر التى تتبع جريدة الحياة، ونام المشروع لقلة الموارد، ونام معه ملخصات عدة كتب والكتب ذاتها. حتى وجدتنى ذات يوم أنقب فى أدراجى وأقرأ تلك الكتب، أعجبنى قليل منها، ورأيت أن أضمن كتابى هذا عرضاً لهذا (القليل) الذى أعجبنى ومنه كتاب (الشعر الغامض).

والمؤلفة أنميرى شيميل تعد من أشهر العلماء الألمان المتخصصين فى الشعر العربى ولعل أستاذنا شوقى ضيف قد أشار إلى بعض جهودها فى هذا الميدان، كما أن لها إنتاجاً غزيراً حول الشعر العربى ودراساته، وهذا الكتاب الذى بين أيدينا من نشر جامعة كولومبيا يعد واحد من عشرات الكتب

التى نشرت للمؤلفة الباحثة، كما أن أشهر مراكز النشر فى العالم تهتم اهتماماً خاصاً بمؤلفات دكتورة شيميل وخاصة مؤلفاتها فى الشعر العربى.

والدكتورة شيميل لها أبحاث، ليس فقط في الشعر العربى، إنما لها أيضاً أبحاثاً منشورة فى الشعر التركى والفارسى والأوردى. وقد نشرت تلك الأبحاث باللغتين الألمانية والإنجليزية، ولكن ما حكاية (الشعر الغامض) هذه؟ وهو السؤال الذى جعلنى اقرأ الكتاب، لأننى كنت أفهم أنه الشعر الصوفى عامة، ولكن بعد أن قرات كتاب دكتورة شيميل وبالذات عباراتها التى تقول: (إننى وقعت فى عشق أبدى لهذا النوع من الشعر العربى الذى يتسم بالغموض، خاصة عندما يجسد العشق الإلهى كما فعل شعراء الصوفية).

أى أن الشعر الصوفى جزء من الشعر الغامض، وإن كانت الترجمة لا تسعفنا بمعنى اكثر دقة.

والكتاب يحتوى على مقدمة وثلاثة أجزاء، وفى المقدمة حاولت المؤلفة إلقاء الضوء على الشعر الغامض فى كل من الأدب العربى والفارسى، ثم تعرضت (لشعر المديح) على أساس أنه أهم منبع للشعر الصوفى، وهى الأشعار التى نظمت فى مدح رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ونظم في حضرة الرسول محمد

عليه الصلاة والسلام (شعر المديح):

في الجزء الأول من الكتاب تتبعت المؤلفة اهتمامات الفكر الغربي للشعر الإسلامي الغامض، ملقية الضوء على طبيعة هذا الشعر في لغته المجازية والاستعمارية وكيف أن الفكر الغربي أخفق في عدم التوصل لفهم وإدراك هذه اللغة الشعرية التي تتسم بغزارة التوتر بين المحسوس وما فوق المحسوس. وتتبعت أيضاً بالشرح والتحليل الشعر الذي تتغنى به فرق الصوفية، وقالت: إن مثل هذا الشعر لم يأخذ حظه للآن في اهتمام الدارسين والباحثين من الغرب، وإن الشعر الذي نظم في حضرة الرسول محمد عليه الصلاة والسلام يميز الشعر الإسلامي دون سواه من شعر الغموض الآخر الذي كتب في ديانات أخرى.

يتميز الجزء الثاني من الكتاب بشرح وافي لمسيرة الشعر الإسلامي الغامض من وجهة نظر المؤلفة وتطوره حتى القرن التاسع عشر، بادئه بقصائد الزهد الشعرية التي نسبت إلى (ذي النون)، وقالت: إن الشعر الصوفي يتميز بالمتعة الخالدة ومعاناة الإنسان في حبه لخالقه الأعظم، كما يتميز أيضاً ببلوغ بعض العبارات القرآنية إلى ذروتها في لغة الصوفية، وبلوغ

الجمال وروعة العشق الإلهى، والرغبة فى عدم الإفصاح عن اسم المعشوق لديهم، وإن كل هذه الخصائص بلغت ذروتها فى قصائد الحلاج الشعرية الذى بلغ الشعر الصوفى على يديه أوج قمته ومجده، بل يمكن القول: إن الحلاج أول من سقط شهيداً ضحية للتصوف والعشق الإلهى حيث تم إعدامه على أيدى معارضيه.

وقد أيدت المؤلفة رأيها باستجلاب صور وقصائد شعرية ضمنتها هذا الجزء لكل من (ذى النون ـ والحلاج).

يتناول الجزء الثالث انتعاش الشعر الغامض وازدهاره مرة أخرى فى القرن الثالث عشر وأطلقت عليه قرن الصوفية العظيم الذى شهد ظهور أعظم أساتذة الصوفية كما تقول، مثل الشاعر (ابن عربى) و(ابن الفريد)، وقد ترك هذان الشاعران آثاراً مبدعة تتسم بالعبقرية لمسيرة الشعر الغامض بعدهما. ثم تتدرج المؤلفة بعد ذلك إلى أن تصل القرن الثامن عشر فى مسيرتها نحو تطور هذا الشعر، وتبدأ فى مناقشة الأعمال الشعرية (للنابلسى) الذى لمسته يد التطور وتشرح كيف أن الغموض عنده قد تطور بما يناسب طبيعة عصره. وتضيف قائلة: «إن عناصر الشعر الغامض قد تطورت بعد ذلك إلى ما يسمى بشعر الاغتراب أو التغريب». وأن حدة الاغتراب قد

ازدادت على أيدى شعراء الغموض فى العصر الحديث أمثال: (البياتى ـ وصلاح عبدالصبور). وتستمر المؤلفة فى وصف المعاناة الوجدانية التى لاقاها شعراء العصر الحديث فى الحب أو البحث عنه قائلة: «إن الحب من وجهة نظرهم لا يقتصر على حب الحبيب لحبيبته فقط لكنه يتعداه إلى عناصر الطبيعة الكونية.. أى بمعنى الحب الشامل للكائنات الحية وأساسها الإنسان والطبيعة واحتدام الصراع بينهما. وأن العناصر التى استخدموها للتعبير عن معاناتهم فى الحب شملت كل ما يوجد فى الكون من إنسان وأشجار وأزهار ونجوم وأقمار، حتى الأحجار والرمال لم تنجُ من شعرهم وانسابت مع أنغامهم الأنهار والجداول. وغردت معهم طيور وبلابل، واهتزت لهم زلازل وتزحزحت جبال من فرط ما تنوء به ظهورهم من كبد المعاناة الوجدانية. وهكذا تطور الشعر العربى الغامض على أيديهم إلى صوفية عصرية من نوع آخر تغرق فى القضايا الإنسانية وتنشد بلوغ الحق والخير والجمال الذى يؤدى فى النهاية إلى بلوغ العشق الإلهى، كما بلغه من قبلهم سلف شعراء الصوفية بصورة تناسب قضايا عصرهم، أمثال الحلاج، وابن عربى، وابن الفريد، وابن الفارض.

والكتاب على هذا النحو، يعد جديداً من وجهة الدراسات الأوروبية للشعر العربى وللمؤلفة الحق فى عشق هذا الشعر

إلى هذا الحد وإن كان لنا بعض التحفظات على قليل من إشاراتها وقليل من النتائج التى توصلت إليها، ولعل قارئ كتابها من المتخصصين فى هذا المجال يلحظ دون عناء هذا، وإن كان الكتاب فى عموميته يعد دراسة علمية جادة لهذا الشعر الذى يعد أجمل ألوان الشعر فى كل اللغات.

حاطب .. ليل ضجر ..

تأليف : عبدالعزيز التويجرى

يذكرني أسلوب عبدالعزيز التويجري بالتركيب اللغوي الصعب عند الشاعر أبي العلاء. فقد استعنت في العام الماضي بكتاب الدكتور مصطفى السعدني عن لزوميات أبي العلاء لفهم ما كتب هذا الشاعر الكبير الذي يقول عنه طه حسين في كتابه (صوت أبي العلاء) «فلو قد نشرت اللزوميات في عامة المثقفين لما فهمها أكثرهم، لأن أبا العلاء لم ينشئ اللزوميات لعامة المثقفين، بل لست أدري لعله أن يكون قد أنشأها لنفسه. وللذين يرقون إلى طبقته من أصحاب العلم الكثير والبصيرة النافذة».

وعبدالعزيز التويجري في كتبه التي نشرها حتى الآن من أول كتابه (في أثر المتنبي بين اليمامة والدهناء) المنشور عام ١٩٨٢م إلى آخر كتاب منشور له باسم (حاطب ليل ضجر) الجزء الثاني، يذكرنا بهذا المسلك الذي سلكه من قبل شاعرنا

العربى، فهو ينشد التركيب اللغوى الصعب وفى نفس الوقت يحاول توصيل أكثر الأفكار حاجة إلى عمل العقل، بل ولا يكفى مجرد التأمل لكى نتواصل مع تلك الأفكار، بل نحن فى مسيس الحاجة إلى المعرفة العميقة بكل تراث الإنسانية قبل أن نغوص مع الكاتب فى بحر أدبه وعلمه.

ورغم أن كتاب (حاطب ليل ضجر) بجزءيه يتناول السيرة الذاتية للكاتب سيرة الإنسان من الداخل، وسيرة المكان والزمان، إن صح لنا استخدام هذا المصطلح فإن تدفق الكاتب وسعة محصلته اللغوية والعلمية، تجعل من ذلك الكتاب، دائرة معارف فى العلوم الإنسانية، جعلت الدكتور زكى نجيب محمود يقول فى مقدمة الكتاب: (إننى أشعر شعوراً قوياً امام هذا الكاتب بأنه فريد متفرد فى طريقة اغترافه لخواطره من سابق خبرته). ويقول أيضاً: (إذا كان غيره قد استخدم الأصباغ المجلوبة ليزين بها الفاظه وعباراته فهذا الكاتب يقدم إليك حديثاً اقوى ما يكون الحديث وجمالاً فى اللفظ أرفع ما يكون الجمال).. إلى أن يقول: (وبرغم ذلك العسر كله فى توليد المعانى من المعانى فلم يكن بين يدى أديبنا من وسيلة يتوسلها سوى أدوات فطريته).

إن كتاب (حاطب ليل ضجر) بجزءيه ما هو إلا سيرة ذاتية للكاتب فزع عندما أدرك أن المغيب على وشك الحلول وأن عليه

أن يفرغ مما علق بذهنه ولكن تلك السيرة الذاتية ابتعدت عن ذلك المقصد وخاصة ذلك القالب الذى عهدناه فى كتب السير الذاتية، وما يصاحبها من تخفف فى الأسلوب بالإضافة إلى الدخول المباشر فى إيضاح التصرف الإنسانى لذات الكاتب، بل تعمد إحضار كل صور العلم بكل مدركاته الحسية والعقلية وصاغها فى قالب لغوى صعب المراسى ولأن اللغة العربية تركت ذلك العصر الذهنى بعد رحيل عمالقة من أمثال العقاد وطه حسين، والرافعى وغيرهم، وطغت لغة الصحافة على أدبنا، فإن قراءة كتاب عبدالعزيز التويجرى تصبح الآن فى صعوبة لزوميات أبى العلاء تحتاج إلى ثقافة فى اللغة بقدر حاجتها إلى قدرة عقلية خاصة لتلقى زاد المعرفة المتدفق منها.

ولغة عبدالعزيز التويجرى تذكرنا بلغة مصطفى صادق الرافعى، كما تذكرنا بهؤلاء الذين امتطوا صهوة اللغة وسلسل لهم قيادها ولم يبق من هؤلاء الأدباء إلا ثروت أباظة ونفر قليل من شعرائنا.

وحسبك من لغة التويجرى أنها تذكرك بتلك الفطرة العربية التى أنبتت اللغة دون تصنع ولا تكلف فإذا بها موسيقى عذبة تصل إلى العقل والفؤاد معاً فى آن واحد. حاسة قاطعة فى نفس الوقت.

و(حاطب ليل ضجر) لا تكمن أهميته فى تلك اللغة فقط، إنما هو وثيقة تاريخية لأحد الرواد الذين شقوا قلب الصحراء وتقلبوا بين العيش فى خيام الرحل من البدو وقصور الثراء والأبهة. وأدركوا بفطرتهم عظمة الخالق فسجدوا له.

ويوغل التويجرى فى قلب البادية متعطشاً لمياه آبارها، وراغباً فى الاستزادة من معرفة أسرارها، وليس هذا تعشقاً لتلك الحياة أو حنيناً للزمن الفائت - فحسب - كما كان يطالعنا شعراء الجاهلية فى أول قصائدهم بل رغبة فى فهم الكون وأسراره وفهم ذلك العالم الذى يغلى من حولنا، تزكيها تلك الثورة الهائلة من مدركات البحث العلمى، أنه يبحث عن المستقبل مستطلعاً أحداث الماضى والحاضر. لهذا فإن كتاب (حاطب ليل ضجر) يعد شهادة على العصر ومحاولة لرؤية كيف يكون المستقبل.

مصطفى محمود .. شاهد على عصره

جلال العشرى

أحببت مصطفى محمود وازددت حباً له من خلال جلال العشرى في كتابه القيِّم «مصطفى محمود شاهد على عصره» والكتاب رحلة رائعة، عذبه، تأخذك داخل وجدان مصطفى محمود، وترشدك إلى مسالك ودروب عقله.. وفى النهاية تقودك إلى الإيمان إنها رحلة مصطفى محمود نفسه التى قام بها من «يقين الشك» إلى «يقين الإيمان»، وفى خلال رحلته لم ينس مطلقاً الهدف الذى يسعى من أجله.

ورحلة الكتاب تنتهى حيث بدأت، إنها رحلة هادفة، تسعى جاهدة لكى تصل إلى هدف سبق لها أن حددته، فهى رحلة مؤمنة بهدفها قبل أن تبدأ، وبالتالى فهى ليست رحلة تنقيب أو بحث، أو كشف عن مجهول، ولكنها رحلة تعليم، يقوم فيها الباحث بدور المرشد الذى يعرف طريقة جيداً من قبل.

وجلال العشرى يبدو أنه يعرف ذلك، بل ويؤكده «.. وإذا كانت رحلة المعرى الفلسفية إلى العالم العلوى، إطلالة فكرية على عالمه الأرضى بكل ما يصطرع فيه من مشكلات ومعتقدات...»، «.. وإذا كانت رحلة ابن شهيد الخيالية إلى عالم الجان، رحلة أدبية التقى فيها بزهير بن نمير احد فرسان الجن»، «.. أقول إنه على الرغم من اختلاف رحلة دانتى عن رحلة المعرى عن رحلة ابن شهيد، إلا أن هذه الرحلات جميعاً تختلف برغم ما بينها من تشابه عن رحلة مصطفى محمود». مصطفى محمود يؤكد ذلك أيضاً فى كتبه التى أوردها جلال العشرى، لقد أورد المؤلف خمس روايات وكلها تدور حول «رحلات»، وليست بالقطع كلها رحلات مكانية كما فى رواية «الخروج من التابوت أو رحلات زمانية كما فى روايتى العنكبوت، ورجل تحت الصفر».. ولكنها رحلات ذات طبيعة خاصة يقودها ملاح يسعى إلى إثبات فكرة ما، أو كما يقول جلال العشرى: «.. ولكن إذا لم يكن مستحيلا على الإنسان أن يعلو على كل شئ ألا يقودنا هذا إلى التساؤل.. وإلى أين يريد أن يصل الإنسان» ألا يؤدى به العلو على كل شئ إلى الوصول إلى اللا شئ؟

هذه هى الشحنات الكهربائية التى تدفع التدفق الفكرى لتحيله إلى تيار متصل متواصل يسعى جاهداً إلى الوصول..

الوصول إلى المحبة «كتاب جلال العشرى» يثير عدة قضايا من أهم قضايا الأدب العربى عامة والأدب المصرى على وجه الخصوص، وأولاها وأهمها - على ما أعتقد - فكر الكاتب أو الأديب، وليس المقصود هنا «بفكر الكاتب» مجرد رأيه السياسى، بل بمعنى أشمل «مقياس شهادته على عصره»، أو الفكر الشمولى الذى من خلاله يرى ويسمع ويتحرك ويصدر أحكامه ويثبت من خلال هذا كله أعماله الأدبية بصورها المختلفة، فلا يكفى الكتاب أن يثبت مجرد «رأى»، أو يؤلف سرداً لمجموعة أحداث متشابكة فى رواية أو قصة أو فى دراما.. بل عليه أن يكون على دراية بإطاره الفكرى الباحث أو «المفلسف». «وليست الفلسفة شيئاً آخر سوى تلك المحاولة التى يراد بها معرفة الله والإنسان والعالم».. ولا يكفى - فقط - أن يتفلسف أو يفكر، بل عليه - أيضاً - أن يفعل كما يفعل المفكرون - وفقاً لما قاله والكاتب الذى يصل إلى هذا المنهج يعد بالتالى شاهداً، وهذا ما فعله مصطفى محمود «وهذا ما حدث فى الفكر الإسلامى الوسيط حيث الغزالى، وفى الفكر الإسلامى المعاصر حيث مصطفى محمود..».

إن «الشهادة» هنا تعطى لصاحب الرحلة الفكرية التى قام بها محاولاً دوماً أن يجعل هناك تواصلاً بين تيار فكره

المتدفق الباحث وبين تيار العصر الذى يعيش فيه، هذا التواصل هو دليل «شهادته»..

ويظل كتاب جلال العشرى شهادة على أن أدبنا العربى غير قاصر فى فكره الخاص والمتأصل، وأن لديه كنزه الثمين من فكره المستقل ولا داعى للاستيراد.

القصة القصيرة ..

عباس خضر

كان الأستاذ عباس خضر موفقاً غاية التوفيق فى كتابه هذا الذى أصدره أخيراً عن القصة القصيرة فى مصر منذ نشأتها حتى سنة ١٩٣٠م، ولم يشأ أن يقدم عرضه للقصة فى هذه الفترة التى اختارها قبل أن يعرض للقصة فى التراث العربى ثم يعرض لهذه القصة متصلة بالأدب العربى.

وأريد أن أقف قليلا مع الأستاذ عباس لننظر معاً فيما ذهب إليه فى هذا الفصل من أن القصة قديمة فى الأدب العربى موجودة فى الأعماق البعيدة التى صدر عنها أدبنا الحديث، فهو يقول: إنه كان للعرب فى مختلف العصور فنونهم القصصية النابعة من بيئتهم والمصورة لحياتهم وعقائدهم ومغامراتهم وبطولاتهم ويضرب لذلك مثلاً من القصص الشعرية الحماسية الطويلة التى صورها العرب فيما يشبه الملامسة التى نشأت فى بعض المجتمعات الأوروبية القديمة

ويعقد الشبه بين الملحمة فى الأدب الغربى وبين ما كان ينشده الشعراء الذين كانوا يطوفون بالقرى وشوارع المدن ينشدون ما يسميه هو بالملاحم وما أسميه أنا ويسميه غيرى بالخطابات. ويقول الأستاذ: إن سيرة عنترة وقصة سيف بن ذى يزن وقصص الهلالية الكثيرة ليست إلا ملاحم شعبية ثم هو يرى أن الفن القصصى عند العرب أساسه كلمة خرافية التى أنشأها خرافة الذى تفتق خياله عن أحداث غريبة راح يرويها للناس وراحوا يقولون عنها: إنها أحاديث خرافة أو أحاديث خرافية.

ثم يقول الأستاذ عباس خضر: إن أحاديث خرافة نفسها ضاعت فى متاهات الزمن ويستدل على وجود هذا النوع من القصص بأن سهل بن على ابن غالب الخزرجى وضع كتاباً فى الجن وأخبارها وحمله إلى هارون الرشيد فقال له: إن كنت رأيت ما ذكرت فقد رأيت عجباً، وإن لم تكن رأيته فقد وضعت أدباً، ثم يمضى بعد ذلك إلى تقديم أمثال من الحكايات التى كانت تروى فى ذلك العصر، عن الغول والثعبان وغير هذا مما كان يشاهده العرب فى حياتهم ومما كانوا يتسامعون بوجوده فى عالم الخيال دون أن يراه أحد. وقد بذل الأستاذ عباس خضر مجهوداً كبيراً ليقنع القارئ أن العرب كان لهم تراث قصصى وتراث روائى، ولست أدرى لماذا يبذل هذا الجهد فالتراث لا يحتاج إلى إثبات.

اتجاهات اجتماعية فى النقد المعاصر

تأليف : إبراهيم سعفان

يبدو أن الناقد والقاص إبراهيم سعفان مصمم على المضى فى نظريته النقدية الاجتماعية التى يغلب عليها استخدام المنهج الاجتماعى فى تحليل الأعمال الأدبية فها هو كتابه الثالث فى النقد والدراسات النقدية الذى يستخدم فيه هذا المنهج على الرغم من تخصصه اللغوى، الذى كان يجب أن يستعين به فى أعماله النقدية.

وليس هذا عيباً طالما ان الدارس يستخدم منهجه عن اقتناع وفهم لأساليب ومكونات هذا المنهج. ولكن المأخذ يكمن فى زوال هذه المدرسة التى دفعت بالنقد الأدبى إلى أحضان علوم الاجتماع فراحت تنهل منها بلا شبع، الأمر الذى أدى إلى ظهور العديد من المناهج النقدية القائمة أساساً على مباحث علم الاجتماع والنقطة التى تحسب للناقد إبراهيم سعفان هى قدرته على الاستفادة من منهجه وتوظيفه توظيفاً صحيحاً، قاده

إلى نتائج كان لها دورها فى كشف القناع عن الكثيرين من الأدباء الذين يتوهمون أن أعمالهم الأدبية تخضع لعامل النسيان وأنهم كثيراً ما كتبوا تحت تأثير عواطف سريعة التغير. وكأن أعمالهم مجرد «موجه» سرعان ما ينساها الناس، وتذهب لساعتها، واعتمدوا على ذلك وتوهموا أنهم فرسان لكل العصور وفلاسفة كل الأزمنة فيكفى الواحد منهم أن يؤلف شعراً يتناسب مع زمنه المحدود، لكى يكون فى ركاب هذا الزمن ولكن يأتى دارس مثقف مثل إبراهيم سعفان الدستور، ويقدم وثائق العصيان وأيضاً عهود التعبد والخشوع فلا شئ يذهب ولا شئ يضيع فالكلمة مرصودة عليهم وإن خانتهم الذاكرة.

ففى كتاب إبراهيم سعفان «أثر أكتوبر فى الشعر المصرى» الذى صدر ضمن سلسلة كتاب «المواهب» استطاع أن يضبط الشعراء فى حالة أسى عميق ورفض قاطع، لواقع ما قبل ١٩٦٧. وبعضهم قال فى صراحة: لا لبس فيها (قلت لهم كما قلت عن مسيرة الأشجار).

فاستضحكوا من وهمك الثرثار، وحين فوجئوا بحد السيف، قايضوا بنا والتمسوا النجاة والفرار. من شعر المرحوم أمل دنقل، وأيضاً قال صلاح عبدالصبور، ومهران السيد وغيرهم. كما أورد الدارس العديد من نماذج لأشعارهم،

وهم يننددون «بالنكسة ومن فعل بهم وبالشعب تلك النكسة التى هى شر من الهزيمة، ويوضح إبراهيم سعفان إلى أى حد كان الأدباء فى ذلك الزمن يصرخون من الظلم والهزيمة والهوان وانسداد شرايين الحياة والحرية أمامهم.

وفى الجزء الثانى يورد إبراهيم سعفان، نماذج رائعة لهؤلاء الشعراء وغيرهم، وهم يمجدون نصر أكتوبر ويشيدون برافع العلم، كما فعل صلاح عبدالصبور، وقائد العبور، وبعضهم مثل يوسف إدريس يكاد يصرخ من الإعجاب، معترفاً بعجزه الأدبى عن مجاراة روعة هذا النصر الرائع فى أكتوبر.

ويقدم إبراهيم سعفان خلال دراسته الجيدة نماذج واضحة وصريحة تعلن رأى الشعر والأدباء فى نصر أكتوبر العظيم، وقائد هذا النصر، وأورد تحليله عن «الضمير» لدى هؤلاء الشعراء وعن «المزاج الخاص» عند هؤلاء الشعراء أيضاً مستعيناً بدراسة الأستاذ على أدهم حول المزاج الخاص للأدباء.

وتوقف إبراهيم سعفان عن القول الذى يكاد ينطلق رغماً عنه فما بال قوم من الشعراء قد تناسوا ما هتفوا به يوماً؟ وكيف يهاجمون الآن ما كانوا يدافعون عنه، ثم كيف يدافعون اليوم عن كافور الأمس؟!

السباعى .. حياة قلم ودولة ..

تأليف : عماد الدين عيسى

كان لإحسان عبدالقدوس ـ شفاه الله ـ دور هام فى تاسيس نادى القصة كما روى لى المرحوم توفيق الحكيم، عندما قابله كل من يوسف السباعى وإحسان عبدالقدوس لكى يعرضا عليه رئاسة النادى، وإذا كان إحسان عبدالقدوس قد شارك فى فكرة التأسيس وساهم فى إيجاد هذا الصرح الأدبى العظيم، فإن يوسف السباعى هو صاحب الفضل فى إيجاده، الأمر الذى جعل لنادى القصة دوره الهام والمؤثر فى مجريات الحياة الأدبية. فكان سبباً فى شهرة العديد من كتّاب القصة والرواية وقدم أعمالهم من خلال سلسلة الكتاب الفضى والكتاب الذهبى. وقاد حركة تحديث القصة على مدى ثلث قرن حتى الآن. وكان لثروت أباظة دوره القيادى الفعّال فى دفع حركة النادى النشيطة والتى احتوت مختلف تيارات الفكر الروائى القصصى ومن خلال ندواته ظهر كثير من كتّاب

القصة ونقادها وواصل ثروت أباظة عطاء السباعى بروح الفارس وعزيمة المجاهد ونفس الورع، فأثمر هذا كله اخضرار أرض القصة وتنوعت ثمارها.

والحديث عن السباعى - بعيداً عن إبداعاته الأدبية التى ظهرت خلال حياته - حديث يجب المعاودة إليه، لأنه حديث عن مؤسسات أدبية أسسها السباعى وقاد خطواتها الأولى ورعى كيانها وهى تنمو، ومن تلك المؤسسات (اتحاد الكتاب) الذى كان له خط نادى القصة، ونفس مساره الناجح، وإن هاجمه محترفون لا يتورعون عن الهجوم على أعز ما يملكون هم أنفسهم.

لقد كان يوسف السباعى خلال حياته منارة هادية لعقول وقلوب الأدباء التى طيرها الخوف من الحاكم، وأفزعها طرق الأبواب فى منتصف الليالى، وأهاجها مرض الإبن أو الإبنة وذكرى أيام خلف الأبواب الموصدة، فكان السباعى الإنسان أقرب الأصدقاء عند الحاجة، وأسرع الدروع الواقية عند الهجوم، لا يسأل السائل عن لونه ولا عن مذهبه، فسارع إليه كل الناس، ومن لا يذكر هذا فإن قلبه يكون قد قدً من صخر، بل وأكثر قسوة، ومن ذكره يكون كمن يشهد لأهل المروءة بفعلها وذكر هذا الأمر فى هذا الوقت بالذات، لأهل الأدب

خاصة وللناس عامة يفيد القلوب التى قست ولم تعد تتذكر إلا ما كان له نفع شخصى فى زمن لا تقاس المكارم إلا بما تفئ به من منافع مادية.

وشق السباعى الطريق لإتحاد الكتاب ولم يبخل عليه بوقته، ولا بفكره، بينما تعج الحياة الأدبية بكبار المبدعين الذين قد انغمسوا فى أعمالهم، لا تشغلهم مصالح الآخرين ولا هم لهم إلا ذواتهم.. بينما كان يوسف السباعى يهتم بأصغر مشكلة تعترض أديباً ناشئاً ومن حقه علينا أن نذكر له ذلك ونحن نحتفل بذكراه، فنعترف بفضله ونشيد به، ونسارع بمؤازرة المنشآت التى أسسها وكانت للحركة الثقافية منارات هادية.

وإذا كان اتحاد الكتاب ـ الذى يضم كل كتاب مصر، من مختلف الأعمار والمذاهب يعد ثمرة فى شجرة زرعها يوسف السباعى، فإن تلك الشجرة تضم العديد من المنشآت الأدبية، منها المجلس الأعلى للآداب والفنون والمسمى الآن المجلس الأعلى للثقافة ومنها جمعية الأدباء وما تمثله بجيل الستينات وعلى وجه التحديد من أهمية رعاية النشأة الأولى.

ويصعب حصر بقية أفرع شجرة العطاء لهذا الأديب الشهيد الذى أعطى ولم يدخر وسعى فى إنجاح تلك المؤسسات الأدبية والثقافية وتقوية دورها، ليس فقط فى مجال

الآداب، والثقافة بل فى مجالات أعم وأشمل وصدق ثروت أباظة حينما قال (كان السباعى رحمة الله مثل مانعة الصواعق فى عالم الأدباء والمفكرين).

والسباعى الأديب لم ينل حظه من الاهتمام الجاد بدراسة أعماله، إلا مؤخراً فقد صدر فى خلال العامين الماضيين فقط مجموعة من الكتب الجادة التى تناولت أعماله الإبداعية بالتحليل والدراسة. من تلك الكتب، كتاب (السباعى فلسفة قلم وحياة) لعماد الدين عيسى وهو دراسة جادة جيدة لأدب يوسف السباعى، وقد تناول الأديب عماد الدين عيسى، بذكاء شديد ما قدمه يوسف السباعى من إبداعات وإنجازات فكرية، فى دراسة اتسمت رغم بعدها عن الروح الأكاديمى بالحب لصاحب تلك الإبداعات. وهذا ليس عيباً فى الدراسة بقدر ما هو عمل من الأعمال التحليلية التى تقترب من الكتابة الأدبية الإبداعية، خاصة وإن كاتبها من كتّاب القصة الموهوبين.

ودلالة صدور كتب عن حياة السباعى وعن أدبه، واهتمام دور النشر بتلك الأعمال وأيضاً الاهتمام بتدريس كتبه فى الجامعات تبدو واضحة، وتؤكد أن ما قدمه السباعى سواء فى مجال الإبداع أو فى مجال خدمة الأدب والأدباء سيظل باقياً، تذكره الأجيال المتعاقبة.

الفهـــرس

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الإيداع بدار الكتب ١٠٢٥٢/ ١٩٩٦

ISBN 977- 01 - 4984 - 5

مكتبة الأسرة

القراءة للجميع
مهرجان صيف ٩٦
جمعية الرعاية المتكاملة

بسعر رمزى جنيه واحد
بمناسبة

مهرجان القراءة للجميع ١٩٩٦

مطابع
الهيئة المصرية العامة للكتاب